إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً

صدق الله العلي العظيم

الكهف ٣٠

أسرتنا
العدد السادس

أسرتنا

- مجلة فصلية تعنى بشؤون الأسرة والمجتمع
- ديوان الوقف الشيعي
- الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
- مركز الإرشاد الأسُري / العراق / كربلاء المقدسة

العدد السادس

الطبع والتوزيع

شعبة الطبع والتوزيع في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢١٥٥ لسنة ٢٠١٦

OUR FAMILY

الاشراف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير

الاستاذ عزيز كاظم النـــايف

سكرتيرة التحرير

السيدة زينب أحمد صادق

اللجنة الاستشارية

د. سحر مصطفى / لبنان
د. انعام قاسم خفيف الصريفي .. جامعة ذي قار
د. هادي كطفان / جامعة القادسية
د. نجم الموسوي / جامعة ميسان
د. عبد الكريم الموزاني / جامعة البصرة
د. عماد المرشدي/ جامعة بابل
د. عدنان مارد جبر / جامعة كربلاء
د. محمد عبد الحسن / وزارة التربية
السيدة رفاه الحكيم / مركز الارشاد الاسري

المراجعة اللغوية

أ . د . عادل نذير بيري

التصميم و الاخراج الفني

نورس عدنان الحسيني

لمراسلتنـــا

M.osratona@yahoo.com

ملاحظة : لا تعبر الابحاث والمقالات بالضرورة عن راي ادارة المجلة

الفهرست

٦	كلمة العدد اقرأ رئاسة التحرير	
٨	مفهوم التربية واهدافهاعند الامام علي(عليه السلام) الأستاذ الدكتور . علي محمد العبيدي	
١٤	دور الاباء في تثقيف اولادهم بثقافة الاسلام الاصيلة .... الشيخ الدكتور . علي اسعد االحلباوي	
٤٢	توصيات حول تربية المراهق السيدة .زهرة جمعه لطف الله/ مملكة البحرين	
٦٤	الاضطرابات السلوكية عند الاطفال الدكتور / هشام مهدي الكعبي	
٧٤	الخطاب التربوي في احاديث الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) (الجزء الثالث -الاخير) د. عبد الامير ضاحي محمد /مملكة البحرين	
٩٦	القيم الخلقية (الجزء الثالث -الاخير) السيد .محمد جواد مرهون/مملكة البحرين	
١١٤	قافلة الشهداء - لقاء مع عائلة شهيد السيدة . مروه حسن الجبوري	
١١٦	الرسول محمد واله سفينة النجاة من الفساد الاخلاقي د. ريهام حسين محمد / مصر	
١٢٤	تربية الطفل وفق منهج اهل البيت عليهم السلام د. ايمان نعمة كاظم الموسوي	
١٤٦	العوامل المرتبطة بالتسول عند الاطفال في العراق د. حسين علوان بيعي	
١٥٢	رؤية نفس اجتماعية للطلاق د. محمد عبد الحسن ناصر	
١٥٩	اجمل لغة السيد . خالد غانم الطائي	
١٦٠	القصة وتاثيرها في التربية المهندسة . ندى الجليحاوي	
١٦١	انتبهي لطفلك يدخن السيدة . مروه حسن الجبوري	
١٦٣	اضاءات حول حسن التبعل السيدة / ايمان شلبي	
١٦٩	نصائح في تربية الاطفال د. عبد الكريم زاير الموزاني	
١٧١	دور الاسرة تجاه الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة د.عماد حسين عبيد المرشدي	

مجلة أسرتنا

العدد السادس

اقرأ

اقرا.. صوت مداه الكون .. اقرا ، كلمة أولى نزلت على نـــبي الرحمة محمد ابــن عبـد الله (صلى الله عليه واله وسـلم) من اجل ان يبــلغ رسالته لنشر المبادئ الانسانية.. قام جبـريل(ع) بمهمة ليست اعتيادية ، انها ايصال كلام من الله الى الانسان عبر اختيار احدهم بعناية فائقة، لينشر لقومه اولا وللإنسانية ثانيا اسس الدين الاسلامي..

اقرا .. لم تكن قط كلمة كالكلمات.. ولكنها واجبة لأن فيها امر من الله على رسوله محمد (صلى الله عليه واله وسـلم).. ان يقـرا ما يتلى عليه ويبلغ قـومه.. ان يقرأوا.. وان يستوعبـــوا ما يقرأون ..

يا ترى نحن الان ، هل نحن أمة اقرأ.. ولماذا بدأنا نجتر التاريخ برجاله المبدعين ونسينا أنفسنا في متاهات الحاضر؟؟.. واي حاضر نعيش ، افكار تأتينا في كل ثانية تبـــدل من اخلاقنـــا وعاداتـــنا وتـــرسم لنـــا ملامح لانعرف مصدرها ولا الى اين تريد بنا ، ماذا علينا اذا : ان نقف اولا مع انفسـنا ، نتأمل ما لدينا من ارث كبـير وعظيم وننظر ثانيا الى من يطرق عقولنا بحذر.. ننهل من الماضي ايمانه بـــالله واليوم الاخر. نبـــني معاير لأخلاقـــنا وفق رؤى اســلامية خـــالصة، ونـــأخذ من الحـــاضر علومه وامتداده الفكري بما يجعل أسرتنا في مأمن من الخطر..

اقـــرأ كلمة رددها جبـــريل(ع) ثلاثة مرات،، لان رب العزة يريد للنبـــي محـــمد (صلى الله عليه واله وســـلم) ولقـــومه ان يكونوا خير امة اخرجت للناس فعلا.. تنشـر مبـــادئ الرحـــمة والانســـانية في الارض وتسعى لبناء انسان واع مدرك لحقوق الله" كنتم خيـر امـة اخرجـت للنـاس تأمـرون بـــالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" (ال عمران ١١٠)

والقراءة مهارة لا تكتسب إلا بالممارسة ، لذا علينا اولاً ان نقـرأ ما جاء بـه القـران الكريم من نصوص ، بعناية واستيعاب، وان نعلم افراد اســرتنا مهارات القـــراءة ..من تصفح للكتب وقـــــــراءة متأنية للكتب المختارة.. واجبـنا الان ان نتعلم ان نقـرأ.. ونساعد اسرتنا على القـراءة وكيفية الافادة من وســائل التحـــضر والتمدن التي دخلت بيوتنا من دون استئذان، فأصبحت اسـرتنا اسيرة لمواقع التواصل الاجتماعي ، مهمتنا الان اكثر صعوبة وتعقيداً،

ابـناؤنا بحـاجة الى توعية هادئة، والى تعلم مبـصر، والى تثقيف مسـتمر، كيف نقـرأ ، ماذا نقرأ.. متى نقرأ ..امور تتحاج منا جهداً كبيراً .. لنعمل معا على استثمار الوقت في القـــراءة لغرض زيـــــادة مداركهم وتقـــــــــوية شخصياتهم ولزيادة معرفتهم بـــــين ايديكم العدد(٦) من مجلة اسرتنا، تنوعت بحوث العدد، الا انها بقـــــيت في مجرى واحـــــــد.. وهو الاسرة.. هدفنا ان نلبي لكل قـارئ ما يريد، سـاعين الى ارضائكم وأفادتكم ، املنـا رضـــا الله عنـــا ، ورضـــا القارئ الكريم في ما يُنشر من بحوث ومقالات هدفها بـناء الاسـرة المسـلمة المدركة لمكامن الخطر المحدق بنا من تحريف وتأويل.. اسرتنا الكريمة ، كتاب الله على رفوف مكتباتنا ، ينتظر اولا منا ان نقرأ ، وان نفهم ونستوعب ما نقرأ ، لنسـير بـهديه ، ونتعلم من الرسـول (صلى الله عليه واله وسـلم) وال بـيته الاطهار السـلوك السليم والتصرف الملتزم...

دعاؤنا الى الله ان يمن على المسـلمين بـالهداية والايمان .

وفقكم الله

رئاسة التحرير

مفهوم التربية

واهدافها عند الامام علي عليه السلام

■ الاستاذ الدكتور علي محمد العبيدي

شغلت شخصية الامام علي (ع) الباحثين على اختلاف مدارسهم الفكرية والذهنية فافردوا له دراسات شملت جوانب عديدة من شخصيته ولكن جانب التربية عنده –حسب علمي- لم يحظ بدراسات وافية.

لعل من المفيد أن نستهل هذا الموضوع بتبيان المدلول اللغوي لمفهوم التربية .

فالتربية في اللغة مأخوذة من ربى ولده، والصبي يربه، رباه أي أحسن القيام عليه حتى أدرك (١).

فالتربية بمدلولها اللغوي، تعني تعهد الطفل بالرعاية والتغذية المادية والمعنوية حتى يشب.

ولقد اهتم الفلاسفة والعلماء بهذا المفهوم، واجتهدوا في الكشف عن مضامينه العلمية وأوجدوا له عدداً من التفسيرات التي إن اختلفت في شكلها، فهي متفقة في جوهرها، وسنعرض فيما يأتي أقوال بعض المفكرين القدامى والمحدثين، لنرى موقع (النهج) منها.

يقول أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ق.م):

(التربية هي إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما يمكن من الكمال) (٢).

وهذا يعتمد على الناحية الكمية من التربية، وذلك بمزاولة جميع الأنشطة العقلية والبدنية المؤدية لكمال الفرد.

ويقول أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م):

(الغرض من التربية هو أن يستطيع الفرد عمل كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلم، وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال ليصل إلى حالة السعادة) (٣). وهذا يهتم بالناحية المهنية من التربية لما فيه منفعة الفرد وسعادته في دنياه.

ويقول جولز سيمون، الفيلسوف الفرنسي (١٨١٤-١٨٩٦م):

(التربية هي الطريقة التي بها يكون العقل عقلاً حراً، ويكون القلب قلباً حراً) (٤). وهذا يتم بالنواحي الروحية من التربية. ولعل أوثق تعريفين للتربية هما: ما قاله الغزالي (٤٥٠-٥٠٥):

(ومعنى التربية، يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه) (٥).

وما قاله جون ديوي: (إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صب لها في قوالب معينة ـ أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة) (٦).

والتربية في طبيعتها عملية مستقبلية تسعى الى اعداد الانسان لحياة قادمة قد تختلف فيها وسائل تحقيق الاهداف نفسها لان التغيير سمة ملازمة للانسان. قال الامام علي (ع):(لاتعودوا بنيكم على اخلاقكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.) (٧).

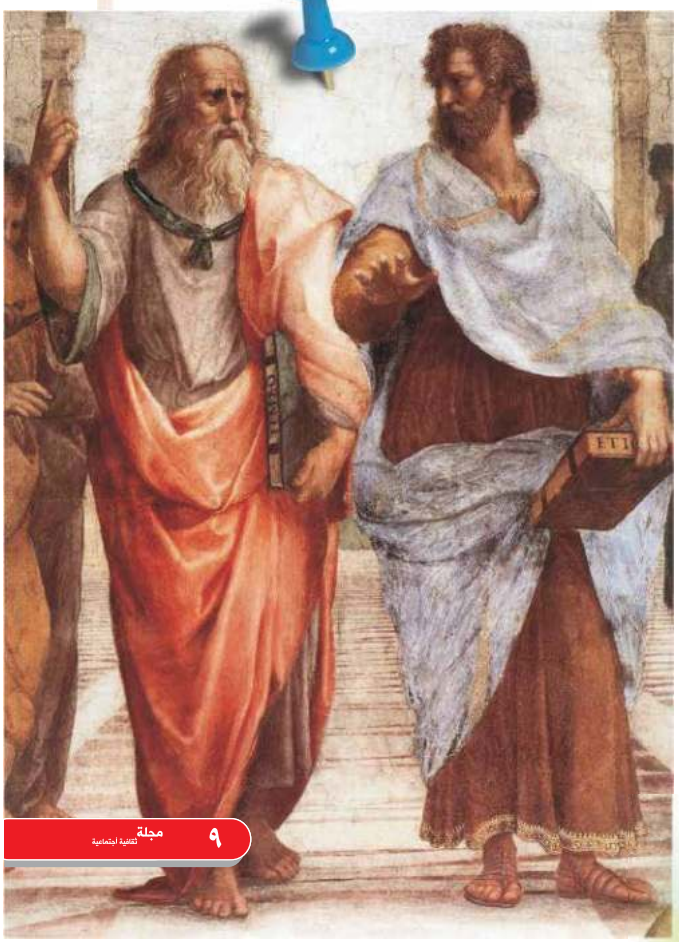

كما يرى الامام علي (ع)ان التربية حق اساس يجب ان يوفره الحاكم لكل الناس .

وقد ادى الامام (ع)هذا الحق على خير وجه من خلال الحلقات التعليمية في مسجد الكوفة .

ومن خلال دراسة اقوال الامام علي (ع) وافعاله يمكن استنباط تعريف التربية عنده :بأنها اعداد الانسان للحياة الدنيا و الاخرة في ضوء نظرة الانسان للانسان وعلاقاته بالخالق والكون والمجتمع الذي يعيش فيه، وهذا المفهوم يستند على ثلاثة ابعاد رئيسة : الماضي والحاضر والمستقبل ، وهذه الابعاد متكاملة و متداخلة.

فكل مجتمع يحتفظ بخبراته التي تتمثل بالعادات والتقاليد و النظم والقيم . ومما لاشك فيه ان أفراد هذا المجتمع و بالذات الصغار منهم يحتاجون الى استدعاء هذه الخبرات المتراكمة لحل مشكلات الحاضر و وسيلة هذا الاستدعاء والنقل هي التربية.

طبيعة المتعلم:

هناك ثلاثة اتجاهات رئيسة هي (٨) :-

الاتجاه الاول: يرى ان عنصر الشر متأصل في الانسان ومتغلب عليه ، ومن مؤيدي هذا الاتجاه. LAURANCE

الاتجاه الثاني : يرى ان عنصر الخير متاصل في الانسان ،ويؤيد هذا الاتجاه روسو.

الاتجاه الثالث : يرى ان طبيعة المتعلم محايدة والبيئة هي المسؤولةعن سلوك الانسان ويؤيد هذا الاتجاه سكنر.

قال الامام علي (ع) : (رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع).(٩).

وقد اكد على اهمية التعليم في سن مبكر لقابلية الطفل الكبيرة على التعلم وسهولة توجيهه وارشاده.

كما ركز على تنقية الارث الثقافي للمجتمع فليس كله صالحا ومفيدا للاجيال الناشئة وهنا يمكن القول بأن الامام (ع) قد سبق التربية الحديثة بما يعرف الان باشراف الدولة على التعليم .أماالهدف من التربية عند الامام علي (ع) فيعني (التغير المرغوب الذي تسعى العملية التربوية الى تحقيقه سواء في سلوك الفرد او في حياته الشخصية او في حياة المجتمع او البيئة التي يعيشها الفرد في العملية التربوية ذاتها).(١٠) وقد صنف الامام علي(ع)الاهداف على النحو الاتي:

الاهداف الدينية :

فبحكم الموقع الذي احتله الإمام من المسيرة الإسلامية ومن رسول الإسلام وبحكم طبيعة التربية الإسلامية نفسها كان من الطبيعي أن تكون الوظيفة الأولى للتربية أن ترسخ إيمان المسلم وتعمقه وتقيمه على قاعدة من الفهم الصحيح والحب العميق والحماس الذي يشكل قوة دفع لا تلين أمام الخطوب وتستعذب النضال والجهاد من أجل الرسالة الإسلامية تاركة وراء الظهور المنافع الخاصة ونزعات الهوى الشخصي ومن هنا كانت واجبات الوالدين في القيام بالمهمة التربوية تتمثل في تنمية المشاعر الإيمانية في قلب الطفل ومن هنا أيضاً كان من أولى واجبات الآباء والأمهات أن يوقظوا في أبنائهم فطرة عبادة الله بواسطة العبادات التمرينية فيشجعوهم على اتباع الأوامر الإلهية والارتباط بالخالق العظيم(١١). نادى الامام علي (ع)وحرص على الالتزام بالدين الاسلامي وهذا يتضح في قوله

((اوصيكم عباد الله بتقوى الله فأنها خير ماتوصي به العباد)).(١٢).

الاهداف الفكرية: يهدف الاسلام الى جعل التفكير العلمي اساس كل شيء في الحياة وقد دعا القران الكريم الى اعمال العقل والتفكير ويمكن تحقيق

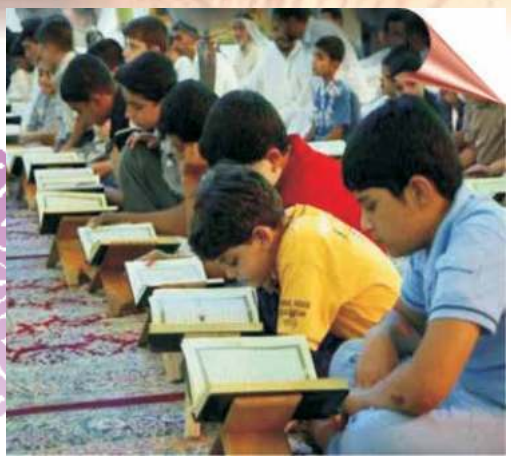

هذه ألاهداف بالوسائل الاتية:

التأمل العلمي :العقل عند الامام علي (ع) هو خزانة لحفظ التجارب التي يتمكن من خلالها الاتسان حل المشكلات . قال الامام (ع): ان اغنى الغنى العقل.(١٣) كما قال (ع): العقل حفظ التجارب.(١٤).

العلم :يؤكد الامام علي(ع) على قيمة العلم وقد قال (ع) الى تلميذه كميل النخعي أ- (العلم خير من المال والعلم يحرسك وانت تحرس المال)(١٥)

. وقال ايضا (ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك).(١٦).

ب-التفكير في مخلوقات الله – تحدث الامام علي (ع) في كثير من خطبه عن الحيوانات والنباتات والسحاب والمطر مما يدل على ممارسته لما يعرف بالتفكير العلمي.

التريث في اصدار الاحكام – فكما دعا القران الكريم حذر الامام علي (ع) من العجلة في اتخاذ القرارات لأنها قد تكون مبنية على معلومات كاذبة وقد قال (ع)في كتاب له لعامله مالك الاشتر

((اياك والعجلة بالامور قبل اوانها)).(١٧).

الاهداف الاجتماعية : اكد الامام علي(ع) اهمية سيادة العدل والمساواة بين الناس كما اكد على ضرورة الانفتاح على الاخرين ايا كانت عقيدتهم حيث قال (ع): (العلم ضالة المؤمن خذوه ولو من ايدي المشركين..(١٨)

الاهداف الثقافية: الثقافة هي المعرفة والعقائد والفنون والقيم والقانون والعادات التي يكتسبها المتعلم كعضو في المجتمع.(١٩).

وقد اكد الامام علي(ع) ضرورة تنقية هذا التراث من الشوائب وتقديمه للناشئين والقارئ لكلمات الإمام علي(ع) يستطيع أن يلمس مدى الوعي بالدور الذي يجب أن يقوم به المربي من حيث نقل خبرات وتجارب وثقافة السابقين إلى الأجيال الجديدة لا لتستوعبها كما هي، وإنما لتنتقي وتختار منها ما يعينها على سلامة المسير وعمق الفهم وسعة الاحاطة يقول لابنه الحسن: أي بني، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليَّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر خليله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية.(٢٠)

وللإمام نص هام يتعلق بطريقة وفلسفة النظر في التراث الحضاري للأمة(٢١) نجده يركز على عاملين ثابتين في طبيعة الحركة البشرية وطبيعة الحياة على هذه الأرض:(٢٢)

أ – عامل التغير والتقلب في الحياة: فالحياة بما هي حركة وبما هي تفاعل وبما هي طاقات وقوى تتفاعل فتتكامل أو تتقاتل في داخل كل شيء ومن حول كل شيء في الكون المادي كله الحياة بما هي كل هذا متقلبة متغيرة باستمرار هي في حالة صيرورة دائمة لا تستقر على حال ولا تثبت على وتيرة واحدة.

ب – عامل الزمن: فأثر الزمن في الأشياء والأعمار ظاهر لكل ذي بصيرة فالزمن يفتت الحياة باستمرار فما أن يبدأ وجود الحياة في شيء بل ما إن يبدأ وجود شيء حياً كان أو غير حي حتى يبدأ هذا الوجود بالذوبان والتفتت والضياع إن الحياة تولد في الزمن ولكن الزمن يغتالها باستمرار.

وهذان العاملان – التغير والزمن – لا يختصان بعالم الإنسان وحده، إنهما يعملان في كل شيء ويحولان دون ثبات كل شيء: الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ويتميز الإنسان – بالنسبة إليهما –

عن العوالم الأخرى بـــأنه – لما أوتي من عقل وادراك – يستطيع أن يعي الوجه المأساوي لعمل هذين العاملين وأثرهما في حياته وفي الوجود من حوله ووعي الإنسان لهذين العاملين وأثرهما في الحياة والأشياء يجعله قادراً على مواجهة الحياة ومباهجها المؤقتة .(٢٣)

ويرى الامام علي (ع) ان اول مايجب تعليمه للاجيال الجديدة هو القرآن الكريم وتفسيره لاشتماله على كل ما يحتاج اليه الانسان.

وقد قال الامام الحسن (ع) : اني ابتدؤك بتعليم كتابه عز وجل وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه ولا احاوز ذلك على غيره (٢٤).

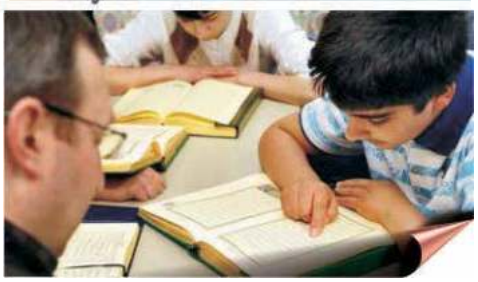

هوامش البحث ومراجعه

١- باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص٤١، عن تاج العروس، ج١، ص٢٦١.
٢- سليمان، كامل والعبد الله، علي: التربية، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٦٥، ص١٧٦-١٧٧.
٣- المصدر نفسه، ص١٧٦-١٧٧.
٤- نفس المصدر.
٥- الغزالي، رسالة أيها الوالد، ترجمة توفيق الصباغ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة ١٩٥١، ص٣٧.
٦- ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ترجمة متى عقراوي، وزكريا ميخائيل، طبعة محددة لأغراض دراسية، بيروت، ١٩٧٠، ج١، ص١٢.
٧- علي ابن ابي طالب – نهج البلاغة – الشريف الرضي شرح محمد عبدة – تحقيق عبد العزيز سيد الاهل ج٢ بيروت دار الاندلس د.ت ص ٤٧٥
٨- عبد الرحمن عبد الله – النظرية التربوية – جامعة الملك سعود – مركز البحوث النفسية – ١٩٨٢ ص٥٩.
٩- ابو حامد الغزالي – ميزان العمل – تحقيق سليمان دنيا طبعة القاهرة – دار المعارف ١٩٦٤ ص ٢٣٧ .
١٠- عمر محمد الشيباني – فلسفة التربية – فلسفة التربية الاسلامية ط١ ١٩٨٨ ص٢٨٠
١١- بلدي، نجيب ديكارت، دار المعارف، بمصر سنة ١٩٦٨، ص٦٥.
١٢- علي ابن ابي طالب – نهج البلاغة شرح محمد عبدة ج١ ص٢٢٠
١٣- المرجع نفسه – ج١٨ ص١٥٧.
١٤- المرجع نفسه ج٦ ص٩٧.
١٥- محمد بن عبد البر القرطبي – جامع بيان العلم وفضله – ج١ ص٥٧١ – بيروت – دار الكتب العلمية د.ت
١٦-علي ابن ابي طالب – نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد ج١٨ ص٢٥٠
١٧- مسلم ابن الحجاج – صحيح مسلم ج٦ (القاهرة دار الحديث ١٤١٩ هـ) ص ١١٩
١٨-علي ابن ابي طالب – نهج البلاغة – شرح محمد عبدة ج٣ ص٤٢٩
١٩- المرجع نفسه ج٤ ص٥٢٢
٢٠- ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ص٥٦١.
٢١- انظر ح، ج٢٠، ص٢٥٩.
٢٢- الرسائل، ج٤، ص٨٤.
٢٣- أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، القاهرة، سنة ١٩٦٢م، ج٢، ص٦٠.
٢٤- محمد هادي العفيفي الاصول الثقافية للتربية ط١١ (دار المعارف -١٩٧٦م) ص١٢٣

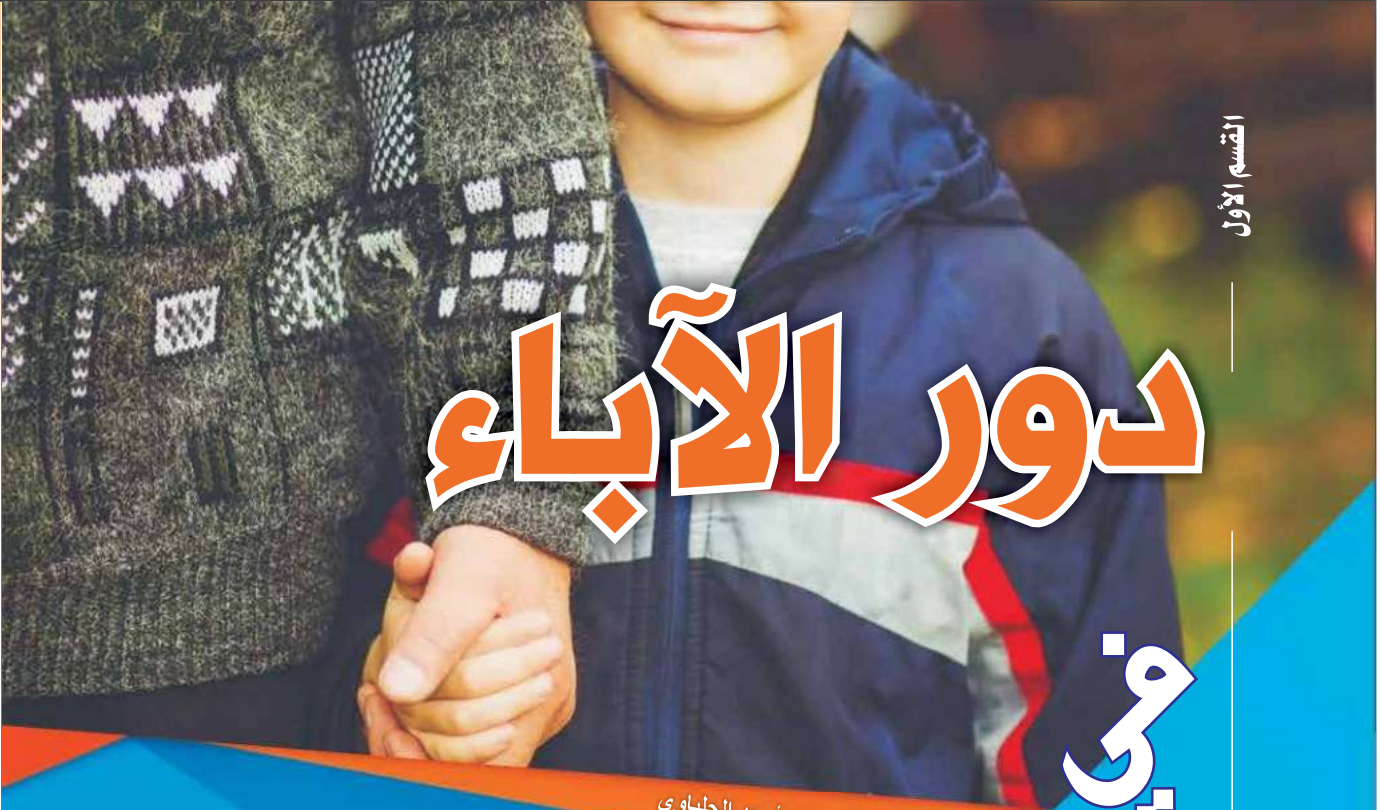

دور الآباء في تثقيف أولادهم بثقافة الإسلام الأصيلة على ضوء الآيات والروايات الشريفة لأهل البيت

■ الشيخ الدكتور علي أسعد الحلباوي

المقدمة

إذا أردنا أن ندرسَ المجتمعاتِ البشريّة، وما وصلتْ إليه من تطوّرٍ في حركةِ الفكرِ وما آلتْ إليه من ازدهارٍ وعُمران، ووقفنا على أسبابِ هذا التطوّرِ في مراحلِ التاريخِ لوجدنا أنَّها كانت نتيجةً لمبادئ تربويّةٍ أثّرتْ في النفوس، وفتحتْ آفاقَ العقولِ حتى وصلتْ إلى ما وصلتْ إليه.

الإنسانُ لا يمكنُهُ أن يبلغَ النضجَ الفكريَّ من دونِ أن توفّرَ له تربية تؤثّرُ في تنميتِهِ وتوعيتِهِ وبناءِ شخصيّته.

والتربيةُ قاعدةٌ تسهمُ في تطويرِ الإنسانِ فكريّا ونفسيّا وماديّا وتغرزُ نزعاتٍ خيّرةً في النفوسِ وتقتلعُ أخرى شريرة.

تهدفُ التربيةُ إلى تنميةِ الإنسانِ روحيّاً وفكرياً ونفسياً واجتماعياً، وتهذبُهُ ضمنَ مبادئ تتكاملُ مع تكوينه، وتربطُهُ مع الله، وتُنمّي في سلوكِهِ العاداتِ الصالحةَ والأخلاقَ الكريمة.

والدينُ بما يحمل من مبادئ تربويّةٍ سلوكيّةٍ تسعى إلى بناءِ شخصيّةِ الإنسانِ وتكوينِ حياتِهِ الفرديّةِ والاجتماعيّةِ السليمةِ بين أبناءِ البشرِ ليوجدَ الأمن والاستقرار في الأرض، ويزيلَ أسبابَ الانفعال – من تسلّطٍ وحروبٍ ودمار– وأيّةُ أمّةٍ من الأممِ أو شعبٍ من الشعوبِ تخلّوا عن الدينِ إلاّ وأصابَهُمُ الضعفُ والهوانُ والتفكّكُ في حياتِهِمُ الفرديّةِ والاجتماعيّة.والتربيةُ بما تمثلُ من دورٍ في الحياة، فهي مبدأ من مبادئ الأديانِ وسنّةٌ من سننِ الأنبياء، وقد استفادَ المسلمونَ الأوائل من القرآنِ الكريمِ بما فيه من توجّهاتٍ تربويّةٍ بالإضافةِ إلى الإرثِ الذي تركَهُ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّةُ (عليهم السلام) من متونٍ تربويّةٍ وأخلاقيّةٍ تساعدُ على استنباطِ النظريّاتِ التربويّةِ الكاملةِ والشاملة. وكلُّ ما توصّلَ إليه علماءُ التربيةِ الحديثةِ من نظريّاتٍ تربويّةٍ سبقَ الإسلامُ الإشارةَ إليها بمصادرِه (القرآن والسنّة)، ومارسَها المسلمونَ منذ القرنِ الأولِ للهجرة، ونظروا إليها بأعمقِ مما ينظرُ علماءُ التربيةِ الحديثة، وكان علماءُ التربيةِ في الإسلامِ يحملونَها على مفهومي التهذيبِ والتعليم، بينما علماءُ الغربِ في التربيةِ الحديثةِ يحملونَها على مفهومِ التعليم، وإن كانوا ينظرونَ إلى التهذيبِ فإنّما ينظرونَ إليه نظرةً ماديّة.

ولمّا تخلّى المسلمونَ عن الدينِ "منهاج الحياة" ولحقوا بالغربِ فاستوردوا مناهجَهُ خاصّةً التربويّة، آل أمرُهُم إلى التخلّفِ والتفرّق. ومع كلِّ هذا فإنَّ ما تركَهُ علماءُ الإسلامِ من تراثٍ فكريٍّ، خاصّةً في مجالِ التربية، لو قُيّدَ العملُ به لأغنى الفكرَ الإنسانيّ، وأثراهُ بكلِّ جوانبِهِ العلميّةِ والتربويّة، وملأ فراغاً من صفحاتِ الفكرِ الإسلاميّ، واستُنبطَ من أصولِهِ النظريّاتُ التربويّة، ولكن للأسفِ لم يُعملْ به خاصّةً في مناهجِ المسلمينَ الحديثة.

اهمية البحث

٦٠

بـذلَ علماءُ التربيةِ فيما مضى جهوداً في مجالِ إثباتِ الفكرِ التربويِّ الإسلاميّ، لكنّهُ لا يمكنُ القول إنَّ ما جاؤوا بـه - بالقياسِ إلى ما وصلَ إليه الفكرُ التربويُّ الحديثُ من تقدّمٍ على صعيدِ العلوم، ومناهجِ الحياةِ القائمةِ على نظريّاتٍ تربويّةٍ وفلسفيّة - كافٍ لقولِ كلمةِ الفصلِ في مختلفِ قضايا الفكرِ المعاصرة. فمجالُ اهتمامِهم لم يصلْ إلى وضعِ الأصولِ النظريّةِ للفلسفةِ التربويّة، ولم يعتنوا بها عنايةً تستحقّها في وقتٍ كتبوا بإسهابٍ عن الحضارةِ الإسلاميّة

وكان من الضرورةِ بثُّ روحٍ جديدةٍ في علمِ التربيةِ الإسلاميّةِ تخوّلُهُ النهوضَ بما يوكلُ إليهِ من أعباءِ المساعدةِ والتأسيسِ لمجملِ الفكرِ بنظرةٍ فلسفيّةٍ تمكّنُهُ من مماشاةِ التطوّرِ في الفكرِ التربويِّ يوصلُ إلى المعرفةِ ويكشفُ عن الحقائقِ المنسجمةِ مع الفطرةِ الإنسانيّة، ويربّي في الإنسانِ الأخلاقَ والقيمَ والآداب.

من هنا كان لابدَّ من الدعوةِ إلى صياغةِ الفكرِ التربويِّ خاصّةً الإسلاميّ، عبر فهمِ جوهرِ النصوصِ الإسلاميّةِ بمجملِ أضلُعِها، من موضوعٍ وغايةٍ ومنهجٍ ومبادئ ومسائلَ وعواملَ وأساليب، لتجديدِها على ضوءِ المعطياتِ الثقافيّةِ والفكريّةِ والفلسفيّةِ والعلميّةِ الحديثة، وتقديمِ فكرٍ تربويٍّ لديهِ القدرةُ على استيعابِ كلِّ جديد، وصَهرِه على قاعدةِ -

-مدماك القديد!!!!!!!، لإخراجِ فكرٍ تربويٍّ حلّةٍ جديدةٍ يواكبُ كلَّ تطلعاتِ الإنسانِ بما يُرضي اللهَ تعالى.

البحث الذي بين أيديكُمْ يحاولُ بجهدٍ متواضع ان يلقي الضوء على تربية الابناء ودور الاباء في تثقيف اولادهم بالثقافة الاسلامية الاصيلة على ضوء الايات الشريفة والروايات المباركة لاهل البيت (عليهم السلام) ضمن دراسة علمية تساهم في اغناء الفكر التربوي وتسهل الاطلاع والبحث لمن يرغب الخوض في مسائل التربية بغية وضع لبنة في بناء الفكر التربوي من جديد .

مصادر البحث ومنهجه

من الطبيعيِّ أنَّ ما كتبَ عن التربيةِ في الإسلام، لا يعدو كونُهُ مجموعةً من الأفكارِ المتناثرةِ في بطونِ الكتبِ هنا وهناك، وبغيةَ لمِّ شتاتِ الأفكارِ ورسمِ معالمَ عامّةٍ وخطوطٍ عريضة، أستفيدَ ممّا كُتبَ ونُشرَ في هذا المجال، وممّا ألقيَ الضوءُ على هذا الموضوعِ الحيويِّ ضمنَ الإمكاناتِ المتاحةِ والمصادرِ المتوفرة.

أمَّا المنهجُ المعتمَدُ في هذا البحثِ فهو المنهجُ العلميُّ والتاريخيّ، وفي معالجةِ القضايا وفهمِ النصوصِ فقد اعتمدَ على منهجِ التحليلِ والتركيب.

التبويب: يقسم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: ويتناولُ العناوين الأتية:

- تعريفُ التربيةِ وتطوّرُ مفهومِها
- وماهيّتُها ودائرةُ فروعها.
- موضوعُ التربيةِ والحاجةُ إليها.
- أهميّةُ التربيةِ على الصعيدِ الفرديِّ والاجتماعيّ.
- أهدافُ التربيةِ ومعيارُها على ضوءِ الرؤيةِ الإسلاميّة.
- منابعُ أهدافِ التربية.
- مهمّةُ التربيةِ والوظائفُ التي تقوم بها.
- عناصرُ التربيةِ وشروطُ نجاحِها.

نجاحُ عناصرِ التربية.

الفصل الثاني: ويشتملُ على العناوينِ الأتية:

عواملُ التربيةِ الخارجيّةُ (الخارجةُ عن إرادةِ الإنسانِ: البيئة والوراثة)، والداخليّةُ (الخاضعةُ لإرادةِ الإنسانِ "العاملُ النفسيُّ والفكريُّ والأخلاقيّ")، وأثرُها على التربية.

مراحلُ التربيةِ على ضوءِ التربيةِ الإسلاميّةِ والحديثة.

أساليبُ تربيةِ الأبناء، وطرائقُ تعليمِهم وتدريسِهم بين التربيةِ الحديثةِ والتربيةِ الإسلاميّة.

أساليبُ تهذيبِ الأبناءِ بين البناءِ والإصلاحِ على ضوءِ الرؤيةِ الإسلاميّة.

الخاتمة: وفيها ما توصل إليه البحث، والمنهج المتبع.

شغلت التربيةُ منذ القدَمِ حيّزاً واسعاً من فكرِ العلماءِ من الفلاسفةِ والحكماءِ الذين قاموا بجهودٍ وافرةٍ من أجلِ بناءِ الإنسانِ وإصلاحِهِ سعياً للتغيرِ نحو الأفضل. وبذلَ المربّونَ منهمُ الجهدَ الحثيثَ في تهيئةِ ظروفِها ومستلزماتِها. وشكّلوا لها علماً يبيّنُ معالمَها. ومع اتساعِ حركةِ العقلِ البشريِّ في البحوثِ التربويّة، أدّى إلى أمريْنِ اثنيْنِ أولُهُما إيجابيٌّ وثانيُهُما سلبيّ.

أمّا الأول: فإنّ إنتاجَ العقلِ البشريِّ عبرَ الزمن، والتجاربَ والتأملاتِ التي قام بها، أدّيا إلى تراكُمِ الفكرِ الإنساني، فكان له قيمةٌ أغنتِ الإنسانيّةَ بما تحتاجُ إليه، وفتحتْ آفاقَ المعرفةِ خاصّةً في الجانبِ التربويّ، فيما الكثيرُ من الأمورِ المجهولةِ أصبحت معلومة، ونقلتِ الإنسانَ من آفاقِ الجهلِ إلى المعرفة.

وأمّا الثاني: إحتوى الإنتاجُ الفكريُّ الذي وُلدَ في الحقلِ التربويِّ على الغثِّ والسمين، والواضحِ والمُبهم، والصحيحِ والخطأ، ما أثّرَ على المبنى الحقيقيِّ للفكرِ وزادَ في إبهامِهِ وغموضِه.

فكانتِ الحاجةُ إلى رفعِ الإبهامِ الحاصلِ من تراكمِ الفكرِ الذي استعملَ ضمنَ قوالبَ لفظيّةٍ ونقوشٍ تعبيريّة، تختلفُ من زمنٍ إلى زمن، ومن لهجةٍ إلى لهجة، ومن ثقافةٍ إلى أخرى، فكانتِ الحاجةُ إلى واسطةٍ تعرّفُ المعنى المرادَ من التربيةِ لرفعِ الإبهامِ جراءَ تراكمِ الفكرِ الذي أنتجَهُ العلماءُ والفلاسفة، حيث عدمُ تبيينِهم لقصدِهم من جهة، واختلافِهم بالمفاهيمِ من جهةٍ أخرى كشفَ عن الحاجةِ للتعريف.

أ- التربية في اللغة: من فعل "ربا": أي نما وزاد كما أشار التنزيل الحكيم "... فإذا أنزلْنا عليها الماءَ اهتزّتْ وربَتْ وأنبَتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ". سورة الحج، ٥.

بمعنى نمَتْ وزادَ فيها النباتُ لمّا توفّرَ لها الماء. ونقول: رُبّي في بني فلان، أي نشأ فيهم. ونقول: ربّاه بمعنى نَشّأَهُ ونمّى قواهُ الجسديّةَ والعقليّةَ والخلقيّة. ونقول: ربّى ولدَه: أي أحسنَ القيامَ عليه حتى أدرك.(١)وفارق الطفولة.

وكلمةُ التربيةِ من الرَّبُ: والرَّبُ مصدرٌ مستعارٌ للفاعل، ولا يُقالُ حقيقةً إلا لله تعالى، ولكن تُستعارُ للقولِ ربُّ الدارِ أو ربُّ الإبل. وأشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك "وقالَ للذي ظنَّ أنّهُ ناجٍ منهُما اذكُرني عندَ ربِّكَ...". يوسف، ٤٢.

كما واختصت كلمةُ الرَّبِّ والرَّابةِ بأحدِ الزوجيْنِ إذا تولّيا تربيةَ الولد.

يُستفاد من هذه التعريف: أنّ التربيةَ هي تعهدُ الطفلِ وتنميتُهُ بالتغذيةِ والرعايةِ من الصغر، والإشرافُ على تربيتِهِ والإحسانُ إليه بالصناعةِ والتأهيلِ الجسديِّ والنفسيِّ والعقليِّ ليصبحَ مؤهّلاً ليتحمّلَ المسؤوليّة، ويصلُ إلى أعلى المراتبِ وأشرفِها، وهذا ما أشار إليه تعالى في موضوعِ النبيِّ موسى (عليه السلام): "قالَ ألَمْ نُربِّكَ فينا وليداً...". الشعراء، ١٨.و"واصطنعْتُكَ لِنَفْسي". طه، ٤١.

ب- التربية في الاصطلاح:

إختلفَ العلماءُ والفلاسفةُ في تحديدِها فعرَّفَها أفلاطونُ كما جاء عنه: "التربيةُ إعطاءُ الجسمِ والروحِ كلَّ ما يمكنُ من الجمال، وكلَّ ما يمكنُ من الكمال". إنَّهُ يحصر في تعريفِهِ التربيةَ بالتربيةِ البدنيّةِ بتحصيلِ الجمالِ الجسديِّ كمعيارٍ للكمالِ النفسيّ.

وعرَّفها إخوانُ الصفاءِ كما جاء عنهم بأنّها مجموعةُ الأمورِ التي تدخلُ في بناءِ الشخصيّةِ الروحانيّةِ للإنسان. بتعريفِهِم هذا حصَروا التربيةَ بالعناصرِ الروحيّةِ التي تساعدُ على بناءِ الشخصيّة، وتحوّلها من القوّةِ إلى الفعلِ لما تمتلكُهُ من قابليّة.

وعرَّفَها العالمُ التربويُّ الإنجليزيُّ سبنسر: "التربيةُ هي كلُّ ما نقومُ بهِ من أجلِ أنفسنا، وكلُّ ما يقومُ بهِ الآخرونَ من أجلِنا بغيةَ التقرّبِ من كمالِ طبيعتنا... والمثلُ الأعلى في التربيةِ هو أن نُزوِّدَ الإنسانَ بإعدادٍ كاملٍ للحياة". كما وعرَّفَها بستالوتزي بالقول إنَّ "التربيةَ تنميةُ كلِّ قوى الطفلِ تنميةً متلائمَة".

يُفهمُ من هذه التعاريفِ الاصطلاحيّةِ أنَّ التربيةَ هي عملٌ يُسعى من خلالِهِ الوصولُ بالمُتربّى إلى الهدف، ضمنَ خطّةٍ نابعةٍ من دينٍ أو عقيدةٍ أو فكرٍ نابعٍ من فلسفةٍ تسعى لاكتشافِ القابليّات، والمهاراتِ وتنميتِها وتحريرِها من القيودِ للاستفادةِ منها بطريقةٍ أفضلَ للوصولِ بالمُتربّى إلى الكمال، والتكاملِ في النموِّ والرشدِ في كلِّ الجوانبِ الجسديّةِ والروحيّةِ والعقليّةِ والأخلاقيّة، الفرديّةِ والاجتماعيّة.

نستوحي من هذه التعاريفِ أنَّ التربيةَ في النظرةِ الإسلاميّةِ أشملُ وأعمقُ من النظرةِ الغربيّة، لأنَّ الأخيرةَ أكثرُ ما تلحظُهُ في التربيةِ هو الجوانبُ الظاهريّةُ والماديّة، وقلّما تنظرُ إلى الأمورِ الداخليّةِ والروحيّةِ على صعيدِ النفسِ إلا ما يخدمُ نظرتَها الماديّة، وهذا ما أشارَ إليه العالمُ الأمريكيُّ الكسيس كاريل "كلّما تقدَّمنا في الأمورِ العلميّةِ تأخّرنا بالأمورِ المعنويّة".

لكنَّ الإسلامَ يلحظُ في التربيةِ التوازنَ بين الجانبيْنِ الماديِّ والمعنويّ، لأنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى لم يخلقِ الإنسانَ بقواهُ الماديّةِ والروحيّةِ عبثاً، بل برعايتِهما وتطويرِهما، وتعميقِ فعاليتِهما ليكونا معبراً للحياةِ السعيدةِ في الدنيا والآخرةِ انسجاماً مع الحديثِ الشريفِ للنبيِّ محمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم): "الدنيا مزرعةُ الآخرة". وهذا ما اكتشفَهُ العالمُ التربويُّ فردريك بقولِهِ "العلمُ وحدهُ ليس كافياً، نحن نحتاجُ إلى الأخلاقِ الواقعيّةِ والمعنويّةِ الحقيقيّة، وعندما يُستخدمُ العلمُ في طريقِ سلامةِ البشريّة، وعندما تتحدُ التربيةُ والفلسفةُ والدينُ معاً، عندها فقط سوف تُشرقُ مرحلةٌ جديدةٌ على البشريّة".

و خلاصةُ ما يُستشفُّ من هذه التعريف:

أنَّ التربيةَ في الإسلامِ تعني البلوغَ بالإنسانِ إلى التطور بالتدريج، من خلالِ تطور جسدِهِ بالنموِّ وتنميةِ عقلِهِ بالمعارفِ وتهذيبِ نفسِهِ بالأخلاق، لأنَّ موضوعَ التربيةِ هو الإنسان، الذي هو خليفةُ اللهِ تعالى على الأرض، والتعاليمُ الإسلاميّةُ جاءت لتربّيهِ تربيةً تتناسبُ مع مهمّةِ الخلافةِ بكلِّ جوانبِها المختلفة.

٢- تطور مفهوم التربية

شهدتِ التربيةُ عبرَ الزمنِ تطوراتٍ هامّةً نتيجةً للتحوّلاتِ الاجتماعيّةِ من جانب، واتساعِ مفهومِها من جانبٍ آخر. من أهمِّ هذه التحولات:

أولاً: إنتقالُها من مرحلةِ الجهدِ الفرديِّ غيرِ المنَّظمِ - عندما كانت مسؤوليّةَ الأسرة - إلى مرحلةِ الجهدِّ الاجتماعيِّ المنَّظمِ والمخطّطِ لهُ عبرَ برامجَ وقوانينَ وتشريعاتٍ تُنظِّمُها وتُرسي قواعدَها، وتُشرفُ عليها مؤسساتٌ خاصّةٌ ورسميّة.

ثانياً: إنتقالُها من مرحلةِ تعليمِ الصفوةِ التي كانتْ مقتدرةً اقتصاديّاً واجتماعيّاً إلى تعليم كلِّ الناسِ لأنَّ التربيةَ حقٌّ لكلِّ إنسانٍ تعترفُ بهِ المواثيقُ الإنسانيّة.

ثالثاً: إنتقالُها من كونها عمليةً يستطيعُ أن يقومَ بها كلُّ فردٍ إلى كونها عمليّةً مهنيّةً تتطلبُ الإعدادَ والتمرين، وهذا ما انتهجَتْهُ المؤسساتُ الخاصّةُ والعامّة في تأهيلِ المُربّين والمعلّمين.

رابعاً: إنتقالُ مفهومِها إلى اتجاهيْنِ اثنيْنِ حسبَ النظرةِ العلميّةِ والدينيّة:

الاتجاه الأول: إتجاه تعليمِ المعارفِ العلميّة.

وتلقينِ الفردَ أو الجماعةَ المعانيَ والخبراتِ والمهاراتِ عبرَ البيانِ والتصوّرِ والإشارةِ والاستدلالِ والمقارنةِ والاستنتاجِ عن طريقِ المطالعةِ والتأمّلِ والتفكّرِ والتدبّر.

وهذا الاتجاهُ يعتمدُ على التجربةِ والتعقّل، يُنقلُ فيه التراثُ والثقافةُ العلميّةُ والتقييمُ والنقد.

والاتجاه الثاني: إتجاهُ توجيهِ السلوكِ الإنسانيِّ إلى القيمِ والمُثُلِ والفضائلِ الأخلاقيّةِ على أساسِ الدين، وذلك إمّا بطريقةِ البناء، وإمّا بطريقةِ الإصلاحِ من الفسادِ وإعادةِ البناء.

٣- ماهية التربية

وفقاً لما قيلَ عن التربيةِ من آراءٍ وتعريفَات فإنَّها:

علم: لهُ هدفٌ وأسلوبٌ وموضوعٌ تُطرحُ فيه نتاجاتٌ عقليّة، ونظريّةٌ يمكن دراستَها بالمشاهدةِ والبرهان.

فلسفة: يُبحثُ فيها الأهدافُ والغايات، وتُطرحُ فيها الأسسُ والقواعدُ المنطقيّةُ والاستدلاليّةُ على أسسٍ ومعطياتٍ فلسفيّة.

فنٌّ: يُبيَّنُ فيه كيفيّةُ البناءِ وشكلِه، وطريقةُ الإصلاح، وأسلوبُ النموِّ باستخدامِ فنونِ المراقبةِ والمحاسبةِ والمساءلة.

مهارة: تتضمّنُ لطافةَ الأعمالِ الدقيقة، ومهارةَ المسائلِ الفنيّةِ والتقنيّةِ في البناءِ والإصلاح.

صناعة: يُصنعُ فيها مضمونُ الإنسانِ الخامِّ بموادٍّ ويحوّلُ كيفما يُراد.

خدمة: تُقدَّمُ للفردِ والمجتمعِ والبلدِ وتؤدّي إليهِمُ الرشدَ والرقيّ، وتسهّلُ لهُمُ البناءَ الحرّ.

٤- فروع التربية

يتفرّعُ عن التربيةِ فروعٌ عديدة:

فلسفةُ التربية، وعلمُ الاجتماعِ التربويّ، وعلمُ النفسِ التربويّ، وتاريخُ التربيةِ والاقتصادِ التربويّ، وعلمُ الأحياءِ التربويّ، والتربيةُ التطبيقيّة، وعلمُ جغرافيا التربية، وعلمُ سياسةِ التربية، وعلمُ تربيةِ الحقوق.

٥- موضوع التربية

لكلِّ علمٍ موضوع، والتربيةُ علمٌ موضوعُهُ الإنسان، ويبحثُ عن:

كيفيّةِ بناءِ شخصيّته، وسلوكِهِ وأفعالِهِ وتصرفاته، والأساليبِ التي يجبُ أن يتعلّمَها، والرؤيةُ التي يمتلكُها عن الكونِ والحياة، ليصلَ من خلالِها إلى الغاية، وتحقيقِ الهدفِ الذي تصبو إليه طبيعةُ الإنسانِ الذاتيّةِ والخارجيّةِ على ما هو عليه، والسعي لإيجادِ الطرقِ الإيجابيّةِ التي تساعدُ على إيجادِ ما لم يكن موجوداً فيه عن طريقِ التعديلِ والتطويرِ في السلوك، أو التعليمِ والاكتساب، واكتشافِ ما هو موجودٌ بالقوّةِ بالخروجِ إلى الفعل.

٦-أهميّة التربية

حظيتِ التربيةُ باهتمامِ المربّينَ منذُ القِدَم، لما تلعبُهُ من دورٍ هامٍ في حياةِ الإنسان، وتبرزُ أهميّتُها وقيمتُها على الصعيدينِ الفرديِّ والاجتماعيِّ من خلال:

أولاً: على الصعيد الفردي

تبرزُ أهميّةُ التربيةِ على صعيدِ الحياةِ الفرديّةِ في بناءِ الشخصيّةِ من خلال:

أ - تنميةُ القدراتِ والمهارات: يحملُ الإنسانُ في بُنيتِهِ التكوينيّةِ قدراتٍ ذاتيّةً قابلةً لاكتسابِ المهارات، والتربيةُ تساعدُ على بلورةِ القدراتِ والطاقات، لتبرزَ من خلالِها المهارات، وتوجّهُها نحو الكمالِ والجمالِ إلى أقصى ما هو مهيّأ له، والتربيةُ تنتجُ المادّةَ الأوليّة؛ الكنزَ الثمينَ (٢)في أعماقِ الإنسان، وتنمّي مهاراتِه، وتربّي جميعَ أبعادِهِ المتعلقةِ بالجسمِ والذهنِ والنفسِ والعواطفِ والعقل، وتحرّرُهُ من المضايقاتِ والظلماتِ والنواقص حتى يصلَ إلى لقاءِ اللهِ تعالى.

والتربيةُ تحرّرُ القدراتِ وتنمّيها وتوجّهُها نحو المسيرِ التكاملي، وتبنّي الأرضيّاتِ الباطنيّة، فتساعدُ على غلقِ طرقِ الفساد، وتقوّي الإرادة، وتدفعُ إلى السيرِ نحو طريقِ الصلاح، وتهيّئ موجباتِ القطعِ واليقينِ للوصولِ إلى الحجّةِ والبرهان، وقد أشارَ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) إلى ذلك بقولِه: "ما نحَلَ والدٌ ولدَهُ نِحلةً أفضلَ من أدبٍ حسَن".(٣)

ب - تعديلُ الغرائز: خلقَ اللهُ الإنسانَ وجعلَ فيه الغرائز، وجعلَ فيها قابليةَ النموّ، وجعلَها تتأثرُ وتؤثرُ في توجيهِ الإنسان، والجنوحِ به نحو الانحراف، فكانتِ الحاجةُ إلى وجودِ ضابطٍ يكبحُ الجماحَ ويعدّلُ الميلَ فيها، لأنّنا لا نستطيعُ التخلّصَ منها والقضاءَ عليها لأنّها حاجةٌ ضروريّةٌ في الإنسان، ومن هنا جاءتْ أهميّةُ التربيةِ لدورِها في تهذيبِ الغرائزِ وتعديلِ الميولِ فيها.

والغريزةُ ضروريةٌ ولا سيما الجنسيّة لأنّها "سببُ بقاءِ النسلِ ودوامِ الحياة"، (٤)ولما لها من أثرٍ قد تتخطّى الحدودَ القانونيّة، فتضرُّ بمصلحةِ الإنسان، فكان لابدّ من العملِ على تهذيبِها، لذا تقومُ التربيةُ بدورِ تعديلِ ميولِ الغريزةِ وتهذيبُها "فتضعُ أمامَها السدودَ حتى لا تصبحَ عاملَ تخريب"، (٥)بل وتوازنُ بينها لتخفّفَ من قوّةِ اندفاعِها، وهذا ما أشارَ إليه القرآنُ الكريم: "إنَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسوءِ"،سورة يوسف، ٣٥

.ويقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "لا ترَخّصوا لأنفسِكُم فتذهبُ بكم الرّخَصُ مذاهبَ الظّلَمة"، (٦)

كما ويقولُ الإمامُ الصادقُ (عليه السلام): "لا تدع النفسَ وهواها، فإنَّ هواها ردَاها، وتركُ النفسِ وما تهوى أذاها، وكفُّ النفسِ عمّا تهوى دواها"،(٧)والتربيةُ في ذلك دواها، وهذا ما أشارَ إليه الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) بقوله: "وإنّما نفسي أروِّضُها بالتقوى لتأتي آمنةً يومَ الخوفِ الأكبر".(٨)

ج - تنميةُ الفضائلِ وإزالةُ الرذائلِ الخلقيّة: ينشدُ الإنسانُ بطبيعتِهِ الكمال، "ولا يحصلُ عليه إلا بحصولِ أنوارِ الإيمان، وإشراقِ نورِ المعرفةِ باللهِ، وأفعالِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخر"، (٣)والوصولُ إلى هذهِ المرتبةِ يبدأ بسلوكِ الطاعاتِ

وتهذيبِ النفسِ بالفضائل، وكبحِ جماحِها عن الشهواتِ، وصيانتِها عن الرذائل.

وتأتي أهميّةُ التربيةِ لتقومَ بدورِ رسمِ الطريقِ الذي يؤدّي إلى اكتسابِ الفضائل وتنميتِها ضمنَ خطّةٍ تساعدُ على اكتسابِها من جهة، واجتنابِ الرذائلِ والتخلّي عنها من جهةٍ أخرى.

د – ضرورةٌ لبناءِ مستقبلِ حياةِ الإنسان:

يولدُ الإنسانُ ضعيفَ البنيانِ فيحتاجُ إلى مساعدٍ يُساعدُهُ على النموّ، والتعرّفِ على الحياةِ وتحسّسِ أمرِها، وتأتي أهميةُ التربيةِ لتكونَ المساعدَ والمرشدَ في النموِّ والتعهّدِ طفلاً كان أو رجلاً ليضمنَ الحياةَ السعيدة، فيكونُ دورُها مهمّاً لأنَّها "تقومُ بدورِ بناءِ مستقبلِ الفردِ (طفلاً كان أو كبيراً)، لأنَّ القيمةَ الوجوديّةَ في حياتِهِ الشريفة، وخيرُ البشريّةِ وسعادتُها رهنُ بالتربية".(١٠)

ثانياً: على الصعيد الاجتماعي

كما أنَّ التربيةَ ضرورةٌ لحياةِ الفردِ كذلك هي ضرورةٌ لحياةِ المجتمع، لأنَّها تحقّقُ التماسكَ والوحدةَ والألفةَ بين الفئات، وتُعطي المجتمعَ القوَّةَ والتغلبَ على المشكلاتِ بالتعاون. فهي تقومُ على "إعدادِ الناسِ الإعدادَ الصحيح، ورفعِ مستوى النضجِ الفكريِّ والسياسيِّ والاجتماعيّ، وتقوّي القابلياتِ عند أفرادِ المجتمعِ لأجلِ السلامِ والتغلّبِ على المشكلات، والالتزامِ بالضوابطِ الإنسانيّةِ لتحقيقِ العدالةِ والصفاءِ للبشريّة... والالتزامِ بالقوانينَ لرعايةِ الواجباتِ والحقوق(١١)". وتبرزُ أهميّتُها على الصعيدِ الاجتماعيِّ من خلال:

أ - تساعدُ على التماسكِ والوحدة: التربيةُ عاملٌ مهمٌّ لأنَّها تساعدُ على توحيدِ الطاقاتِ والاتجاهاتِ الفكريّةِ بين أفرادِ المجتمع، وتخلقُ وحدةً فكريّةً متماسكةً تُسهمُ في التنميةِ الاجتماعيّةِ للأفراد، باعتبارِهم أفراداً في علاقةٍ اجتماعيّةٍ تفرضُها عليهم أدوارُهم المتعدّدةُ في المجتمعِ كالقيامِ بدورِ المواطنةِ الصالحةِ القادرةِ على تحمّلِ المسؤوليّات، والقيامُ بالواجباتِ التي تفرضُها هذه المواطنةُ في ممارسةِ الحقوقِ والواجبات.

ب - تسهمُ بالتنميةِ الاقتصاديّة: المقوّماتُ الأساسُ للإنتاجِ الاقتصاديِّ هي اليدُ العاملةُ ورأسُ المالِ والطبيعة. فالتربيةُ لها الأثرُ الهامُّ في تنميةِ هذه المقوّماتِ من خلالِ تهذيبِ لعنصرِ البشريّ. يقول النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكلَ من عملِ يدِه، وأنَّ نبيَّ اللهِ داوودَ (عليه السلام) (١٢)

ويقول: "إنَّ أطيبَ الكسبِ كسبُ التجارِ الذين إذا حدَّثوا لم يكذبوا، وإذا ائتُمِنوا لم يخونوا، وإذا وعَدوا لم يُخلِفوا، وإذا اشتَرَوْا لم يذُمّوا، وإذا باعوا لم يُطروا، وإذا كان عليهم لم يُمطِلوا، وإذا كان لهُم لم يعسُروا". (١٣)

كما ويقولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "ليس منّا من غشَّ مسلِماً أو ضرَّهُ أو ماكرَه، من غشَّ أخاهُ المسلمَ نزعَ اللهُ عنه بركةَ رزقِه، وأفسدَ عليه عيشَه" (١٤).

وأيضاً يقولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "بئسَ العبدُ المحتكِر، يقومُ المحتكرُ مكتوبٌ بين عينيْه: يا كافر! تبوّأ مقعدَكَ من النّار". (١٥)

ويقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "طوبى لمَن ذلّ في نفسِه، وطابَ كسبُه، وصلُحَت سريرتُه، وحسُنتْ خليقتُه، وأنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من لسانِه"(١٦).

هذه النصوصُ تعكسُ إرشاداتٍ تربويّةً تحثُّ في جانبٍ منها على الفضائلِ الخلقيّةِ في إجراءِ الحركةِ الاقتصاديّة، والتمسّكِ بها، وفي جانبٍ آخرَ على تركِ الرذائلِ الخلقيّةِ في التعاملِ الاقتصادي، والإرشاداتُ التربويّةُ تساعدُ الحركةَ

الاقتصاديّةَ على الدورانِ في جسمِ الأمّة بأمان، لأنّها توفرُ الاطمئنانَ والاستقرارَ فتعكسُ الثقةَ بالمعاملاتِ فتنشطُ الحركةُ الاقتصاديةُ ويزدادُ الإنتاجُ الذي يزيدُ في الدخلِ القومي، ولذا فالتربيةُ من الناحيةِ الاقتصاديّةِ استثمارٌ للمواردِ البشريّة، وتنشيطٌ للمؤسساتِ الصناعيّة.

كما والتربيةُ ضرورةٌ لبناءِ الدولةِ العادلةِ التي يتمتعُ أفرادُها بالحياةِ الحرّةِ الكريمة.

يرفرفُ على جوانبها أعلامُ الرفاهيةِ والعدالةِ الاجتماعيّة، وتعد المدخلَ الحضاريَّ لتقدّمِ الشعوبِ لتحقيقِ عزّها ورخائها.

وهي ضروريّةٌ لإدارةِ الدولةِ من قبلِ أفرادٍ يتمتعونَ بمواصفاتٍ تربويّةٍ تغرسُ فيهم الأمانةَ والوفاءَ والصدقَ والإخلاص، مواصفاتٍ "أخلاقيّةٍ تهدفُ إلى دفعهم لزيادةِ الإنتاج، وتنميةِ المهاراتِ في العملِ وتطويرِه بما يتفقُ مع ارتقاءِ الأمّة، وتطوّرها في مجالاتها الاقتصاديّة، وتحريرها من البؤس والفقر(١٧)."

٧- أهداف التربية ومعيارها على صعيد الرؤية الإسلاميّة

أولاً: تحديد الهدف

الهدف: "هو ما يُلجأ إليه"، (١٨) والغايةُ القصوى التي ينبغي الوصولُ إليها، وبناءً على التعريف يتضحُ أنَّ قيمة كلِّ عملٍ يحدِّدُ من خلال هدفِه، وبقدرِ ما يكونُ الهدفُ شريفاً بقدرِ ما يكونُ العملُ شريفاً(١٩).

والتربيةُ عملٌ يُقامُ به، فمن الضرورةِ تحديدُ هدفِها، حتى يعلمَ المرادُ منها لأنَّ "الذي يسيرُ بلا هدفٍ لا يبلغُ الغايةَ بل يُضيعُ حصيلةَ عمرِه، ولا يجني ثمرةَ مساعيه(٢٠)."

والتربيةُ من الأعمالِ الشريفةِ لأنَّها تساهمُ في بناءِ الإنسان، وأعلى هدفٍ مقصود، هو بناءُ الإنسان، وجعلُهُ خالصاً للهِ تعالى الذي هو رمزُ سعادته، وفوزِه وفلاحِه، ولقوله "إنَّ للمُتقينَ مفازاً". سورة النبأ. ٣١

يُفهمُ من ذلك أنَّ تحديدَ الهدفِ يساعدُ على إيجادِ صورةٍ من الاستبصارِ المسبقِ للنهايةِ الممكنةِ في ظلِّ الظروفِ الحاضرةِ أو المتوقّعة.

ثانياً: أهداف التربية الإسلامية

الإسلامُ وكلُّ الرسالاتِ السماويّةِ رسالاتٌ تربويّة تهدفُ إلى تربيةِ الإنسان، وإعدادِه للعيشِ في الدنيا والآخرةِ حياةً سعيدة، متنعّماً كما أرادَهُ اللهُ تعالى أن يعيش،

ورسالةُ الإسلامِ اهتمّتْ إهتماماً بليغاً بإعدادِ الإنسانِ وتربيتِه لقولِه تعالى "يا أيُّها الذينَ آمَنوا قُوا أنفُسَكُم وأهليكُم ناراً وَقودُها الناسُ والحِجارَةُ...". التحريم، ٦ ويقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) في تفسيرِ الآية "علِّموا أنفسَكُمْ وأهليكُمُ الخيرَ وأدِّبوهُم(٢١)."

وجاء في الرواياتِ والأحاديثِ الشريفةِ توجّهاتٌ تربويّة، ما يؤكدُ اهتمامَ الإسلامِ وحرصَ المسلمينَ على تحقيقِ أهدافِ التربيةِ أثناءَ تربيةِ الأبناء، والاهتمامِ بهم. جاء رجلٌ إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسولَ اللهِ ما حقُّ ابني هذا؟ قال: "تُحَسِّنُ اسمَهُ وأدبَه، وضَعْهُ موضعاً حسناً(٢٢)."

وفي وصيةِ الإمامِ عليٍّ لولدِه الإمامِ الحسنِ (عليهما السلام) من التوجيهِ والاهتمامِ التربويِّ ما يدعو إلى المبادرةِ والعنايةِ بتربيةِ الأبناءِ وصيانتِهم من الانجرافِ والسقوط، يقول (عليه السلام): "أيْ بُني، إنّي لمّا رأيتَني قد بلغتُ سناً، ورأيتَني أزدادُ وهناً بادرتُ بوصيّتي إليك، وأوردتُ خِصالاً منها قبلَ أن يعجلَ بي أجَلي دون أن أفضيَ إليك بما في نفسي، أو أن أنقصَ في رأيي كما نقصْتُ في جسمي، أو يسبقَني إليك بعضُ غلبانِ الهوى، وفتنِ الدنيا، فتكونُ كالصعبِ النفور، وإنّما قلبُ الحدَثِ كالأرضِ الخاليةِ ما أُلقيَ فيها من شيءٍ قبلَتْه، فبادرتُكَ بالأدبِ قبل أن يقسوَ قلبُك، ويشغلَ لبّكَ لتستقبلَ بجدِّ رأيكَ من الأمرِ ما قد كفاكَ أهلُ التجارب... أيْ

بُني... ورأيتُ حيث عناني من أمرِكَ ما يعني الوالدَ الشفيقَ واجتمعتُ عليه من أدبِك(٢٣)."...

وعن الإمامِ زينِ العابدينَ (عليه السلام) في الدعاءِ قولُه: "اللهُمَّ وَمُنَّ عليَّ ببقاءِ وُلدي، وإصلاحِهم لي... إلهي أَمْدُدْ لي في أعمارِهم، وزِدْ لي في آجالِهم، وربِّ لي صغيرَهُم، وقوِّ لي ضعيفَهُم، وأصحَّ لي أبدانَهُم وأخلاقَهُم، وعافيهم في أنفسِهم، وفي جوارحِهم، وفي كلِّ ما عنيتُ به من أمرِهم(٢٤)."

تؤكدُ النصوصُ اهتمامَ الإسلامِ برعايةِ الأبناء، والعنايةَ بتربيتِهم وإعدادِهم بدءاً من علاقةِ الأبوينِ حين انعقادِ النطفةِ في رحمِ الأمّ، ونموِّها جنيناً ووليداً إلى مرحلةِ الطفولة، والصبا والمراهقةِ والاكتمال.

والإسلامُ يؤكدُ على تهيئةِ الجوِّ النفسيِّ في محيطِ الأسرةِ لاستقبالِ الأولاد، وتكوينِ علاقةِ الودِّ والمحبّةِ معهُم، بتحبيبِ الآباءِ للأبناءِ وحثِّهم على الاعتناءِ بتربيتِهم وتوجيهِهم. يقولُ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "من سعادةِ الرجلِ: الولدُ الصالح". ويقولُ الإمامُ الباقرُ (عليه السلام): "إذا أردّتَ الولدَ فقل عندَ الجماعِ: اللهُمَّ ارزُقْني ولداً واجعلْهُ تقيّاً ليس في خلقِهِ زيادةٌ ولا نُقصان، واجعلْ عاقبتَهُ إلى خير (٢٥)."

كما وردَ عنه (عليه السلام): "إذا أرادَ أحدُكُم أن يتزوّجَ... فليصلِّ ركعتيْنِ للهِ ثم يقول: اللهُمَّ أريدُ أن أتزوّجَ فقدّرْ لي في النساءِ أعفّهُنَّ فرجاً، وأحفظهُنَّ لي في نفسي ومالي، وأوسعَهُنَّ رزقاً، وأعظمهُنَّ بركة، وقدّرْ لي ولداً طيباً تجعلُهُ خلَفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي(٢٦)."

يُستفادُ من هذه النصوصِ أنَّ تربيةَ الأولادِ في الإسلامِ تعتمدُ على: إيجادِ الأمِّ أو المربّيةِ الصالحة، وتوفيرِ الجوِّ النفسيِّ المشبعِ بالحبِّ والحنان، والعنايةِ الجسديّةِ والنفسيّةِ والإيمانيّةِ والسلوكيّة، وإشعارِ الولدِ بقيمتِه وكرامتِه، والاسمِ المحبّبِ الذي هو عنوانُ شخصيّتِه، وإرضاعِهِ من لبنِ أمِّه. يقولُ الامامُ عليٌّ (عليه السلام): "ما من لبَنٍ يُرضَعُ به الصبيُّ أعظمُ بركةً من لبَنِ أمِّه (٢٧)."

وحذّرَ الإسلامُ من المرضعاتِ سيئاتِ الأخلاقِ حمايةً لأخلاقِ الطفلِ ووقايةً له من تسرّبِ عدواهُنَّ، وهذا ما أشارَ إليه الرسولُ (صلى عليه وآله وسلم) بقوله: "لا تَسترْضِعُوا الحمْقاء، فإنَّ اللبَنَ يعْدي، وإنَّ الغلامَ ينزعُ إلى اللبَنِ في الرعونةِ والحُمق (٢٨)."ويقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "أنظُروا من يَرضَعُ أولادَكُم، فإنَّ الولدَ يشبُّ عليه(٢٩)."

٨- منابع الأهداف

إختلفتِ الآراءُ حولَ تحديدِ منابعِ الأهدافِ التربويّةِ إلى أربعةِ آراء:

الأول: ومفادُهُ بـ"أنَّ أهدافَ التربيةِ تنبعُ وتشتقُّ من الفرد، لأنَّهُ موضوعُ التربية(٣٠)."

الثاني: ومفادُهُ بأنَّ أهدافَ التربيةِ تنبعُ مصادرُها وتشتقُّ وفقا لما يريدُهُ المجتمع، لأنَّ المجتمعَ له بناؤهُ الاجتماعيِّ وتركيبتُهُ السياسيّةُ والاقتصاديّةُ والثقافيّة، وله قيمتُهُ الاجتماعيّةُ وعاداتُهُ وتقاليدُهُ وهو ما يتبنّاهُ الغربُ عموماً.

يقولُ كرشن شتاينر كما تُرجم له: "يجبُ أن تُبنى أهدافُ التربيةِ على أساسِ إرادةِ وطموحاتِ الشعب، وما يريدُهُ من نظامٍ تربويّ، ويجب أن تكونَ الأسرةُ والمدرسةُ مراكزَ لممارسةِ الحياةِ الاجتماعيّة وتكونُ لدى المخطّطينَ معلوماتٌ جامعةٌ حولَ رغباتِ شعوبِهم المعاصرة، ويمارسونَ التربيةَ على ذلك الأساس(٣١)."

الثالث: ومفادُهُ بأنَّ أهدافَ التربيةِ تنبعُ مصادرُها من الفلسفةِ السائدة، وهذا ما ذهبَتْ إليه الشيوعيّة والاشتراكيّة.

الرابع: ومفادُهُ بأنَّ أهدافَ التربيةِ تنبعُ مصادرُها من موازينِ العقلِ والعلم.

لكن هذه الآراءَ لا تصلحُ أن تكونَ منابعَ حقيقيّةً تحدّدُ أهدافَ التربية، وذلك لما يردُ عليها من إشكالات:

فالرأي الأول: "لا يصلحُ أن يكونَ المصدرَ الحقيقيَّ، وذلك "لأنَّ الفردَ مهما كان واعياً، ومن أهلِ الرأي فإنّهُ لا يستطيعُ أن يستخرجَ أهداف التربية لعجزِهِ عن معرفةِ كلِّ الأهدافِ التي تلبّي الحاجات، وغيرُ مُصانٍ عن الانجرافِ والخطأ والاشتباهِ من جهة، وليس باستطاعتِهِ رؤيةُ الماضي والمستقبل، كما لا يمكن الوثوقُ بإخلاصِ نيتِهِ وصدقِهِ من جهة أخرى، لأنَّ الكثيرَ باعوا أنفسَهُم، واشتروْا رضا أسيادِهم(٣٢)."

أمّا الرأي الثاني: فإنَّهُ لا يصلحُ أن يكونَ منبعاً لتحديدِ أهدافِ التربية، لاختلافِ "الفلسفاتِ الاجتماعيّةِ في تفسيرِ العلاقةِ بين الفردِ والمجتمع، ويترتّبُ على هذا الاختلافِ اختلافٌ في تحديدِ الأهدافِ التربويّة، فقد يُنظَرُ إلى المجتمعِ على أنَّهُ هدفٌ في ذاته، والفردُ ما هو إلا خادمٌ للمجتمعِ ومحققٌ لمصالحِهِ بصرفِ النظرِ عن مصلحةِ الفردِ نفسِه، واهتماماتِهِ الشخصيّة، وهي وجهةُ النظرِ التي تسودُ الدولَ الجماعيّة(٣٣)."

أمّا في المجتمعِ الغربيِّ فيُنظرُ إلى المجتمعِ على أنَّهُ المحققُ والخادمُ لأهدافِ الفرد، لأنَّ الفردَ هو أساسُ المجتمع، فلو وُضعَتِ الأهدافُ فإنَّها تحققُ مصلحةَ

الفردِ أكثرَ ما تحققُ مصلحةَ المجتمع.

أمّا الرأي الثالث: فإنَّهُ "نوعٌ من الادعاءِ النظريّ، إذ قد تكونُ هناك مستلزماتٌ وأرضيّةٌ منحرفةٌ من الناحيةِ العملية، ويمكنُ القولُ على سبيلِ المثالِ إنَّ ما هو مطروحٌ في الاتحادِ السوفياتي هو ماركسي بالاسم، وفي العملِ عبارةٌ عن أنماطٍ فكريّةٍ ملتقطةٍ من الآخرين(٣٤)."

أمَّا الرأي الرابع: فإنَّه "ادّعاءٌ وإن كان صادقاً في حدودٍ قليلةٍ جداً، فهو عمليّاً يمثلُ إرادةَ ورأيَ عددٍ قليلٍ من المشهورينَ الذين يؤطّرونَ وجهاتِ نظرِهم باسمِ العلم، ويقدّمونَها للاستهلاك، وإلا فالشيءُ الذي يدخلُ في معيارِ العقلِ السليمِ والعلمِ لا يمكن أن يسبّبَ كلَّ هذه الخسائر(٣٥)."

وأمام هذه الآراء، فإنَّ للإسلامِ رأياً أبعدُ منها، حيث يطرحُ أنَّ المصادرَ التي تنبعُ منها الأهدافُ هي إرادةُ اللهّ تعالى، الواردةُ في كتبِهِ وعلى لسانِ أوليائه، أو أنَّ اللهّ هو الذي يحدّدُ الأهدافَ ويرسمُها في القرآنِ الكريمِ وتبيّنُها السنّةُ النبويّةُ الشريفة.

إلا أنَّ إراداتِ الفلسفات، والفردِ والمجتمع، والشعبِ والعلمِ المتقن، والعقلِ السليمِ يمكنُ أن تحظى بالتأييد، مادامتْ في مسيرةِ الحقِّ والصواب، وهي قائمةٌ على أسسِ وضوابطِ الشرع.

٩-مهمة التربية ووظائفها

المهمّةُ هي الوظيفة (٣٦)التي يقومُ بها الإنسانُ وصولاً الى الهدفِ المنشودِ "والإنسانُ مخلوقٌ لائقٌ بالوصولِ إلى الهدف، وهو أعلى مراتبِ الكمال، والتربيةُ وسيلةٌ مساعدةٌ للوصولِ إلى الهدف(٣٧)."

يُفهم من ذلك أنَّ التربيةَ من المنظورِ الفلسفيِّ تسعى للقيامِ بالمهامِّ الوظائفيّةِ التي يراها العقلُ مناسبةً للوصولِ إلى الهدف، وتقومُ التربيةُ بالوظائف الأتية ..

أولاً: بناء مقوّمات الإنسان

الإنسانُ حينما يولدُ طفلاً يكونُ خالياً من كلِّ الأمورِ، عدا (نوعيْنِ من المعلوماتِ "الفطريّةِ والغرائزيّة"، التي لا يمكنُ تجاهلُهُا)، وفيه القابليّاتُ لكلِّ شيء

"... فِطرةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها...". سورة الروم، ٣٠.

الإنسانُ فيه قابلياتُ النموِّ من الجانبيْنِ (ماديّاً ومعنويّاً)، والنموِّ عبر المؤثراتِ يكوّنُ البنيةَ البنيويّةَ له، طفلاً كان أم كبيراً، ولا يستطيعُ أن يكوّنَ البنيةَ البنيويّةَ لوحده، بل يحتاجُ إلى متعهّدٍ يقومُ بمهمّةِ الرعايةِ والإعدادِ والبناءِ "الجسديِّ والروحيِّ والفكريِّ والنفسيِّ والخلقيِّ، والفرديِّ والاجتماعيِّ خاصة في صغره".

التربيةُ تقومُ بهذه الوظيفةِ عبر رسمِها الأسس، والمنطلقاتِ العامّةَ المفيدة، التي تساعدُ على النموِّ والبناءِ التدريجيِّ للمقوّماتِ الأساسِ للجسمِ والنفس، والفكرِ والأخلاق، والتوازنِ بين الحاجاتِ والطاقات، وتخفيفِ الغرائز، ويتمُّ البناءُ عن طريقِ التعليمِ والتأديب(٣٨)."

ثانياً: إصلاح جانب الفساد في الإنسان

تشملُ التربيةُ جميعَ الأبعادِ التي يحتاجُها الإنسانُ في حياتِه حاضراً ومستقبلاً.

إذ عندما يولدُ لا يعلمُ شيئاً، "فالمعلوماتُ يحصلُ عليها إمَّا عن طريقِ تلقينِ الوالديْن، وإمّا عن طريقِ التعلّمِ والتعليمِ من المربّين". (٣٩) وإمّا عن طريقِ المطالعةِ والتدبرِ للمبادئ الدينيّةِ وغيرها، وإمّا عن طريقِ التجاربِ الذاتيّة.

ولكن أحياناً وبسببِ الغفلةِ من الوالديْن، أو المربّين وتهاونِهم في الأمورِ التربويّة، أو بسببِ الخطّةِ التربويّةِ الخاطئةِ المُعتمَدة، أو التعرّضُ للمنزلَقاتِ متأثراً برفاقِ السوء، (٤٠) أو الأجواءِ الفاسدة، ينحرفُ الإنسانُ (طفلاً كان أو كبيراً)، عن المسارِ السليمِ الذي يؤدّي به إلى الكمال. وفي

هذه الحالات يحتاجُ من جديدٍ إلى مُصلحٍ لإزالةِ ما حصلَ من انحراف، وإعادةِ صياغةِ البنيةِ الفكريّةِ والنفسيّةِ والأخلاقيّةِ والسلوكيّة، التي أثّرَ فيها الانحراف، وكي لا يترسّخَ في الأعماقِ ويتعذرَ الإصلاح، فلابدَّ "من الإسراعِ إلى إزالةِ ومحوِ آثاره (٤١)."المتكفلُ بهذه المهمّةِ هو علمُ التربية، بأساليبه ومبادئه وأهدافِه السليمة، "ومن الضروري عند القيامِ

بهذه المهمّةِ التربـــويّة لإعادةِ البـــناءِ والإصلاحِ أن يلتفتَ العقـلُ إلى نقـطتيْنِ هما:(٤٢)

أ – التقويم: حـالُ انجرافِ الإنسـانِ صغيراً أو كبـيراً، يوجبُ من الناحـيةِ التربـويّةِ معالجتَهُ بالتقـويمِ والإصلاح. ولكن يجبُ عند تقـويمِ التصرّفات، الالتفاتَ إلى أنَّهُ لا يجبُ اقتلاعُها من جذورِها بل يجبُ السعيُ لإصلاحِها وتقـــويمِها ووضعِها ضمن المسـارِ السـليم، سـواءً أكانت إيجابيّةً أم سلبـيّة، لأنَّهُ قـد تكونُ هذه التصرفاتُ ناشئةً عن جانبي الإفراطِ أو التفريط.

ومن جانبِ التقـويمِ يجبُ تعديلُها إلى الحدِّ الوسط، لأنَّها ليسـت تصرفاتٍ منحـرفةً بل تصرفاتٌ خرجتْ عن حـدِّ الاعتدال. وفي هذه الحالـةِ يجـبُ أن نعدّلَها، لأنَّهُ لا يمكـنُ اقـتلاعُها من جذورِها، مثلَ الكرَمِ المفرَطِ فقـد يؤدي إلى إسـرافٍ وتبـذير، وهو انجرافٌ قال تعالى "... ولا تُبـذّرْ تبـذيراً* إنَّ المبـذّرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ...". سورة الإسراء، ٢٧-٢٦. فاقتلاعُ هذه الصفةِ (الكرم) يؤدّي إلى البـــخل، وهي صفةٌ ذميمةٌ تمنعُ من مواصلةِ الكرم.

والتقـويمُ من الجانبِ التربـويِّ لا يقـومُ على اقتلاعِ التصرّفات، لأنَّهُ يؤدّي إلى الضرر، بل يجبُ من الوجهةِ التربـــويّةِ العملُ على التعديلِ والتقـــويمِ للتصرّفات، وهذا ما أشـارَ إليه الإمامُ الصادقُ (عليه السـلام) بقوله "لا إفراطَ ولا تفريط، ولكن أمراً بـين أمريْن".(٤٣)

ب – التغير: التقـويمُ السـليمُ يبـيّنُ أنَّ بـعضَ التصرّفات لا يمكنُ تقـويمِ الاعوجاجُ فيها، بـل يجبُ من الجانبِ التربـويِّ تبـديلُها وإزالُتها "لقبـحِها من الجهةِ السـلوكيّةِ والأخلاقـيّةِ والدينيّة".(٤٤) مثلَ السرقـــــةِ والغشِّ والغطرســـةِ والطغيانِ والعربـــدة، فهي تصرّفاتٌ غيرُ مؤدّبـةٍ يسـتوجبُ القـضاءُ عليها، وعليه كـلُّ التصرّفاتِ الـتي مـن قبـيلِها، التي تعدُّ مفسـدةً من الجانبِ الشرعيِّ والعقـلي، يجبُ تغييرُها من جذورِها، هذا ما أشـارَ إليه القـرآن الكريم "... إنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقـومٍ حـتى يُغيِّروا ما بـأنفسِهم...". سورة الرعد، ١١.

خلاصـةُ الأمـرِ أنَّ الإصـلاحَ مـن الوجهـةِ التربويّة، إذا لم يتحققْ بالتقـويمِ والتعديلِ في السلوك، لابدَّ أن يجري عليها التغيّر، وهذه هي مهمّة التربية

ثالثاً: خلق حالة من التوازن بين حاجات الإنسان

يمرُّ الإنسانُ (طفلاً كان أم كبيراً) عبر مراحلِ النموِّ بتغيّراتٍ سلوكيّةٍ ونفسيّة، تتطلبُ حاجاتٍ متنوّعة. لكنّها أحياناً تتجاوزُ الحاجاتِ عبرَ السلوكِ عن حدِّها، فتُحدثُ خللاً على صعيدِ بناءِ الشخصيّة، أو على الصعيدِ الفرديِّ والاجتماعيّ، أو على صعيدِ الدنيا والآخرة. فكان لابدّ من:

السعيُ لفهمِ مراحلِ النموّ، وفهمِ التغيراتِ السلوكيّةِ والنفسيّة، والحاجاتِ المطلوبةِ لكلِّ مرحلة.

-معرفةُ الأمورِ التي تؤدّي إلى الخللِ في النموِّ والتوازنِ لبناءِ الشخصيّةِ الإنسانيّة.

-السعيُ لـ"خلقِ حالةٍ من التوازنِ بين الحاجاتِ والمتطلبات، وترويضِ الغرائزِ والرغبات..."، (٤٥) وجعلِ التوازنِ بين حاجاتِ الجسمِ والعقلِ والروحِ والنفس.

وهذه الأمورُ واحدةٌ من مهامِّ التربيةِ في سعيها لفهمِ مراحلِ نموِّ الإنسان، ومتطلباتِ وحاجاتِ كلِّ مرحلة، والسعي لإيجادِ التوازنِ بينها في الدنيا والآخرة، وهذا ما أشارَ إليه القرآن بقوله تعالى وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا". سورة القصص، ٧٧.

رابعاً: توجيه الغرائز والرغبات والميول إلى الاعتدال.

خلقَ اللهُ المخلوقات، وجبلَ في خلقِها الغرائزَ تتحركُ من ذاتها، وهي قسمان: عاقلةٌ وغيرُ عاقلة. فالعاقلةُ هي الإنسانُ والملائكة، وغيرُ العاقلةِ باقي المخلوقات.

وميَّزَ بين هذه المخلوقات، فجعلَ الملائكةَ من عقل، والحيوانَ من شهوة، والإنسانَ من عقلٍ وشهوة. ورسمَ اللهُ للمخلوقاتِ غيرِ العاقلةِ نظاماً تمارسُهُ بالفطرة، وتحملُ في طياتِها الغريزةَ التي ركّزَها في كيانها، وتسيرُ وفقَ الهدفِ المنشودِ لها، ولا تملكُ حريّةَ الخروجِ والتجاوزِ عنها.

أمّا الإنسانُ فميَّزَهُ بالعقلِ وحريّةِ الاختيار، فهو يفكّرُ ويختارُ بملءِ إرادته، فيضعُفُ أحياناً التفكيرُ المقاوم، فتأخذُ الغريزةُ مجراها بالضغطِ على النفس، فتستجيبُ للشهواتِ إرضاءً للميولِ المتعلقةِ بها، فيُهزمُ أمامَها فتقوى عليه، ويسقطُ إلى مرتبةِ الحيوان، تحرّكُهُ الغرائزُ والشهوات، (٤٦) كما تحرّكُ الحيوان.

يقولُ الإمامُ الخمينيُّ (قدس سره): "يظلُّ الإنسانُ يرزحُ في قيودِ النفسِ والشهوات، طالما بقيتْ سلاسلُ الشهوةِ والغضبِ الطويلةِ على رقبته، لا يستطيعُ أن يبلغَ المقاماتِ المعنويّةَ والروحانيّة، لا تظهرُ فيه السلطةُ الباطنيّةُ للنفس، وإرادتها الثقافيّة، ولا يحصلُ له مقامُ استقلالِ النفسِ وعزتها، الذي هو أرقى مقاماتِ الروح (٤٧)."

وعبَّرَ اللهُ تعالى عن ذلك بقوله **"أم تحسَبُ أنَّ أكثرَهُم يسمعونَ أو يعقِلونَ إنْ همْ إلا كالأنعامِ بلْ هم أضلُّ سبيلاً"**. سورة الفرقان، ٤٤.

ولكن أمام هذا احتاجَ الإنسانُ إلى وسيلةٍ تنمّي العقلَ والإرادةَ ليقوَيا عند حالاتِ الضعفِ أمامَ الميولِ والغرائزِ الشهوانيّة، وهذه وظيفةُ التربيةِ ومهمّتُها، لأنّها من العواملِ التي تساعدُ على تنميةِ العقلِ والإرادة، وتزكّي النفسَ عبرَ المنهجِ التربوي. يقولُ اللهُ تعالى "ونفسٍ وما سوّاها* فألهمَها فجورَها وتقواها* قدْ أفلحَ من زكّاها* وقدْ خابَ مَن دسّاها". سورة الشمس، ١٠-٧

وإذا أدّتِ التربيةُ في الإنسانِ مهامّها على صعيدِ العقلِ والإرادةِ صارَ أعلى من الملائكة.

خامساً- التربية ترسم منهج العلاقة السليمة

والإنسانُ من الجانبِ الفلسفيِّ كائنٌ له أبعادٌ وجوديّةٌ في العالم، ومهمّةُ التربيةِ ووظيفتُها من الوجهةِ الفلسفيّةِ إيجادُ الرؤيةِ الفكريّةِ التي تنمّي أبعادَ وجودِهِ من جهة، وإعدادِه

للارتباطِ بعلاقةٍ مدروسةٍ مع العالمِ وما فيه من جهةٍ أخرى.

للانسان أنواعٌ أربعةٌ من العلاقاتِ هي: مع اللهِ ومع نفسِهِ ومع الناسِ ومع الدنيا والآخرة. والتربيةُ وظيفتُها رسمُ منهجِ هذه العلاقات. وتمهيدُ طريقِ الإنسانِ للوصولِ إلى اللهِ على أساسِ ضوابطِ الشرعِ. وربطِهِ به تعالى بصورةٍ يرى فيها جميعَ القوى ضعيفة، يرى نفسَهُ قويّةً بين يدي اللهِ تعالى. ولذا فإنَّ وظيفةَ التربيةِ ومهمّتها:

-رسمُ منهجِ العلاقةِ مع اللهِ، من خلالِ تعزيزِ الشعورِ الدينيِّ لدى الإنسانِ في اعتمادِهِ على اللهِ تعالى، وتعميقِ العلاقةِ القانونيّةِ والأخلاقيّةِ به... فتُحيي قلبَهُ بالموعظةِ الإلهيّةِ المؤثرةِ في سمعِهِ وبصرِه، وتجعلُ عملَهُ عقائديّاً يُضفي على تصرّفاتِهِ طابعاً دينياً.(٤٨)

-رسمُ منهجِ العلاقةِ مع الذات. فالإنسانُ مكوّنٌ من جسدٍ وروح، وبحسبِ التعبيرِ الفلسفيِّ من بدنٍ ونفس، ولابدّ أن يعرفَ ممّا تتكوّنُ ذاتُهُ ليعرفَ كيفَ يتعاملُ معها. وقد أكدتِ الرواياتُ الإسلاميّةُ على ضرورةِ معرفةِ النفس، لأنَّ معرفتَها تؤدّي إلى الحكمة، والهدي والنجاةِ من الضلال. وهذا ما أشارَ إليه الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) بقوله: "أفضلُ الحكمةِ معرفةُ الإنسانِ نفسَه"، و"مَن عرفَ نفسَهُ فقد انتهى إلى غايةِ كلِّ معرفةٍ وعِلم"، و"عجبتُ لمن يجهلُ نفسَهُ كيف يعرفُ ربَّه"، و"مَن لم يعرفْ نفسَهُ بَعُدَ عن سبيلِ النجاة، وخبَطَ في الضلالِ والجهالات".(٤٩)

ومهمّةُ التربيةِ توفيرُ الأرضيّةِ السليمة، والظروفِ المناسبة لإقامةِ الإنسانِ علاقةً تربويّةً صحيحةً مع ذاته، وتقومُ على تنميةِ جسمِهِ بالغذاءِ الصحّيِّ الطيّب، وتنميةِ عقلِهِ بالفكرِ السليم والعقيدةِ الصحيحةِ عن الدنيا والآخرة، وتوجيهِ عواطفِهِ روحياً على أساسِ القواعدِ الأخلاقيّةِ الحسَنة، ونبذِ السيّئةِ منها، وتخليصِهِ من القيودِ والأغلالِ إلى تمنّعِهِ من الوصولِ إلى الكمالِ الإنسانيّ.

-رسم منهج العلاقة مع الناس،

فالإنسانُ مخلوقٌ اجتماعيٌّ بالطبع من أصل الخلقة. يقول تعالى: "يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكُمْ من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شعوباً وقبائلَ لتعارفوا...". سورة الحجرات، ١٣.

يُفهمُ من الآيةِ أنَّ الإنسانَ فُطِرَ على التكوين الاجتماعيِّ في تآلفِهِ مع الآخرينَ على طبقِ الأخلاق، وأنَّهُ خُلقَ على وجهٍ ينتهي إلى تشكيلِ أممٍ وقبائل، والانتسابُ إلى الأممِ والقبائلِ يُفيدُ بمعرفةِ الأشخاص، وهو شرطٌ أساسٌ في الحياةِ الاجتماعيّة.

وعندما خاضَ الحياةَ الاجتماعيّة مع الآخرين، أحسَّ بحاجتِهِ إلى التأهيلِ الداخليِّ لخوضِ هذه الحياةِ برؤيةٍ صحيحة، تساعدُهُ على العلاقةِ السليمةِ من جهة. وأحسَّ من جهةٍ أخرى بضرورةِ الحاجةِ إلى أسسٍ وقواعدَ وضوابطَ سلوكيّةٍ أخلاقيّةٍ تساعدُهُ على بناءِ العلاقاتِ الاجتماعيّةِ بين الناس تحفظُ حقَّ الفردِ والمجتمع...، وإيجادِ الاعتدالِ في الأهدافِ المشتركة.

وهذه مهمّةُ التربيةِ ووظيفتُها، حيث تقومُ بتوفيرِ الأرضيّةِ اللازمةِ والصالحة، وتعرِّفُ الإنسانَ بالبيئةِ التي يعيشُ فيها، وتدفعُهُ إلى تعزيزِ وضعِهِ ومكانتِهِ لينسجمَ معها بتحقيقِ مصالحِهِ ومنافعِه، وتجعلُ حياتَهُ قائمة على أساسِ التعاونِ والتكافلِ والتضامنِ الاجتماعيّ، وتعلّمُهُ كيفيّةَ العلاقةِ المؤنسةِ مع الآخرين، كما وتقومُ على توعيةِ أهلِ الأعمالِ السيئةِ بأعمالِهم المذمومةِ وحثّهم على تركِها.

وفي ذلك يقولُ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

"يا بَني هاشم، لن تَسَعُوا الناسَ بأموالِكُم، فسَعُوهُم بأخلاقِكِم".(٥٠)

-رسمُ منهجِ العلاقةِ مع الدنيا، فالإنسانُ وُلدَ في الدنيا وتعلّقَ بها، ولكن لابدَّ أن يعرفَ كيفَ يعيشُ وينهجُ فيها. من هنا تأتي مهمّةُ التربيةِ لتبيّنَ له وجهَ العلاقةِ السليمةِ معها، وأين يتخلّى عنها ويذويها، وهذا ما أشارَ إليه الإمامُ زينُ العابدينَ (عليه السلام) بقوله: "وعمِّرني ما كان عمْري بذلةً في طاعَتِك، فإن كان عمْري مرتَعاً للشيطان فاقبضْني إليك".(٥١)

والقرآنُ الكريمُ يوصي الاستفادةَ من الدنيا في مسيرِ تحصيلِ السعادة، ويحذّرُ من الرغبةِ والركونِ إليها، إذا كانت نتائجُها الفسادَ والطغيان. يقول تعالى: "وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا وأحسِنْ كما أحسَنَ اللهُ إليكَ ولا تبغِ الفسادَ في الأرض إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المفسدينَ". سورة القصص، ٧٧.

وخلاصةُ الأمر أنَّ مهمّةَ التربيةِ ووظيفتَها السعيُ لتأمينِ الظروفِ المناسبةِ ليتمكّنَ الإنسانُ من الوصولِ إلى الهدفِ وتحقيقِ رضا اللهِ تعالى.

١٠- عناصر التربية

البناءُ السليمُ هو البناءُ الذي يُشيّدُ على أسسٍ وقواعدَ وأركانٍ سليمة، تُشيَّدُ بتشييدٍ متينٍ من جهة، مع سلامةِ

العناصرِ المكوِّنةِ لهذه الأسس والقواعد والأركانِ من جهةٍ أخرى، والتربيةُ بناءٌ فوقيٌّ مُكوَّنٌ من عناصرِ سلامتِها، من سلامةِ عناصرِها المكوِّنةِ لها.

العنصرُ هو الأصل . (٥٢)أو الجسمُ البسيطُ الذي يُساهمُ في تركيبِ أهمِّ القضايا والموضوعات. (٥٣)وفقاً لهذا التعريف فإنَّ عناصرَ التربيةِ هي الأصولُ البسيطة، أو الأجزاءُ التي تُسهمُ في تركيبِ البناءِ الفوقيِّ للتربيةِ والعملِ التربويّ. وعناصرُ التربيةِ في المنظورِ الفلسفيِّ هي كلُّ ما يراهُ العقلُ من مكوّناتٍ أساس، ضمنَ ساحةِ التربية، التي تساهم في تركيبِها، وتكوّنُ بنيانَها، وبفقدِ أحدِها يختلُّ توازنُ البنيةِ التربويّة. والعمليّةُ التربويّةُ لا تجري بالفراغ، وإنَّما تجري في محيطٍ يخضعُ لتأثيراتٍ مختلفةٍ من جهة، وأسسٍ وأركانٍ من جهةٍ أخرى. بيّنَ المربّونَ العناصرَ الأساسَ التي تشكّلُ أركانَ التربية وهي:

١- الأسرة: تكوّنُ العنصرَ الأساسَ في العمليّةِ التربويّةِ لما تقومُ به من دورٍ مهمٍ على صعيدِ التربية، وهي تتشكّلُ من:

أ- الأبوين: إنَّهما يؤدّيانِ الدورَ الأكبرَ في إنجازِ مهمّةِ التربية، وأولُ محطّةٍ تربويّةٍ يكتسبُ الطفلُ منهما القيمَ الأخلاقيّةَ (إيجابيّةً وسلبية)، وإنَّهما يؤثرانِ عليه بطبائعِهما، وسجاياهما السلوكيّةِ والأخلاقيّةِ والاعتقاديّةِ والفكريّة، ومجملُ هذه المسائلِ يشكّلُ جانباً من العناصرِ المؤثرةِ في التربية.

إنّهما يمثلانِ الوسيطَ الوراثيَّ من جهة، وجزءاً من المحيطِ الاجتماعيِّ من جهة أخرى. أمَّا الجانبُ الوراثيُّ فإنَّهما يؤثرانِ بنقلِ الخصائصِ الوراثيّةِ إلى الأبناء.

أمّا المحيطُ البيئيُّ والاجتماعيُّ فإنَّهما يمثلانِ مدرسةً يكتسبُ منها الطفلُ علوَّ الهمَّة، والقيمَ والعاداتِ النبيلة، والأخلاقَ الفاضلة، وعكس ذلك. كما ويكتسبُ منهما النطق، والكلامَ والدروسَ الحياتيّة لأنَّهُ يقضي بينهما أكبرَ مدَّةٍ زمنيّةٍ في حياتِه. وقد أشارَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عمقِ تأثيرِ الوالدينِ بقوله: 'ما من مولودٍ إلا ويولدُ على الفِطرة، ثمَّ أبواهُ يهوِّدانِهِ أو ينصِّرانِهِ أو يمجِّسانِه'. يُفهم من هذا الحديث؛ أثرُهما على حياةِ الطفلِ الذي يقضي معهما لمدةٍ طولة، وارتباطِهِ بهما مسلكيّاً فيؤثران على سلوكِهِ الإيمانيّ والفكريّ، فينطبعُ بتأثيرِهما واتجاهِهما.

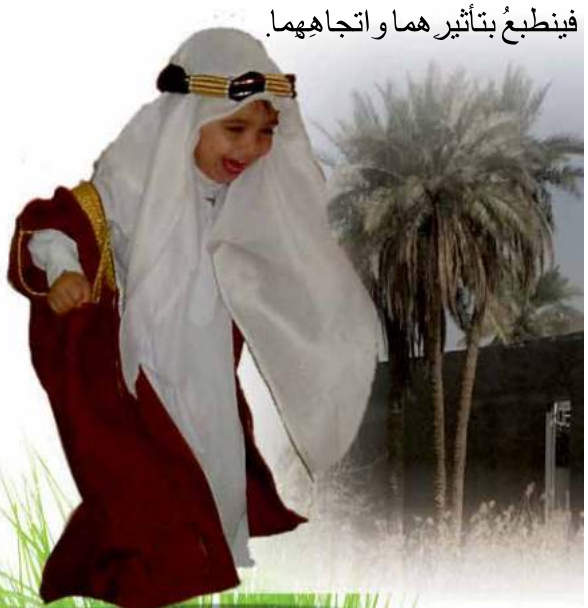

ب – الإخوة والأرحام والأقارب: لا تنحصرُ عناصرُ تربيةِ الطفلِ بالوالديْنِ فحسب، بل تتعدّاهُما إلى الإخوةِ والأرحامِ والأقارب، لما لهم من ارتباطٍ وثيقٍ داخلَ العائلةِ والأسرةِ بالمخالطةِ والمعاشرة، ممّا يعكسُ تأثيرَهُمُ التربويَّ على البنيةِ السلوكيّةِ والنفسيّةِ للطفل، فيتحدّدُ كثيرٌ من اتجاهاتِهِ وميولِهِ وأفكارِهِ وتأمّلاتِه، بما يعكسُ توجيهاتِهِ التربويّة، وهذا ما أشارَ إليه الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) بقوله: "أيُّها الناسُ أنّه لا يستغني الرجلُ وإن كان ذا مالٍ من عترته، ودفاعِهِم عنه بأيديهِم وألسنتِهِم، وهم أعظمُ الناسِ حيطةً من ورائه، وألَمُّهُم لشعثِه، وأعطفَهُم عليه عند نازلةٍ إن نزلتْ به. ولسانُ الصدقِ يجعلُهُ اللهُ للمرءِ في الناسِ خيرٌ من المالِ يرثُهُ غيرُه... ألا لا يعدلنَّ أحدُكُم عن القرابةِ يرى بها الخصاصةَ أن يسدَّها بالذي لا يزيدُهُ إن أمسكَه،... ومن يقبضُ يدَهُ عن عشيرته، فإنّما تُقبضُ منهُ عنهم يدٌ واحدة، وتنقصُ منهم عنهُ أيدٍ كثيرة، ومن تلِنْ حاشيتُهُ يستدِمْ من قومِهِ المودّة". ويقول أيضاً: "وأكرِمْ عشيرتَك، فإنّهُم جناحُكَ الذي به تطير، وأهلُكَ الذي إليه تصير، ويدُكَ التي بها تصول". ويقولُ الإمامُ الصادقُ (عليه السلام): "صلةُ الأرحامِ تُحسّنُ الخُلُق، وتُسمّحُ الكفّ، وتُطيّبُ النفس، وتُزيدُ في الرزقِ وتُنسئُ من الأجل(٥٤)."

يُستفادُ من هذه التوجيهاتِ التربويّة:

-أنَّ المرءَ لا يستغني بمالِهِ عن أهلِهِ وأرحامِه، لأنَّ المالَ يزيدُ وينقُص، والأهلُ إلى ازدياد، فيحتاجُ إلى دفاعِهِم عنه بأيديهِم وألسنتِهِم عند الشدّة.

-أنَّ الأرحامَ يشكّلونَ الأصلَ الذي منه ينحدر، والجناحَ الذي به يشقُّ غمارَ الحياة، والقوّةَ التي بها يقوى، والدرعَ الذي به يتحصّنُ من الأعداء، ويدَ المساعدة والعونِ لسدِّ الحاجات. والجوُّ العاطفيُّ الذي تنمو فيه المودّةُ وحسنُ الخلق، وتهذيبُ النفسِ بالمعاشرةِ الحسنة. وهذه جميعُها من العناصرِ الجوهريّةِ التي تؤثرُ على بعثِ البنيةِ السلوكيّةِ للتربيةِ الاجتماعيّةِ في الحياة.

٢ – البيئة

البيئةُ هي مجموعُ العناصرِ الماديّةِ والمعنويّةِ التي تحيطُ بالإنسان، فتؤثرُ على سلوكِهِ في "الصِغرِ والكِبر»، وهي على قسميْن: عناصرُ بشريّة، وأخرى غيرُ بشرية.

أولاً: العناصر البشرية: وهي مجموعةُ المكوّناتِ البشريّةِ التي يتفاعلُ معها الإنسان، ويتأثرُ بها، وتؤثرُ به، وتمثلُ هذه العناصر:

-الأصدقاء والأصحاب: وهم مجموعةٌ من الأفرادِ الذين يصادقُهُم ويصاحبُهُم، ويألفُهُم ويألفونَه، ويركنُ إليهم ويأنسُ بهم لما لهم من أثرٍ تربويٍّ "ويُعتبرُ الصديقُ والصاحبُ المؤثرَ الثانيَ المباشرَ بعد الأهل، ويتفوّقُ بتأثيرِه إذا استحوذَ

على الولد، ومثّلَ له نموذجاً وقدوة (٥٥)﴿بِئْسَ الرفيقُ القرينُ* ولن ينفعَكُمُ اليومَ إذ أنَّكُمْ في العذابِ مُشتركونَ". سورة الزخرف، ٣٨-٣٩.

وأشارَ القرآنُ الكريمُ إلى الصديقِ أو الصاحبِ بعنوانِ القرين، وقدّمَ نموذجيْنِ في ذلك (سلبيّ وإيجابيّ) في أثرِهِمُ التربوي.

المؤثر الإيجابي: قال تعالى: "قالَ قائلٌ منهُم إنّي كانَ لي قرينٌ* يقولُ أإنّكَ لمِنَ المُصدِّقينَ". سورة الصافات، ٥١-٥٢

كما وأنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ركّزَ على الصداقة، ووصفَ الصديقَ بالخليلِ بقوله: "المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظرْ أحدُكُم من يُخالِل (٥٦)."

ويقولُ الإمامُ الحسنُ (عليه السلام): "إصحَبْ من إذا صحبْتَهُ زانَك، وإذا خدمتَهُ صانَك، وإذا أردْتَ منه معونةً عانَك، وإن قلتَ صدَّقَ قولَك، وإن صلتَ شدّ صولَك، وإن مددتَ يدَكَ بفضلٍ مدَّها، وإن بدَتْ منكَ ثلمةٌ سدَّها، وإن رأى منك حسنةً عدَّها، وإن سألتَهُ أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتدأك". كما وأنَّ الإمامَ عليّاً (عليه السلام) ركّزَ على مصاحبةِ العلماءِ والحكماءِ أولي النهى والأتقياء، لما لهم من تأثيرٍ تربويٍّ على الروح، يقول: "أكثرُ الصوابِ والصلاحِ في صحبةِ أولي النهى والألباب". ويقول: "صحبةُ اللبيبِ حياةُ الروح... عجبتُ لمن يرغبُ في التكثيرِ من الأصحابِ كيف لا يصحبُ العلماءَ الألبّاءَ الأتقياءَ الذين يغنمُ فضائلَهُم، وتُهذّبُهُ علومُهُم، وتُزيّنُهُ صحبتُهُم(٥٧)."

المؤثر السلبي: قال تعالى: "حتى إذا جاءَنا قالَ يا ليتَ بيني وبينَكَ بُعدَ المشرقيْنِ

وحذّرَ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) من مصاحبةِ الأشرارِ وأهلِ الفسوقِ والكذبِ وقاطعِ الرحم، بقوله: "صُحبةُ الأشرارِ تُكسِبُ الشرَّ كالريحِ إذا مرَّتْ بالنتنِ حملَتْ نتناً" وأيضاً "إيّاكَ ومصاحبةَ أهلِ الفسوقِ فإنَّ الراضيَ بفعلِ قومٍ كالداخلِ معهُم(٥٨)."

تبيّنُ النصوصُ العمقَ التربويَّ لأثرِ الصداقةِ والمصاحبةِ على حياةِ الإنسان، إذ تطبعُ حياةَ الصديقِ أو الصاحبِ بطابعِها النفسيِّ والخلقيّ، فتؤثرُ على السلوكِ التربويّ، وفي ذلك يقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "قلْ لي مَن تُعاشِرْ أقلْ لك مَن أنت".

١- المدرسة: وهي تشكّلُ عنصراً من العناصرِ المهمّةِ في التربيةِ والتعليم، خاصّةً ضمنَ منهجِ التربيةِ الحديثة، لأنّها تمثلُ جسراً للعبورِ من الحياةِ العائليّةِ إلى الحياةِ الاجتماعيّة، يتعلمُ فيها الدروسَ التربويّة، والتي تحدثُ تحوّلاً مهمّاً في الذهنِ والفكرِ يساعدُ على تقويةِ الإرادة، وإيقاظِ الاستعداداتِ للوصولِ إلى الهدف، كما وتقومُ بدورِ نقلِ العلومِ وتشييدِ الفضائلِ الأخلاقيّة، وهذا ما أشارَ إليه المثلُ الشعبيّ (مَن فتحَ مدرسةً أقفلَ سجناً)، ولذا فإنَّ المدرسةَ من أهمِّ العناصرِ التربويّة، وأعمقِها أثراً وأبلغِها قصداً من المؤثراتِ الأخرى.

٢- المربي أو المعلم: وهو المقوِّمُ لبنيان أسس التربية، والعنصرُ الأساسُ الذي يشرفُ على العمليّةِ التربويّة، وهو يمثلُ دورَ الناقلِ للمبادئ التعليميّةِ والأخلاقيّة، والمنمّي لها من جهة، والممثلَ للصورةِ النموذجيّةِ التطبيقيّةِ أمام المُتربِّي من جهةٍ أخرى، كما ويقومُ بمهمّةِ بناء شخصيّةِ المُربَّي، ويمثلُ القدوةَ له، وقد أشارَ الإمامُ عليٌّ بنُ الحسين (عليه السلام) إلى دورِهِ بقوله؛ "هلكَ مَن ليسَ له حكيمٌ يُرشِدُه".(٥٩) والمربِّي هو المحورُ الأساسُ في المدرسةِ يعطيها القوّةَ والدفعَ بأفكارِهِ ومعلوماتِهِ وعقائدِه، وفي ذلك يقولُ الإمامُ الخمينيُّ (قدس سره): "كيف يا ترى نؤمنُ بأنَّ علمَ الفقهِ والأصول بحاجةٍ إلى أستاذٍ ودرسٍ وبحث، وإنَّ أيَّ علمٍ في الدنيا، وصنعةٍ لابدَّ لها من أستاذ...، كيف نؤمنُ بهذا ولا نؤمنُ في الوقتِ نفسِهِ بأنَّ علمَ الأخلاق الذي هو هدفُ إرسالِ الأنبياءِ وهو أدقُّ العلوم ليس بحاجةٍ إلى التعلّم والتعليم".(٦٠)

ولكن يوجدُ اختلافٌ في ماهيّةِ المربِّي في المدرسةِ الإسلاميّة، والمدرسةُ الحديثة، لأنَّ الأخيرةَ لا تقيمُ وزناً لماهيّةِ المربّي، وخصائصِهِ السلوكيّة، ومواصفاتِهِ الأخلاقيّة، بل تنظرُ فقط إلى اختصاصِهِ العلميّ.

أمّا المدرسةُ الإسلاميّةُ فإنَّها تقيمُ وزناً لماهيّةِ المُربِّي واختصاصِه، حدّدَها علماءُ التربيةِ والفلسفةِ في الإسلام بما يلي:

التأهيلُ النفسيُّ والعلميُّ لمهمّةِ التربيةِ بشهادةِ أهل العلمِ له والخبرة.

بذلَ العلمَ مَن يستحِقّه.

العملُ بعلمِه، يقولُ الإمامُ الصادقُ (عليه السلام): "إنَّ العالمِ إذا لم يعملْ بعلمِهِ زلّتْ موعظتُهُ عن القلوبِ كما يزلُّ المطرُ عن الصفا".(٦١)

التحلّي بحسن الخلق والتواضع. يقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "تواضَعوا لمن تتعلّمونَ منه العِلم، ولمَن تُعلّمونَه، ولا تكونوا من جبابرةِ العلماء".(٦٢)

أن لا يمتنعَ عن تعليمِ وتربيةِ من يستحقُّ التعليمَ والتربية، ولا يبخلَ بعلمِه، وفي ذلك يقولُ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "أيّما رجلٍ آتاهُ اللهُ علماً فكتمَه، وهو يعلمُهُ لقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ مُلجماً بلجامٍ من نار".(٦٣)

لا تخالفُ أقوالُهُ أفعالَهُ السلوكيّة، لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ "إنَّ الرجلَ لا يكونُ مؤمناً حتى يكونَ قلبُهُ مع لسانِهِ سواء، ويكونَ لسانُهُ مع قلبِهِ سواء، ولا يخالفُ قولُهُ عملَه".(٦٤)

أن يُظهرَ الحقَّ لحُسن الطاعةِ للهِ من غير مجاملةٍ لأحد، لقولِ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "... لا يخافُ في اللهِ لومة لائم، ولا يُرائي بشيءٍ في عملِه".

دوامُ الشعور بمراقبةِ الله، والحرصُ على ملازمةِ جهادِ النفس عن الهوى.

٣ - المجتمع: نعني به مجموعَ الأفرادِ التي تألفُ بعضَها الآخرَ في قوالبَ متعدّدة، ويشكلونَ روابط وعلاقاتٍ متبادلة(٦٥) يمثلونَ جماعاتٍ كبيرةً وصغيرةً تشكّلُ بيئةً اجتماعيّة، وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى ذلك بقولِهِ تعالى: "يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكُمْ من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شعوباً وقبائلَ لِتعارَفوا.." سورة الحجرات، ١٣.

المجتمعُ هو أحدُ العناصرِ التقنيّةِ المساعدةِ على إيجادِ التربية، لأنَّهُ يشكّلُ الإطارَ العامَّ الذي يسبحُ فيه كلُّ الأفرادِ والجماعات، ويشكّلونَ علاقاتٍ اجتماعيّة يحصلُ فيها تفاعلٌ في نقلِ للعاداتِ والتقاليدِ والثقافاتِ والأفكار، فتؤثرُ في تكوين الأخلاق والقيم الإنسانية.

وقد بيّن علماءُ التربيةِ دورَ العلاقاتِ الاجتماعيّة في تشكيلِ الأخلاق وبيان أثرِهِ على سيرِ العمليّةِ التربويّة.(٦٦)

ثانياً - العناصر غير البشـــرية: هي جميعُ العناصرِ التقنيّة، والظروفُ والأشـياءُ التي تؤثرُ بالإنسـان، ويتأثرُ بـــها من داخلِهِ وخارجِه، وهي المكوناتُ من الغذاءِ المعنويِّ (الكتبُ والمجلاتُ الثقـــــافيّة، والسياســـيّة، والفكرُ الديني)، والغذاءُ الماديُّ من المأكلِ والمشرب. بالإضافةِ إلى المناخ والأحوال الجويّة، والبيئةِ الجغرافيّةِ والتاريخيّة.

١٠- شروط نجاح عناصر التربية

التربـيةُ عمليّةٌ مهمةٌ وأســاسٌ في الحـــياةِ الفرديّةِ والاجتماعيّة، ولكنّها شاقـــةٌ ومضنيةٌ تحـــتاجُ إلى جهودٍ كبـيرة، حـــتى تحقـــقَ نجاحَها، وتصلَ إلى أغراضِها وأهدافِها، ولا يتحققُ نجاحُها حتى يكتملَ لها جميعُ شـــروطِها، وتســـتوفي جميعَ عناصرِها. وحدّدَ الفلاسفةُ والتربويّونَ شروطَ نجاحِها بما يأتي:

- الوعـي والإدراكُ والاطلاعُ الكاملُ علـى كـلِّ الأمورِ التقنيّةِ المؤثرةِ في نجاح التربية.
- الإيمانُ والإخلاصُ بـــالعملِ المرتكزِ على أركانٍ ثلاثة؛ الإقرارُ والإعلانُ والعملُ، كما يقولُ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وســـلم): "الإيمانُ معرفةٌ في القلبِ (الإقرار)، والقولُ باللسان (الإعلان)، والعملُ بالأركان".(٦٧)
- الاطلاعُ الكاملُ على التعاليمِ التربـــويّة، خاصّة الدينيّة منها في كلِّ مجالاتِها، وأمورِها العقـــائديّةِ والتشريعيّةِ والخلقية ، ومعرفةُ الأسس والأركانِ التي تقـــومُ عليها الرؤيةُ الفلســفيّةُ للدين عن الكون والإنسان وحياةِ الدنيا والآخرة.
- معرفةُ هدفِ العملِ الذي يســـعى له، ونقـــطةُ الانطلاقِ والانتهاء، والمسـيرُ الذي يسلكُه. يقـولُ الرسـولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "ثلاثٌ من كُنَّ فيه كمُلَ إيمانُه: العقلُ والحلمُ والعمل".(٦٨)
- معرفةُ العوامل والظروفِ المتنوّعةِ للبيئةِ

الاجتماعيّة والاقـــتصاديّةِ والثقـــافيّة، والأفكارِ والطباعِ والأمزجةِ السلوكيّة.

- معرفةُ مَن يتعاملُ معه، وخصائصَه، ومســـتواهُ في الإدراكِ والقـدرةِ والحـركة، ومعرفةُ قـدرتِهِ العقـليّةِ والفكريّةِ على نمطِ التفكير، ورغبـاتِهِ في الفنون والحِرَفِ وآمالِه، ليعملَ على تقـويةِ نقـاطِ الضعف، وزيادةِ نقاطِ القوّة.
- يتقـنُ الطرقَ التربـــويّة وأســاليبَ اســتعمالِها المتنوّعةِ لقـــولِ الرســـولِ (صلى الله عليه وآله وسـلم): "إنَّ اللهَ يُحـــبُّ إذا عملَ أحـــدُكُم عمَلاً أن يُتقِنَه".(٦٩)
- إدركُ الأوضاعِ الاجتماعيّةِ (سياسيّة واقتصاديّة وإداريّة) والعسكريةِ داخلَ وخارجَ المجتمع الذي يعملُ بـــه، وأثرُ هذه الأوضاع وانعكاســاتِها على التربية، وكيفيّةِ مواجهتِها، والمواقـفُ التي يجبُ أن يتخذَها مع مراعاةِ الشروطِ والأوضاع.
- معرفةُ الوظيفةِ التكليفيّةِ التي يجبُ أن يقـومَ بـها، والجهدُ الذي يبذلُهُ في طاعةِ اللهِ ورضاه.
- الصبـرُ وسـعةُ الصدر: بـــما أنَّ عمل التربـــيةِ صعبٌ وشـــاق، فإنَّه يتطلّبُ الجهدَ والصبـــرَ والتضحـــية أكثرَ من أي عمل. قـــال تعالى: "واصبروا إنَّ اللهَ مع الصابرينَ". سورة الأنفال، ٤٦.

وخلاصةُ القولِ إنَّ تحققَ هذه الشروطِ يساعدُ على نجاح عملِ التربـية، وتعطي العناصرَ التربـويّة أثرَها الفعّال في بـــناءِ تربـــيةٍ ســـليمةٍ تؤدي إلى صناعةِ إنسانٍ سليم.

الهوامش

١- تاج العروس، ج ١، ص ١٦١.
٢- يقـــول الإمام علي (عليه الســـلام): "إنَّ النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعه". الري شـهري، محـمدي، ميزان الحـكمة، ج ١٥، ص ١٢٥
٣- المصدر نفسه.
٤ -القـائمي، د. علي، تربـية الشبـاب بـين التوجيه والمعرفة، البيان للترجمة، ط ١، بيروت، دار النبلاء، ١٩٩٦م، ص ٣١٤
٥- القـائمي، د. علي، تربـية الشبـاب بـين التوجيه والمعرفة، البيان للترجمة، ط ١، بيروت، دار النبلاء، ١٩٩٦م، ص ٣١٤
٦- الري شـهري، محـمدي، ميزان الحـكمة، ج ١٠، ص، ١٤٦
٧-نفس المصدر، ج ١، ص ١٤٧,٧-
٨- محمد دشـتي، وكاظم محـمدي، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، كتاب ٤٥، فقرة ١٠، ص٩٥.
٩- - الشيرازي، صدر الدين محمد، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، ج ٩، ص ١٣٩.
١٠- القـائمي، د. علي، الأســـرة وأطفال المدارس، البيان للترجمة، ط ١، بيروت، دار النبلاء، ١٩٩٨م، ص ١٦.
١١- القـائمي، د. علي، أسـس التربـية، ترجمة عبـد الكاظم لوبـادي، بـيروت، دار النبـلاء، ١٩٩٥م، ص ٩٤.
١٢-مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٨٥
١٣ - المصدر نفسه، ص ٣٧٦.
١٤- المصدر نفسه،، ج ٧، ص ٢٢٢
١٥- المصدرنفسه، ج ٢، ص ٤٨٧
١٦ - ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٩٠
١٧- القرشـي، باقـر شـريف، النظام التربـوي في الإسلام، ص ٤٤٤
١٨-إبن منظور، لسان العرب.
١٩- أنظر، القائمي، د. علي، الأسرة والطفل المشاكس، البيان للترجمة، بيروت، دار النبلاء، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٦
٢٠-أنظر: أسس التربية، مصدر سابق، ص ١٣٧
٢١- أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير
٢٢- الميزان، ج ١٩، ص ٣٥٦- ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٧٢٠.
٢٣- الإمام علي، نهج البـلاغة، شـرح محـمد عبدو، ص ٤٠
٢٤-الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، دعاؤه لولده..
٢٥- الكليني، فروع الكافي، ج ٦،ص٣.
٢٦- الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٥٠١.-
٢٧- المصدر نفسه، ج ٤،ص ١٣٨
٢٨-الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج ٥، ص ١٣٩
٢٩- المصدر نفسه، ص ١٣٩
٣٠- مرسي، محمد، منير، أصول التربية الثقافية والفلسفية، ص ١٨١.
٣١- القائمي، أسس التربية، ص ١٨٢.
٣٢- مصدر سابق، أسس التربية، ص ١٥٨
٣٣- مصدر سابق، أسس التربية، ص ١٥٧.-
٣٤- مصدر سابق، أسس التربية، ص ١٥٨
٣٥- نفس المصدر، ص ١٥٨.
٣٦-القاموس المبسط؛ قام بمهمة: أي بوظيفة.
٣٧-المصدر السابق، ص ٩٨.
٣٨ - مصدر سابق، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، ص ٣٦٣.
٣٩- مصدر سابق، أسس التربية، ص ٩٨.
٤٠-يقول الإمام علي لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام): "يا بني إياك ومصادقة الأحمق، فإنَّه يريد أن ينفعك فيضرك". ويقـــول الإمام الصادق (عليه الســـلام): "من لم يتجنب مصادقة الأحمق

يوشك أن يتخلق بأخلاقه". أنظر: المدرسي، هادي، الصداقة والأصدقاء، ط ١، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٥هـ، ص ٨٨-٨٩.

٤١-القائمي، د. علي، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً، ص ٢٢٨.

٤٢ -المصدر نفسه.

٤٣- مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٤٥٥

٤٤- مصدر سابق، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً، ص ٢٢٨.

٤٥-مصدر سابق، تربية الطفل دينياً وأخلاقياً، ص ١٢٨.

٤٦- يقول الغزالي: الفكرة مترددة بين الشهوة والعقل، العقل فوقها والشهوة تحتها، فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرقت، وولّدت المحاسن، وإذا مالت إلى الشهوة تسفلته إلى أسفل السافلين، وولّدت القبائح. الغزالي، ميزان العمل، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٥٦.

٤٧-الإمام الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً، ص ٢٢٠.

٤٨ - أنظر: رهبر، محمد تقي، ورحيميان، محمد حسن، التربية الأخلاقية في الإسلام، ص ١٧.

٤٩ - مصدر سابق، ميزان الحكمة ج ١٠، ص ١٢٥.

٥٠- مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٠٧.

٥١- القمي، الشيخ عباس، مفتاح الجنان، ط١ ، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٢م، ص.٦٦٧

٥٢-إبن منظور، لسان العرب .

٥٣ - الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٦٨

٥٤-مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٨٣.

٥٥- مصدر سابق، ص ٣٠.

٥٦- مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٢٩٧- ٥٦.

٥٧- نفس المصدر، ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٠١.

٥٨-المصدر السابق، ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٠٥.

٥٩- مصدر سابق، ص ١٥٨. عن كشف الغمة، ج ٢، ص ٢٢

٦٠-مصدر سابق، التربية الأخلاقية في الإسلام، ص ١٦٣

٦١- مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٥٠٨.

٦٢-نفس المصدر، ص ٤٨٦.

٦٣-نفس المصدر، ص ٤٧٢.

٦٤-نفس المصدر، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٠٥.

٦٥ - أنظر: واعظي، أحمد، المجتمع الديني والمدني، ط ١، ترجمة حيدر حب الله، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٠م، ص ١١٤,٦٥

٦٦- مصدر سابق، ص ١٣٨

٦٧- مصدر سابق، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٠١

٦٨- نفس المصدر، ص ٣١٢.

٦٩- نفس المصدر، ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٢٨.

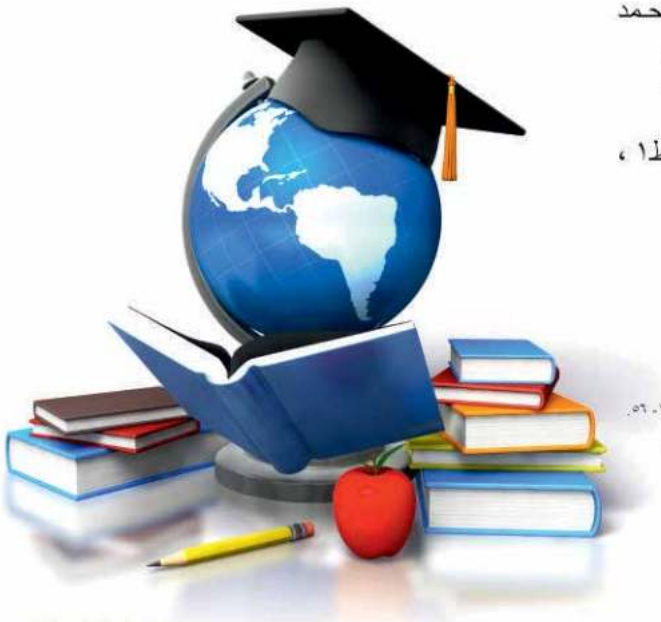

توصيات حول تربية المراهق

في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

■ السيدة زهرة جمعة لطف الله
جمعية التوعية الإسلامية
مملكة البحرين

المقدمة

عنى العلماءُ والباحثونَ والتربويونَ بدراسةِ خصائصِ كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ حياةِ الإنسانِ وتفسيرِها؛ ليخرجوا بعدَ ذلك بتصوّراتٍ للوضعِ الأمثلِ للمرحلة، وتقديمِ توصياتٍ للوصولِ بأفرادِ المرحلةِ للوضعِ المنشود، أو لتحجيمِ آثارِ السلبياتِ التي تلحقُ بأفرادِها.

من المراحلِ التي نالتْ قسطاً وافراً من الدراسةِ والبحث؛ مرحلة المراهقة، فتعدّدتِ المناهجُ في دراستِها، ومازالت، ومن مختلفِ الاتجاهاتِ الإسلامية، وغيرِ الإسلامية.

وقد أولتِ النصوصُ الإسلاميّةُ - وعليه جرى الباحثونَ الإسلاميون - عنايةً بهذهِ المرحلةِ المهمّةِ من حياةِ الإنسان، فهي بشكلٍ عامٍّ مرحلةُ انتقالٍ من اللاتكليفِ إلى التكليفِ الشرعي، المُوقعِ على عاتقِ الفردِ نظامَ حياةٍ محمَّلاً بالمسؤوليّات؛ يسيرُ بهِ ويهديهِ لأداءِ مهمّتِهِ التي خُلقَ من أجلِها. قال تعالى:

"وما خلقتُ الجِنَّ و الإنسَ إلا ليعبُدون".(الذاريات/ ٥٦).

فقد زخرَ التراثُ الإسلاميُّ الروائيُّ بالأحاديثِ الشريفةِ لأهلِ بيتِ العصمةِ (عليهم السلام) التي تعرُضُ لهذه المرحلةِ من حياةِ الإنسان.

واستفادَ الباحثونَ الإسلاميونَ - ولله الحمد - من هذا الكنزِ في معالجتِهم لمرحلةِ المراهقة، إلا أنَّ الغالبَ عليها انحصارُ الاستفادةِ منها في مجالِ الاستشهادِ بها، للتدليلِ على حقيقةٍ، أو رأيٍ توصّلَ إليه الباحث، وبهذا وقعوا في المزاوجةِ بين ما توصّلَ له العلمُ الحديثُ وبين علومِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) بأن أخذَ من الأحاديثِ الشريفةِ ما وجدَهُ يدلّلُ على ما يريدُ إثباتَهُ فحسب، فيقعُ في مشكلةٍ محتمَلة، وهي عدمُ الأخذِ بالأحاديثِ الشريفةِ التي لا يراها تلتقي مع ما توصّلَ إليه العلمُ الحديث، ولا تغيبُ حقيقةُ "وما أُوتيتُم من العلمِ إلا قليلاً"، (الإسراء/ ٨٥).

فالعلمُ غيرُ المتصلِ بالسماءِ محدود، بل وقابلٌ للتغير، فهو مرهونٌ بخبرةِ وتجاربِ الإنسانِ المحدودة، فيفوّتُ بذلك قدراً من الاستفادةِ المتاحةِ له من أحاديثِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام)، كما لم يكن بذلك علمُهم المصدرَ الرئيسَ للمعرفة!

والورقةُ البحثيّةُ التي بين أيدينا معنيّةٌ بمرحلةِ المراهقة، نزعمُ بأنّها بمنظارِ أحاديثِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) - سائلينَ المولى عزَّ وجلَّ التوفيقَ للوقوفِ على هذا الهدف - واستنطاقِ الأحاديثِ الشريفةِ للتعرّفِ على هذه المرحلة، مع إقرارِ الباحثةِ أنّها أقلُّ من التمكّنِ من هذا الهدف، لكن تحملُ كمحاولةٍ فقيرٍ لسبرِ غورِها، واغترافِ ما يتسعُ له إناؤه، طالبةً من أهلِ العلمِ النقدَ والتوجيهَ العلميّ؛ لرفدِ مسيرِ المسلمينَ في تحصيلِ علومِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام).

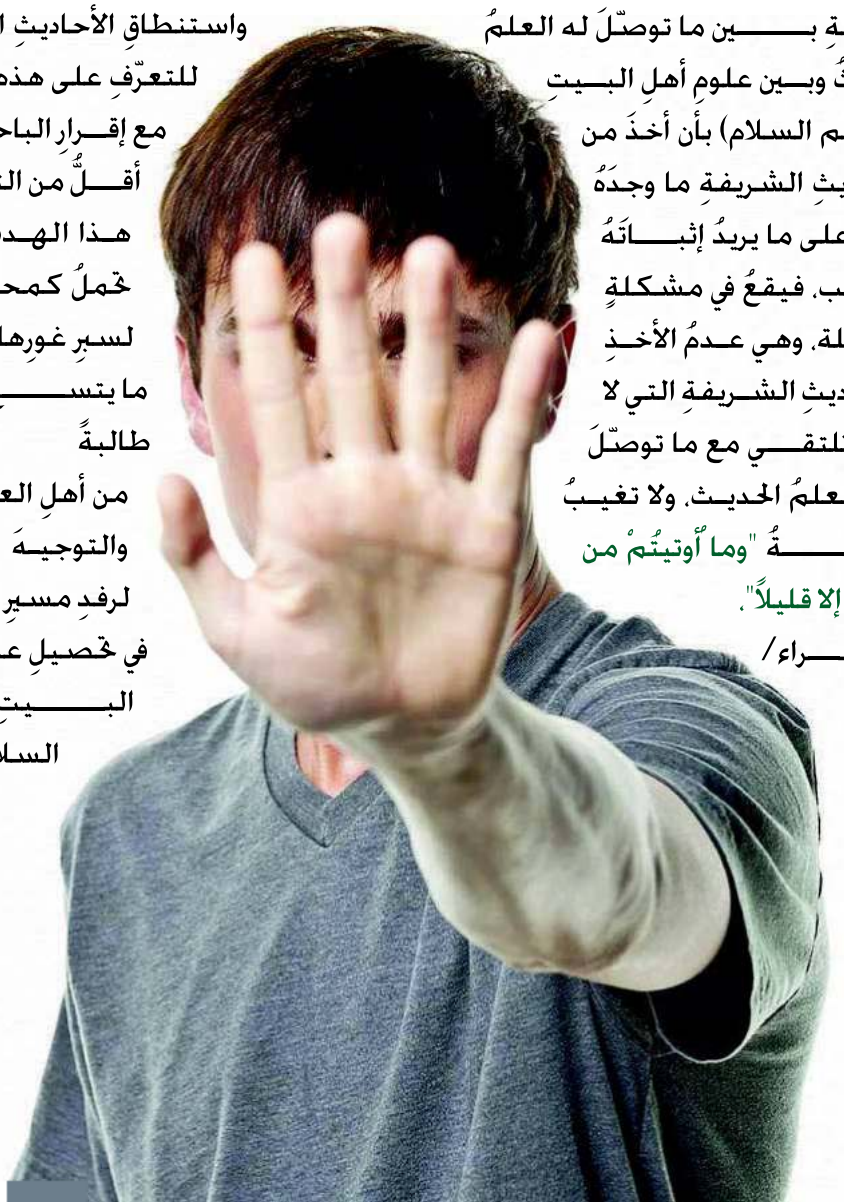

منهجيّة البحث

يقومُ البحثُ على دراسةِ مجموعةٍ من الأحاديثِ الشريفةِ لأهلِ بيتِ العصمةِ (عليهم السلام)، الواردةِ إلينا في الكتبِ الحديثيّة، المعنيّةِ بمرحلةِ المراهقة.

كما هو الملاحظُ: يقدّمُ جزءٌ من الأحاديثِ الشريفةِ توصياتٍ وإرشاداتٍ للولي، والمربي، تبصّرُهُ بالنمطِ السليمِ للتعاملِ مع المراهق. فكأنّما اختزلتْ هدفي العلومِ الإنسانيّة: فهمُ السلوكِ وتفسيرُه، والتنبّؤ بما سيكونُ عليه السلوك؛ لتقدّمَ توصياتٍ لكيفيّةِ ضبطِ السلوك، والتحكّمِ فيه.

إلا أنَّ الهدفَ الثالثَ حقيقةً محققٌ فضلا على إلى الهدفيْنِ الأوليْن؛ فمعرفةُ الأسلوبِ الأمثلِ للتعاملِ مع المراهقِ كاشفٌ عن خصائصِ المرحلةِ التي يمرُّ بها، لأنّها توصياتٌ وردَتْ إلينا من عارفٍ بحقيقةِ المرحلة، وخصائصِها، ونمطِ التعاملِ معها، وأنَّ معرفتَهُ متميّزةٌ عن سواها: بأنّها متصلةٌ بعلمِ خالقِ هذه النفسِ وجاعلِها "ألا يعلمُ مَن خلقَ وهو اللطيفُ الخبير". (الملك/ ١٤).

كما أنّهُ لإحرازِ الفهمِ السليمِ لهذه المرحلة، يتطلبُ الوقوفَ قليلاً على المرحلةِ السابقةِ لها (الطفولة المتأخرة)؛ نظراً لاتصالِها بها، وتأثرِها بنمطِ التربيةِ المُمارسِ فيها، فإذا كانتِ التربيةُ منسجمةً مع بناءِ الفردِ النفسيِّ والجسديِّ والعقليِّ، جعلتْهُ مُهيّأً لتلقّي نمطِ تربيةِ المرحلةِ اللاحقةِ لها بيُسر، مُراعياً التدرّجَ والانتقالَ السلسَ فيما بينها.

البحثُ الذي بين أيدينا يعرضُ لتوصياتِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام)، فيما يتصلُ بالأسلوبِ الأمثلِ للتعاملِ مع المُراهق، وتقسيمها لقسمين:

الأول: التوصياتُ الموجّهةُ للوليِّ فيما يفيدُ بكيفيّةِ التعاملِ مع الإبنِ في مرحلةِ المراهقةِ بشكلٍ خاص.

الثاني: التوصياتُ الموجّهةُ للوليِّ فيما يفيدُ بكيفيّةِ التعاملِ مع الإبنِ بشكلٍ عامٍّ (بغضّ النظرِ عن المرحلةِ العمريّةِ للابن).

المدخل

قال الإمامُ زينُ العابدينَ (عليه السلام):
"وأمّا حقُّ ولَدِكَ فتعلمُ أنّهُ منكَ ومضافٌ إليكَ في عاجلِ الدنيا بخيرِه وشرِّه. وأنّكَ مسؤولٌ عمّا ولّيتَهُ من حُسنِ الأدبِ والدلالةِ على ربّهِ والمعونةِ له على طاعتِهِ فيكَ وفي نفسِه. فمُثابٌ على ذلكَ ومُعاقَب. فاعملْ في أمرِه عملَ المتزيّنِ بحُسنِ أثرِه عليه في عاجلِ الدنيا. المُعذِّرِ إلى ربّهِ فيما بينكَ وبينِه بحسنِ القيامِ عليه والأخذِ لهُ منه ولا قوةَ إلا باللّه".(١)

أقرَّ الإمامُ السجّادُ (عليه السلام) في رسالةِ الحقوقِ جملةً من حقوقِ الإبن تقعُ على عاتقِ الأبِ (والأم) وأنَّ الأبَ مُساءلٌ عنها أمامَ الله عزَّ وجلّ. فإن أدّاها فقد أُعذِر إلى الله، أمّا لو فرّطَ فيها فمُعاقَبٌ و يلحقُهُ وزرُ تقصيرِه. ناهيكَ عن كونِ حُسنِ أدائها راجعٌ بالخيرِ للاثنينِ معاً.

كما أوضحَ (عليه السلام) أنَّ المسؤوليّةَ الملتفّةَ حولَ عنقِ الأبِ تتمثلُ في ثلاثِ وظائفَ أساس:

حُسنُ تأديبِ الإبن.

الدلالةُ للإبنِ على اللهِ عزَّ وجلّ.

وتقديمُ العونِ له. وتسهيلُ السُبُلِ أمامَهُ يتمكّنَ من طاعةِ اللّه عزَّ وجلّ. في أن يبرَّ أباه. للّهِ عزَّ وجلّ.

على أنَّ أداءَ هذه الوظائفِ الثلاثِ كفيلٌ بخلقِ إنسانٍ سويّ. قادرٍ على حملِ عبءِ الأمانة. المتمثلة في عبادةِ اللّه عزَّ وجلّ. وإعمارِ الأرض. شريطةَ أن يكونَ الأداءُ ملائماً ومنسجماً مع طبيعةِ الإنسانِ في مراحلِ عمرِه المختلفة.

وخيرُ سبيلٍ لمعرفةِ الطريقةِ المثلى لإكسابِ لإبنِ المراهقِ حسنَ الأدب. وإرِ اللّه عزَّ وجلّ. وإعانتِهِ على طاعته؛ أحاديثُ أهلِ البيتِ (عليهم السلام).

نسألُ اللهَ تعالى التوفيقَ لمعرفةِ توصياتِهم (عليهم السلام). واتّباعَها وإخلاصَ النيّةِ لهُ تعالى عزّه.

من هو المراهق ؟

يشيرُ مصطلحُ المراهقةِ لمرحلةٍ معيّنةٍ من عمرِ الإنسان. ويرتبطُ بمصطلحَي البلوغِ والشباب.

أما البلوغ: فهو لغةً مَن بلغ. بلغَ الشيءَ يبلغُ بلوغاً وبلاغاً: وصلَ وانتهى.(٢) أما معناهُ اصطلاحاً: نُضجُ الغددِ التناسليّةِ واكتسابُ معالمَ جنسيّةٍ جديدة.(٣)

أما البلوغُ في الشريعةِ، فيمكن أن نتصورَ لها معنييْن:

الأول: المعنى الطبيعيُّ المتقدّم (وهو المعنى العرفي الطبي)، فجعلَ الشارعُ المقدّسُ هذه المرحلةَ التي يخرجُ بها المرءُ من حدِّ الطفولةِ إلى حدِّ الرجولةِ، وهي حدُّ التكليف.

الثاني: أن يُرادَ معنى جعلياً اعتبارياً حدّدهُ الشارعُ المقدّسُ بغضِّ النظرِ عن الحدِّ الطبيعيِّ، وجعلَ وصولَ الإنسانِ إلى هذا الحدِّ (بلوغاً) لأنّهُ يبلغُ بهِ حدَّ الوضعِ والتكليفِ الذي حدّدتهُ الشريعة.

و الفرزُ بين هذين المعنييْن أو قُل: الإجابةُ عن السؤال: على أيٍّ من المعنييْن تُحملُ الأدلةُ التي جعلتِ البلوغَ مناطاً للتكليف؟ وكيفَ ننظرُ إلى العلاماتِ التي ذكرَها الشارعُ المقدّسُ للبلوغ؟ ولتحمّلِ التكاليف. هل هي إرشادٌ لتلك الحالةِ الطبيعية. أم أنّها تأسيسٌ لحدودِ مرحلةٍ من عمرِ الإنسانِ يصلُ بها إلى استحقاقِ الدخولِ إلى حرمِ التشريف؟

هنا نستطيع القول إنَّ الشارعَ المقدّسَ – بمقتضى الرواياتِ الآتية – لم يؤسسْ معنىً اعتبارياً للبلوغ. وإنّما وضعَ علاماتٍ وأرشدَ إلى جملةٍ من الأمورِ الكاشفةِ عن البلوغِ لرفعِ الاشتباهِ والشكِّ من جهةِ تحققهِ خارجاً بعد وضوحِ معناه. باعتبارِ أنّهُ تدريجيُّ الحصولِ و ببطء. فيعسرُ تحديدُ مبدئه . مع ارتباطِ كثيرٍ من الأحكامِ به. فتدخّلَ الشارعُ المقدّسُ لإرشادِ المكلفينَ إلى ما يرشدُهُم إلى تحققِ معناه. أمّا الأحكامُ المهمّةُ في نظرِ الشارعُ كالعباداتِ واجتنابِ بعضِ المحرّماتِ فقد حثَّ أولياءُ الأمورِ على تدريبِ الصبيانِ عليها قبلَ حدِّ البلوغِ بمدّة.

فالعلاماتُ الآتيةُ المستفادةُ من الروايات ليستْ مقابلَ المعنى اللغويِّ والعرفيِّ والطبيِّ للبلوغ. وإنما هي إرشادٌ له.(٤) فتكونُ المحصلةُ من ذلك التقاءَ المعنى الشرعيِّ مع العرفيِّ لمفهومِ البلوغ. مع جعل هذا الحدِّ مناطاً للتكليفِ من ناحيةٍ شرعيّة.

أما المراهقة، فمعناها في اللغة: راهقَ الغلامُ فهو مراهقٌ إذا قاربَ الاحتلام. والمراهق: الغلامُ الذي قد قاربَ الحُلُم. وجاريةٌ مراهقة. ويُقالُ جاريةٌ راهقةٌ وغلامٌ راهقٌ وذلك ابنُ العشرِ إلى إحدى عشرة.(٥)

أما في اصطلاحِ علمِ النفسِ فتتحدّدُ فترة المراهقةُ ببدءِ ظهورِ علاماتِ النضجِ الجنسيِّ إلى جانبِ النموِّ الجسميِّ والنفسيِّ والاجتماعيّ، وتنتهي عند قيامِ الفردِ بتولي أدوارِ الكبارِ وتقبلِهم لهُ واعترافِهم بنضجه.(٦)

تقسّمُ المراهقةُ إلى مراحل ثلاث:

١-المراهقةُ المبكّرة: وتمتدُّ من نهايةِ سنِّ الثانيةَ عشرةَ حتى نهايةِ الرابعةَ عشرة (تقريباً).

٢-المراهقةُ الوسطى: وتمتدُّ من نهايةِ سنِّ الرابعةَ عشرةَ حتى نهايةِ السابعةَ عشرة.

٣-المراهقةُ المتأخّرة: وتمتدُّ من نهايةِ سنِّ السابعةَ عشرةَ حتى نهايةِ الحاديةَ والعشرين.(٧)

أما في الشريعة، فلم نجدِ استخداماً لهذا المصطلحِ في النصوص، وإنّما يعبّرُ عن هذه المرحلةِ بتعابيرَ تتضحُ في طيّاتِ البحث.

فيتضحُ أنَّ البلوغَ (الذي يتحققُ فيه النضجُ الجنسيُّ) مرحلةٌ تقعُ في بدايةِ المراهقة (بالمعنى المتداوَلِ في الزمنِ الراهن) التي تنتهي عند النضجِ العقليّ، والانفعاليّ، والاجتماعيّ، أي النضجِ الشاملِ في جميعِ الجوانب.

أما الشباب، فمعناه لغة: الفتاء والحداثة.(٨) أما في علم النفس فتذكر د. عبير الصبان: إنّها تتمثلُ في الجانبِ الاجتماعيِّ للمراهقة، خاصةً في نهايتِها (المراهقةُ المتأخّرة) وتبدأ مع اكتمالِ التغيّراتِ الجسميّة، والتي تمتدُّ إلى سنِّ الرشدِ الحقيقيِّ (١٨) عاماً أو القانوني (٢١) عاماً.(٩)

و قد اقتُرِحَ لها أكثرُ من تحديد:

١-من سنِّ الثامنةَ عشرةَ إلى الخامسةِ والعشرين.

٢-العمرُ الممتدُّ من ثلاثةَ عشرَ عاماً حتى الخامسةِ والعشرين، دون أن يشخّصَ مرحلةَ المراهقةَ وسنَّ البلوغ.

٣-من السابعةَ عشرةَ حتى الخامسةِ والعشرين.(١٠)

وقد وردَ لفظُ الشبابِ في الأحاديثِ الشريفة، ولمعرفةِ المرحلةِ العمريّةِ منها فالمرجعُ ما وردَ عنها من معنى لغويّ، وقد اتضح.

فنجدُ أن الشبابَ مرحلةٌ داخلةٌ فيما تسمّيهِ العلومُ الحديثةُ بالمراهقة.

وفوقَ هذه التحديداتِ المتعدّدةِ لمراحلِ نموِّ الإنسانِ يبينُ لنا الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) هذا السلّمَ فيقول: "يثغرُ الغلامُ لسبعٍ، ويؤمرُ بالصلاةِ لتسعٍ، ويفرّقُ بينهم في المضاجعِ لعشرٍ، ويحتلمُ لأربعَ عشرة، ومنتهى طولِهِ لإحدى وعشرين.(١١) ومنتهى عقلِهِ لثمانٍ وعشرين، إلا التجارب".(١٢)

وقوله (عليه السلام): "ويحتلمُ لأربعَ عشرة" يشيرُ لدخولِهِ مرحلةَ البلوغ، التي هي بدايةُ مرحلةِ المراهقة. أمّا قولُهُ (عليه السلام): "ومنتهى طولِهِ لإحدى وعشرين" فيشيرُ لاكتمالِ النموِّ الجسميّ، والذي جُعلَ في العلوم الأرضية(١٣) نهايةً لمرحلةِ المراهقة. وفي النصوصِ الشريفةِ جُعلَ حدٌّ تنتهي به عملياتُ التربيةِ والتدريبِ على الدورِ الاجتماعيّ، ويصبحُ بذلك الفردُ مؤهّلاً للانخراطِ في المجتمعِ كفردٍ مستقلٍّ من جميعِ النواحي. فعن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): **"الولدُ سيدٌ سبعَ سنين، وعبدٌ سبعَ سنين، ووزيرٌ سبعَ سنين، فإن رضيتَ أخلاقَهُ لإحدى وعشرين، وإلا فاضربْ على جنبِهِ فقد أعذرتَ إلى الله تعالى".**(١٤)

غيرَ أنّا نجدُ اختلافاً يسيراً بين الرواياتِ في تحديدِها العمرَ الذي به الانتقالُ بين المراحل. كما جاءَ عن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): "إحمل صبيّكَ حتى يأتيَ عليه ستُّ سنين، ثمَّ أدبْهُ في الكتابِ ستَّ سنين، ثمَّ ضمّهُ إليك سبعَ سنينَ فأدبْهُ بأدبِكَ فإن قبلَ وصلحَ وإلا فخلِّ عنه".(١٥)

ويمكننا إرجاعُ ذلكَ للفروقِ الفرديّةِ بين أفرادِ المرحلة، وهو ما يشيرُ إليهِ اختلافُ الحدِّ الشرعيِّ للبلوغِ إذ "قال المحققُ (قدس سره) في الشرائع: البلوغُ الذي يجبُ معه العباداتُ: الاحتلامُ أو الإنبات أو بلوغُ خمسَ عشرةَ سنةٍ في الرجالِ على الأظهرِ وتسعٍ في النساء"(١٦). ومنه يتضحُ سبقُ دخولِ الأنثى للمرحلةِ على أقرانِها في العمرِ من الذكور. عن رجلٍ عن أبي عبدِ الله (عليه السلام) قال: قلت: الجاريةُ ابنةُ كم لا تستصبا؟ أبنتُ ستٍّ أو سبع؟ فقال: "لا، إبنةُ تسعٍ لا تستصبا".(١٧)

توصيات أهل البيت (عليهم السلام) للآباء (والمربين) في كيفية التعامل مع المراهق

أولاً- التوصيات الموجّهة للولي بما يفيد بكيفية التعامل مع الابن بخصوص كونه مراهقاً:

إتخاذه وزيراً:

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

"الولدُ سيدٌ سبعَ سنين، عبدٌ سبعَ سنين، ووزيرٌ سبعَ سنين، فإن رضيتَ أخلاقَهُ لإحدى وعشرين، وإلا فاضربْ على جنبِهِ فقد أعذرتَ إلى الله تعالى".(١٨)

قدّم النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) توصيفاً لما ينبغي أن يكونَ منهجَ معاملةٍ للإبنِ المراهقِ "وزير". وقد وردَ في لسانِ العربِ أنَّ الوزيرَ: حبأُ الملكِ الذي يحملُ ثقلَهُ ويعينُهُ برأيه... وقيل: قيلَ لوزيرِ السلطانِ وزيرٌ لأنه يزرُ عن السلطانِ أثقالَ ما أُسندَ إليه من تدبيرِ المملكة، أي يحملُ ذلك. الجوهري: الوزير... لأنّهُ يحملُ عنهُ وزرَهُ أي ثقلَه". (١٩)

فيكونُ الطابعُ العامُّ للإبنِ أنّهُ قادرٌ على تحمّلِ المسؤوليّات، فيُناطُ به أداءُ بعضِ المهام. وما ذلك إلا لأنّهُ أصبحَ مؤهّلاً نفسيّاً، وجسديّاً، وفكريّاً لتحمّلِ عبءِ الوظائف، وأنَّ طول المدة التي يخضعُ فيها الإبنُ لهذه المعاملةِ كفيلةٌ بتدريبهِ على وظائفِ الدورِ الإنسانيّ، والاجتماعيّ. فهي بمثابةِ تدريبٍ عمليٍّ لما هو مقبلٌ عليه من دورٍ إنسانيٍّ واجتماعيّ. فمن المحتملِ أن يُصابَ بإخفاقٍ أو قصورٍ في أدائه، لا سيما في بدايةِ المرحلة؛ فأداؤهُ منوطٌ بمستوى النضجِ الذي وصلَ إليه، وإنَّ توصيةَ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاستمرارِ بهذا النمطِ من المعاملةِ لمدّةِ سبعِ سنوات، ذلك أنَّ الإبنَ لازالَ في طورِ النموِّ والتكامل، لا سيما العقليِّ والجسميّ، "... ومنتهى طولهِ لإحدى وعشرينَ، ومنتهى عقلهِ لثمانٍ وعشرينَ إلا التجارب". فيُتركُ الإبنُ في هذهِ السبعِ سنواتٍ لتحمّلِ عبءِ بعضِ الوظائف، لكن مع بقاءِ مراقبةٍ وتقويمِ الوليِّ لأدائهِ للوظائف، حتى يصلَ لآخرِ المرحلة "... وإلا فاضربْ على جنبه".

وممّا يسهّلُ اتباعَ توصيةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على الإبنِ ووليّهِ في هذه المرحلة، إتباعُ توصيتهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرحلةِ السابقةِ لها، فهي تشكّلُ منظومةً تربويّةً متكاملة، ومنسجمَة، الحلقةُ منها مهّدةٌ لما بعدَها، وإنَّ ما قبلَ استوزارِ الإبنِ اتخاذُهُ لدورِ العبد. ومعروفٌ أنَّ الطابعَ المميّزَ لمنتحلِ دورِ العبدِ طاعةُ مولاه، واتباعُ أوامره، واجتنابُ زواجره. فينبغي للوليِّ أن يُعينَ ويربيَّ الإبنَ في الطفولةِ المتأخرةِ على الطاعةِ وتنفيذِ الأوامر. وفي هذا الإجراءِ تقويةٌ لجانبِ الإنصياعِ للأوامر، وخفضِ حدّةِ الأنانيّة،

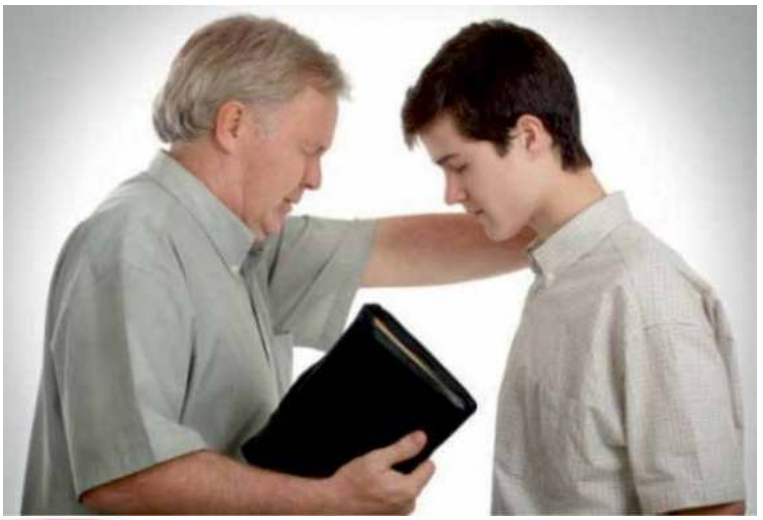

واتباعِ الملذاتِ التي كثيراً ما تكونُ حبَّ اللعبِ واللهوِ والراحةِ في هذه المرحلة، وهذا ما يعزّزُ من حسِّ المسؤوليّةِ لدى الصبيّ. وتستفادُ هذا المعنى كذلك من قولِ الإمامِ الكاظمِ (عليه السلام): "تستحَبُّ عرامةُ الصبيِّ في صغرِه؛ ليكونَ حليماً في كبرِه... ما ينبغي أن يكونَ إلا هكذا".(٢٠) (وفي هامشِ الحديث: أي إحملْهُ على الأمورِ الشاقة).

وهذا القدرُ البسيطُ الملائمُ لمرحلتِهِ العمريّةِ من تحمّلٍ للمسؤوليّةِ يجعلُهُ أكثرَ مهارةً في تحمّلِ العبءِ والمسؤوليّةِ في مرحلةِ المراهقة.

من الجديرِ بالذكرِ أنَّ هذا النمطَ من المعاملةِ يعالجُ إحدى المشكلاتِ الشائعةِ التي يمرُّ بها أبناءُ المرحلة، وهي التذبذبُ بين الطفولةِ والرجولة، حيث تكونُ معاملتهُ كطفلٍ حيناً، وكرجلٍ حيناً آخر، كما يجدُ نفسَهُ قد وصلَ لمصافِ الرجال.

وهذا ما أثبتتْهُ العالمةُ الانثربولوجيّةُ والسيكولوجيّةُ الأمريكيّةُ "مارغريت ميد" إذ انطلقتْ في دراستِها، لتتأكدَ من صحّةِ الموقفِ الذي تبنّاهُ أستاذُها "Boas" حيث رأى أنَّ الاضطراباتِ التي يُعاني منها المراهقونَ الأمريكيّونَ لا ترجعُ إلى أزمةِ البلوغِ وما يلحقُها من تغيّراتٍ عضويّة، وإنّما ترجعُ إلى الصعوباتِ التي يقابلُهُم بها المجتمع (ومنها نمطُ التربيةِ التي ينشأ عليها). فاهتمّتْ بالثقافةِ البولينيزيّة، وغانا الجديدة، وأندونيسيا، فوجدَتْ أنَّ مراهقي هذه المجتمعاتِ لا يُعانونَ من اضطراباتٍ وأزمات، بل يمرّونَ في المرحلةِ بهدوء، وذلك لأن رغباتِهم لا تقابَلُ بأيّةِ موانعَ أو محظورات؛ نظراً لطبيعةِ الثقافةِ السائدة.(٢١)

تعليمه:

وردَتْ عدّةُ أحاديثَ شريفةٍ تحث على طلبِ العلمِ مطلقاً، بل وجعلِهِ حقاً للإبنِ على أبيهِ أن يوفّرَ له السبيلَ لنيلِ العلوم. وزادَتْ بتخصيصِ بعضِ العلوم، ما يشيرُ لأهميّةِ العلومِ المخصوصةِ التي ينبغي أن يحوزَها، ويقوّمَ شخصيّتَهُ بالاستفادةِ منها، وهي:

أ- تعليمه القرآن الكريم: يحثُّ الإسلامُ ويرغّبُ الآباءَ على تعليمِ أبنائهمُ القرآنَ الكريمَ ببيان ما أعدّهُ الله لهم. فعن أبي عبدِ اللهِ (عليه السلام) قال: "قالَ رسولُ اللهِ (صلى عليه وآله وسلم): مَن قبّلَ ولدَهُ كتب عزَّ وجلَّ له حسنة، ومَن فرّحَهُ فرّحَهُ اللهُ يومَ القيامة، ومَن علّمَهُ القرآنَ دُعيَ بالأبوين فيُكسيان حلتيْن يضيءُ من نورِهما وجوهُ أهل الجنة".(٢٢)

ويوصي أهلُ البيتِ (عليهم السلام) أن يشرعَ الوليُّ بتعليمِ الإبن القرآنَ الكريمَ بدءاً بمرحلةِ لطفولةِ المتأخّرة، عن أبي عبدِ اللهِ (عليه السلام): "الغلامُ يلعبُ سبعَ سنين، ويتعلمُ الكتابَ سبعَ سنين،..."،(٢٣)

ويستمرُّ التأكيدُ على أهميّةِ تعلمِهِ حتى في مرحلةِ المراهقة، فعن أبي عبدِ اللهِ (عليه السلام) قال: "مَن قرأ القرآنَ وهو شابٌّ مؤمنٌ اختلطَ القرآنُ بلحمِهِ ودمِهِ وجعلَهُ اللهُ مع السفرةِ الكرامِ البررةِ... ".(٢٤) فينبغي أن يكونَ القرآنُ الكريمُ المحورَ الأساسَ في علومِ ومعارفِ المؤمن؛

فبه هدايتُهُ من الضلال، وهو تبيانٌ للمنهجِ القويمِ في الحياة، وطريقٌ يربطُهُ باللهِ عزَّ وجلّ، ويعصمُهُ من الغفلةِ عنه سبحانه.

ومواظبةُ المراهقِ على تدارسِ القرآنِ الكريمِ تؤدّي فضلا على ماسبق، دوراً مهمّاً يحتاجُهُ لهذه المرحلةِ من حياته، وهو زرعُ وتنميةُ الوازعِ الدينيِّ في نفسه؛ فيكونُ له درعاً حصيناً يحميهِ من الانزلاقِ في المعاصي. من هنا نجدُ التوجيهَ بتعليمِ النساءَ سورةَ النورِ لما فيها من مواعظَ تعزّزُ لديها جانبَ العفة. فعن الإمامِ عليٍّ (عليه السلام): "لا تعلّموا نساءَكُم سورةَ يوسفَ ولا تُقرؤوهنَّ إيّاها؛ فإنَّ فيها الفتن. وعلّموهنَّ سورةَ النورِ فإنَّ فيها المواعظ".(٢٥)

ب - تعليمه الحلال والحرام:

عن أبي عبدِ اللهِ (عليه السلام): "الغلامُ يلعبُ سبعَ سنين، ويتعلمُ الكتابَ سبعَ سنين، ويتعلمُ الحلالَ والحرامَ سبعَ سنين".(٢٦)

تتأكدُ في هذه المرحلةِ العمريّةِ أهميّةُ تعلمِ أحكامِ الدينِ الإسلامي، فالمراهقُ لديهِ من النماءِ العقليِّ ما يمكّنهُ من تلقي هذه العلوم، كما أنه يكونُ قد دخلَ مرحلةَ التكليف؛ فعليه أن يكونَ على درايةٍ بالمنهجِ السليمِ للحياة، فيعرفُ الأحكامَ الفقهيّةِ لما هو في معرضِ الابتلاءِ به في حياته.

فعن أميرِ المؤمنين (عليه السلام): " يا معشرَ التجارِ، الفقهَ ثمَّ المتجر، الفقهَ ثمَّ المتجر، والله للرِّبا في هذهِ الأمّةِ أخفى من دبيبِ النملِ على الصفا...".(٢٧)

وخطابُ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) لخصوصِ جماعةِ التجارِ بالتفقهِ ثمَّ الانخراطَ في العملِ التجاري؛ للأمنِ من الإنزلاقِ في المحرّماتِ التي قد يواجهونَها في عملِهم، لا سيما أنَّ بعضَها خفيٌّ لا يكتشفُ سوءَهُ إلا بعُسر، فالمتحصّنُ بالعلمِ أقدرُ على التمييزِ والتحصُّنِ من المعصية.

وإن تعاهد الولي بتعليم المراهق أحكام الحلال و الحرام إعداد له لمعرفة التصرف السليم إزاء الحوادث و المواقف الحياتية التي ستعترض مسيرته في الحياة.

وخيرُ أسوةٍ للآباءِ أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام) حيث أخبرَ في وصيتهِ لابنهِ الإمامِ الحسنِ (عليه السلام) سعيَهُ لأداءِ هذه المهمّة: "ورأيتُ حيث عناني من أمرِكَ ما يعني الوالدَ الشفيق، وأجمعتُ عليه من أدبِكَ أن يكونَ ذلكَ وأنتَ مقبلُ العمرِ ومقتبلُ الدهر، ذو نيّةٍ سليمةٍ ونفسٍ صافية، وأن ابتدئُكَ بتعليمِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وتأويلِه، وشرائعِ الإسلامِ وأحكامه، وحلالِهِ وحرامه، لا أجاوزُ ذلك بكَ إلى غيره".(٢٨)

ت - تأديبه: قال أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام) في وصيّتِه لابنِه الحسنِ (عليه السلام):"وإنّما قلبُ الحدَثِ كالأرضِ الخاليةِ ما ألقيَ فيها من شيءٍ قبلَتْه. فبادرتُكَ بالأدبِ قبلَ أن يقسُوَ قلبُكَ و يشتغلَ لبُّك، لتستقبلَ بجدِّ رأيكَ من الأمرِ ما قد كفاكَ أهلُ التجاربِ بُغيَتَه وتجربتَه، فتكونَ قد كُفيتَ مؤونةَ الطلبِ وعُوفيتَ من علاجِ التجربة، فأتاكَ من ذلك ما قد كنّا نأتيه واستبانَ لكَ ما ربّما أظلمَ علينا منه..."(٢٩)

وردَ في اللغةِ أنَّ حداثةَ السنِّ كنايةٌ عن الشبابِ و أولِ العمر.(٣٠) والتي هي ضمنَ مرحلةِ المراهقة.

والإمامُ عليٌّ (عليه السلام) أولُ ما يبتدئُ ببيانِ واحدةٍ من خصائصِ المراهق، وهي أنَّ قلبَهُ كالأرضِ الخالية، ما أُلقيَ فيها من شيءٍ قبلتْه: فالنموُّ والازدهارُ بطريقٍ أيسر، وجهدٍ أقلَّ إنّما يكونُ في الأرضِ المهيأةِ والمستعدّةِ (الخالية) فلا يتكلّفُ الزارعُ عناءَ تنظيفِها، وإزالةِ ما يحولُ دون زراعتِها. كذا المراهق إذ فكرُهُ لم يتشكلْ بعد، فهو في هذه المرحلةِ يسعى لتبنّي الأفكارِ والمعتقدات، وتشكلِ آرائه حول القضايا. أو أنّه قد ابتنى فكرُه، لكن لم يستقرَّ بعد، فتكون آراؤهُ وأحكامه التي يطلقُها على القضايا غير متسمَةٍ بالثبات، فهي في تغيّرٍ تبعاً لتغيّرِ فكرِه. حتى الجوانبِ النفسيّةِ منه تتصفُ بهذه الميزة، وهذا ما يفسّرُ تبدّلَ الهوايات لدى بعضِ المراهقين.

واستفاد أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام) من هذه الخاصيّة: فزرعَ الأدبَ في نفسِ المراهقِ "قبلَ أن يعجلَ بي أجلي... أو يسبقَني إليك بعضُ غلباتِ الهوى، أو فتنِ الدنيا فتكونُ كالصعبِ النفور".(٣١) فيقسوَ قلبُه، و يعسُرُ عليه التلقي، وكفاهُ مؤونةَ شقاءِ العلاجِ بعد أن يبتليَ بما هو غيرُ محمود. فأعانَ الإبنَ على ارتقاءِ مدارجِ الكمال، بالاستفادةِ من خبراتِ السابقين، والتطويرِ عليها.

والأدبُ في اللغة: الذي يتأدّبُ به الأديبُ من الناس، سمّيَ أدباً لأنّهُ يؤدّبُ الناسَ إلى المحامدِ وينهاهُمْ عن المقابح... وأدّبَهُ فتأدّب: علّمه.(٣٢)

أما اصطلاحاً كما عرّفَهُ السيدُ الطباطبائيُّ في تفسيره الميـــزان: هو الهيئةُ الحسنةُ التي ينبغي أن يقعَ عليه الفعلُ المشروعُ إما في الدينِ أو عندَ العقلاءِ في مجتمعِهم كآدابِ الدعاءِ وآدابِ ملاقاةِ الأصدقاء، وإن شئتَ قلتَ ظرافةَ العمل.(٣٣)

وأردفَ في بيانه للأدب "وليستِ الآدابُ هي الأخلاقُ لما أنَّ الأخلاقَ هي الملكاتُ الراسخةُ الروحيّةُ التي تتلبّسُ بها النفوس، ولكنَّ الآدابَ هيئاتٌ حسنةٌ مختلفةٌ تتلبّسُ بها الأعمالُ الصادرةُ عن الإنسانِ عن صفاتٍ مختلفةٍ نفسيّة، وبينَ الأمريْنِ بَوْنٌ بعيد. فالآدابُ من منشئاتِ الأخلاق".(٣٤)

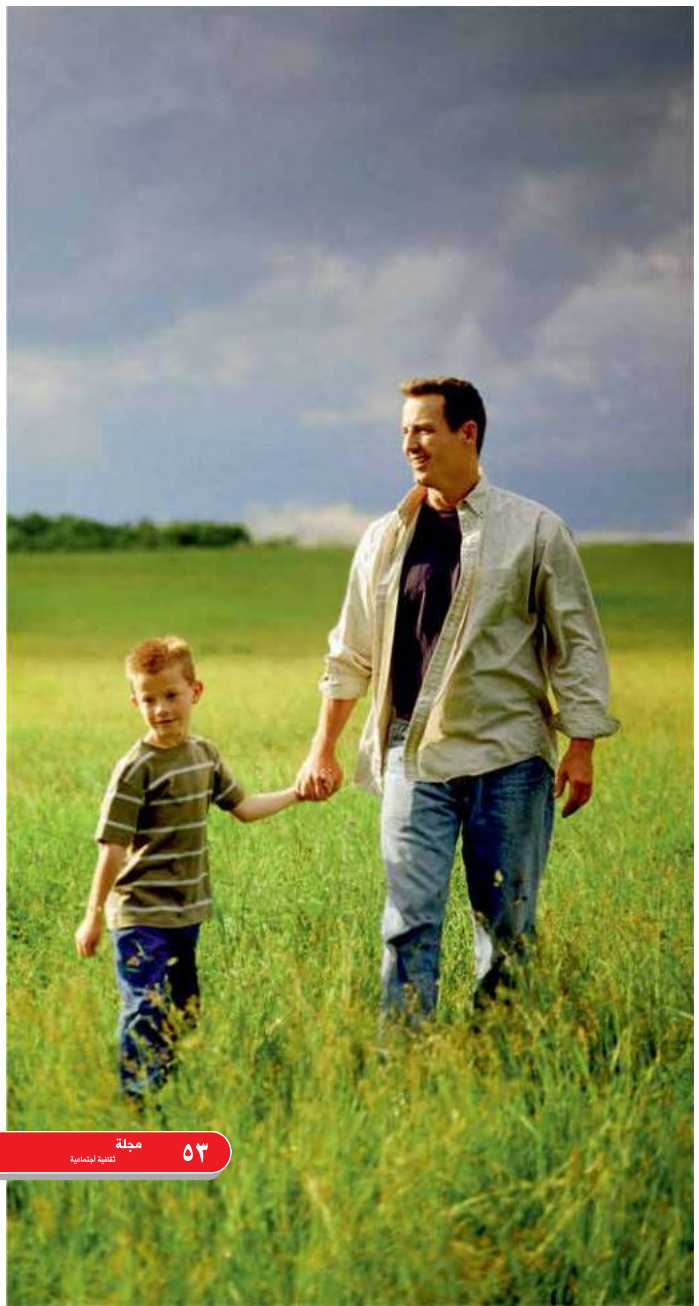

ووردت عن أهلِ البيتِ (عليهم السلام) منها أحاديثاً متعددة على تأديبِ الولد، منها قولُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "لأن يؤدّبَ أحدُكُم ولَدَهُ خيرٌ لهُ من أن يتصدّقَ بنصفِ صاعٍ كلَّ يوم".(٣٥)

بل عُدَّ من أفضلِ ما يقدّمُهُ الأبُ لابنه، فعن أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام): "ما نَحَلَ والدٌ ولداً نِحلاً أفضلَ من أدبٍ حسَن".(٣٦)

فما يقعُ على عاتقِ الأبِ من تعليمِ ابنهِ الآدابَ الإسلاميّةَ والاجتهادَ في غرسِها في نفسه، يأتي منسجماً مع موقعيّةِ الأخلاقِ في المنظومةِ الإسلاميّة.

وعلى الإبنِ أن يدأبَ على الامتثالِ للآدابِ الإسلاميّة، حتى تتحولَ في نفسهِ إلى ملكاتٍ راسخةٍ فيكونُ خلقَهُ إسلامياً.

ث- تعليمُهُم علومَ أهلِ البيتِ (عليهم السلام): عن أبي عبدِ الله (عليه السلام): "بادروا أحداثَكُم بالحديثِ قبلَ أن تسبقَكُم إليهمْ المُرجِئة".(٣٧)

يمكنُ أن يُحملَ النصُّ الشريفُ على دلالةِ الدعوةِ لتنميةِ الحسِّ الأدبيِّ عند المراهق، وألا يهمل الوليُّ هذا الجانبَ الوجدانيَّ المساهمَ في تنميةِ الجانبِ المعرفيِّ لدى ابنه، مع مراعاةِ أن يكونَ وفقَ ضوابطَ تنسجمُ مع المبادئ الإسلاميّة: فنجدُ تعليلَ أميرِ المؤمنينَ لحبّهِ لشعرِ أبيه: أنّهُ كانَ مؤمناً، فلن ينضحَ إلاّ بما يقرُّ به بالعبوديةِ للهِ عزَّ وجلّ، وأنَّ فيه علمٌ كثير.

فيمكنُنا عدُّ هذا تحذيراً بأن لا يُقبلُ المراهقُ على الأدبياتِ إلا ما كانَ منسجماً منها مع الإسلام، فيتحرّزُ من الخطلِ من كلِّ المنافذِ المحتملِ النفوذَ منها.

ح - تعليمُهُم السباحةَ والرماية:

قال النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "علّموا أولادَكُمُ السباحةَ والرماية".(٤١)

يوجّهُ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الأولياءَ لتعليمِ أبنائهم رياضتيْن هما: السباحة، والرماية.

وهاتانِ الرياضتانِ من شأنِ الإبنِ في مرحلتي الطفولةِ المتأخّرةِ والمراهقة. وتُعدانِ من صنفِ التربيةِ الرياضيّةِ البدنيّة. ولا تخفى عنايةُ الإسلامِ بالصحةِ العامّة، فكثُرتِ التوصياتُ فيما يُرشدُ لها من جوانب متعددة، كالحثِّ على أنواعٍ من الأغذية، وقواعدِ السلامةِ في الأكل، والتشجيعِ على النظافة...

تأتي الرياضتانِ في السياق، نفسه فالسباحة: رياضةٌ طبيعيّةٌ تعد الأكثرَ نفعاً للجسمِ من غيرها من الرياضات. إنّها تقوّي جميعَ أعضاءِ الجسم، تنمّي العضلاتِ وتُكسبُها مرونة، إذ تُشركُها جميعاً في العملِ دفعةً واحدةً وتزيدُ بذلك من قوّةِ العملِ العضليّ. وهي رياضةٌ خَلقيةٌ تنمّي الإرادةَ والشجاعةَ والصبرَ والثباتَ وتقوّي ملكةَ الاعتمادِ على النفس.

وبسببِ ضغطِ الماءِ على الصدرِ والجذعِ أثناءَ السباحةِ يزدادُ عمقُ التهويةِ الرئويّةِ ويحتلُّ السبّاحونَ بذلك مكانةً عاليةً في اختيارِ السعةِ الحيويّةِ والتي تزدادُ عندهُم لأكثرَ من ٣٠ مرةً من السعةِ المفترضَة، كما تزدادُ سرعةُ التنفس. وإنَّ الوضعَ الأفقيَّ للجسمِ أثناءَ السباحةِ يخلّصُ الجسمَ من تأثيرِ الجاذبيّةِ الأرضيّةِ ويسهّلُ عملَ القلب، فيزدادُ حجمُ الدمِ الذي يدفعُهُ في الدقيقةِ فيقوّي القلبَ وينشّطُ الدوران.

وتؤكدُ أبحاثُ الطبِّ الرياضيِّ أنَّ السباحةَ تساعدُ العضلاتِ الضعيفةَ على الحركةِ عندما يطفو البدنُ فوقَ الماء، كما تعملُ مقاومةُ الماءِ للحركةِ نوعاً معتدلاً من تمريناتِ المقاومةِ تؤدّي لاستعادةِ البدنِ لحيويتهِ عقبَ حالاتِ الضعفِ العامِّ وفي فتراتِ النقاهةِ من المرضِ أو بعدَ العمليّاتِ الجراحيّة.

وإنَّ قوّةَ دفعِ الماءِ إلى الأعلى تساعدُ على عمليّةِ الطفوِ التي تسمحُ لأجزاءِ الجسمِ المصابةِ بأنواعٍ معتدلةٍ من الشللِ

والضمورِ العضليِّ بالأداءِ الحركيّ. وبمّا يحسّنُ المدى الحركيَّ للمفاصلِ التي قد أصابَها التصلبُ نتيجةَ فتراتٍ طويلةٍ من الراحةِ أو استعمالِ الجبائر. هذا علاوةً على التأثيرِ النفسيِّ الحسَنِ للسباحةِ وقدرتها على جعلِ المصابِ متكيّفاً مع العجزِ البدنيّ. يرى الدكتور الشطي أنَّ المتمرّنينَ على السباحةِ منذ صغرِهم لا أثرَ فيهم للتشوّهاتِ والأوضاعِ المعيبة. لذا اعتبرتْ أبحاثُ الطبِّ الرياضيِّ السباحةَ إحدى الوسائلِ العلاجيةِ المهمّةِ لتصحيحِ بعضِ العاهاتِ الجسمانيّةِ لا سيما انحناءَ الظهرِ وتقوّسِ الأرجل.(٤٢)

أمّا الرمايةُ فرياضةٌ "يُمتحَنُ فيها الصبرُ والدقةُ وقوّةُ الأعصاب".(٤٣)

وتوصيةُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بهاتينِ الرياضتيْنِ ربّما للإشارةِ للرياضاتِ الحركية، وللرياضاتِ الذهنيّة، كقوةِ التركيز.

مضافاً إلى أنَّ ممارسةَ الرياضةِ تساعدُ على خفضِ التوترِ النفسيِّ الذي يعرُضُ للأفراد. فتعدُّ من أفضلِ الوسائلِ للترويحِ عن النفس. ويشيرُ الحديثُ المرفوعُ إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ذلك: "كلُّ لهوِ المؤمنِ باطل، إلا في ثلاث: في تأديبِهِ الفرس، ورميهِ عن قوسِه...".(٤٤)

ويستشفُّ أنَّ الحثَّ على الرمايةِ يمتازُ بخصوصيّة. فإلى جانبِ كونها رياضةٌ ذهنيّةٌ عضليّة، فإنَّ بها قوّةٌ وعزّةٌ للإسلام. عن أبي عبدِ اللهِ (عليه السلام) عن آبائه، قال: "الرميُ سهمٌ من سهامِ الإسلام".(٤٥) وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قولِ اللهِ عزَّ وجلّ "وأعِدّوا لهُمْ ما استطعْتُمْ من قوّةٍ ومن رباطِ الخيْل"، قال: "الرمي".(٤٦)

فالشبابُ ذخيرة، وعمودٌ تصولُ به الأمّةُ الإسلاميّة. وبقدر ما يكونُ قويّاً (الشباب) وعلى أهبةِ الاستعدادِ حينما يستصرخُهُ الإسلامُ للدفاعِ المسلحِ عنه، بقدر ما يكونُ المجتمعُ الإسلاميُّ عزيزاً، ومنيعاً ضد غرضِ الأعداء.

فيحققُ تعلمُ المراهقِ الرمايةَ الفائدةَ على مستويين: المستوى الفرديِّ للمراهق، وعلى مستوى الأمّةِ الإسلاميّة.

التشدّد على الإلتزام بالصلاة

قال الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): "علّموا صبيانَكُمُ الصلاة، وخذوهُمْ بها إذا بلغوا الحُلُم".(٤٧)

يحتلُّ فرضُ الصلاةِ مكانةً خاصّةً في النصوص الإسلاميّة؛ لما لها من موقعيّةٍ متميّزةٍ جعلتها عمودَ الدين. وأنَّ الشخصَ السويَّ لابدّ وأن يكونَ محافِظاً على أداءِ الصلاة، وبقدرِ ما يؤدّيها المسلمُ صحيحةً فقهيّاً، سليمةً معنوياً (أي آدابُ الصلاةِ الباطنية، من حضورِ قلبٍ وخشوع...) بقدرِ ما يرتقي من سلّمِ الكمالِ الإنسانيّ، وممارسةِ أنشطتِهِ الحياتيّةِ بصورةٍ متزنة "إنَّ الصلاةَ تنْهى عن الفحشاءِ والمنكر".سورة العنكبوت، آية ٤٥

ويأتي منسجماً مع هذه الموقعيّةِ الخاصّةِ للصلاة، تعدّدُ الأحاديثِ الشريفة، والتوصياتِ الكريمةِ لأهلِ البيتِ (عليهم السلام) فيما يتصلُ بمسؤوليّةِ الأبِ في تعليمِ إبنِه، وإعانتِهِ على أداءِ فريضةِ الصلاة.

ويحدّدُ أهلُ البيتِ (عليهم السلام) أن تبدأ عمليّةُ تعليمِ الإبنِ الصلاةَ منذ مرحلةِ الطفولةِ المتأخّرة.

قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "مُروا صبيانَكُم بالصلاةِ إذا كانوا أبناءَ سبعِ سنين...".(٤٨)

وإلى جانبِ الأمرِ بأمرِ الصبيِّ بالصلاةِ في عمرِ السابعة، يوصي (عليه السلام) بأمورٍ كالتدرّجِ في عمليّةِ التعليم، مع الحرصِ على أن يوليَ الأبناءُ أهميةً للمحافظةِ على أداءِ الصلاة، بلغَ حدَّ الضربِ التأديبيِّ في مراحلَ معينةٍ من التعليمِ عند تركِهم للصلاة. عن أبي عبد الله وأبي جعفر (عليهما السلام):"... حتى يتمَّ له خمسُ سنين ثم يُقال له: أيّهُما يمينُكَ وأيّهُما شِمالُك، فإذا عرفَ ذلك حولَ وجهَهُ إلى القبلةِ ويُقال له: أسجدْ ثمَّ يُتركُ حتى يتمَّ له ستُّ سنين، فإذا تمَّ له ستُّ سنينَ صلى، وعُلّمَ الركوعَ والسجودَ حتى يتمَّ له سبعُ سنين، فإذا تمَّ له سبعُ سنينَ قيلَ له: إغسلْ وجهَك وكفّيْك، فإذا غسلهما قيلَ له: صلِّ ثمَّ يُتركُ حتى يتمَّ له تسعٌ فإذا تمّتْ لهُ عُلّمَ الوضوءَ وضُربَ عليه، وعُلّمَ الصلاةَ وضُربَ عليها فإذا تعلمَ الوضوءَ والصلاةَ غفرَ اللهُ لوالديْه"(٤٩)

مع مراعاةِ الوليِّ لطاقةِ الإبنِ فيهيّأ لهُ الظروفُ التي تُعينُهُ على أدائها، وأن لا يُشعرُهُ بمشقةٍ إزاءَ الصلاة. عن عليِّ بنِ الحسين (عليه السلام) أنّهُ كان يأخذُ مَن عندَه (من) الصبيان بأن يُصلّوا الظهرَ والعصرَ في وقتٍ واحد، والمغربَ والعشاءَ في وقتٍ واحد، فقيل له في ذلك، فقال: "هو أخفُّ عليهم، وأجدرُ أن يُسارعوا إليها، ولا يُضيّعوها ولا يناموا عنها ولا يشتغلوا".

وكان لا يأخذُهُم بغيرِ الصلاةِ المكتوبة، ويقول: "إذا طاقوا الصلاةَ فلا تؤخّروهُم عن المكتوبة".(٥٠) ويستمرُّ واجبُ الأبِ في إعانةِ ابنِهِ على الصلاةِ لمرحلةِ المراهقة، فنجدُ أميرَ المؤمنينَ (عليه السلام) يقول:

"وخُذوهُمْ بها إذا بـــلَغوا الحُلُم". واللفظُ خذوهُم ناظرٌ للمبـــالغةِ في أمرِها، فلا يستنكفُ الوليُّ من محاسبةِ ابنِهِ المراهقِ فيما لو أبـــدى تفريطاً في الصلاة، ناهيكَ عن أمرِهِ بها، ومراقبتِهِ عليها.

والإبنُ المراهقُ حينما يجدُ الشـدّةَ والإصرارَ من وليّهِ في أمرِ الصلاة، كان أبـــلغَ أثراً في استشـعارِ أهميّتِها، والموقـعيّةِ المركزيّةِ التي ينبغي أن تكونَ لها في حياتِه.

فيما يتصل بالغريزة الجنسية للمراهق..

تحقـقُ الغريزةُ الجنسـيّةُ لدى الإنسـانِ عواملَ بقـاءِ النوع، بـالمحافظةِ على استمرارِ التناسل، بل يُقال إنّها من أقوى الغرائزِ في الإنسان. وشـرّعَ الإسـلامُ لها عدّةَ ضوابـطَ لتحقـقَ الغرض، ولتُعينَ الإنسانَ على سلكِ مدارجِ الكمال، ولكي لا يصرفَها بنحوٍ خاطئ يعودُ بالوبالِ على الفردِ والمجتمع.

ومرَّ سـلفاً إلى أنّها تنشـطُ في مرحـلةِ البلوغ، إلا أنَّ التوصياتِ الإسلاميّةَ تذهبُ إلى ضرورةِ توفيرِ بـيئةٍ نظيفة، وسـلوكِ طريقٍ آمنةٍ لنموّها لدى الأبـناء، وإنَّ هذه التربيةَ تبدأ من دورِ الطفولة، حـتى يتزوّجَ الإبـنُ (والزواجُ هو الطريقُ السـليمُ والصحيحُ لتصريفِ الغريزةِ الجنسيّة).

فتذهـبُ التوصيـاتُ إلى ضـرورةِ عيـشِ الأطفالِ في بـيئةٍ نقـيّةٍ من المحفزاتِ الجنسيّة، حتى قبلَ مرحلةِ البلوغ.

فعن النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم):

"والذي نفسـي بـيدِهِ لو أنَّ رجلاً غشـيَ امرأتَهُ وفي البيتِ صبيٌّ مستيقـظٌ يراهُما ويسـمعُ كلامَهُما ونفسَهُما ما أفلحَ أبـداً، إذا كانَ غلاماً كانَ زانياً، أو جاريةً كانت زانية".(٥١)

وربّما تكونُ العلاقـةُ بـين الظرفِ والنتيجةِ انطباعُ صوَرِ الممارسـاتِ الجنسـيّةِ في ذهنِ الصبي، فيعمدُ إلى التقـليد، أو يختزنُها في ذهنِه، ومتى ما شعرَ أن الفرصةَ سانحةً حاولَ تطبـيقَها، ولو بـعيداً عن هذينِ الفرضيْن، فهي تعرّضُ الطفل لاضطرابٍ نفسيّ.

ويواجهُ الأهلُ حالياً على هذا الصعيدِ تحدياً أفرزَهُ الانفتاحُ الثقـافيُّ المتمثلُ في القـنواتِ التلفزيونيّة وشبـكةِ الانترنت والألعابِ الإلكترونيّة، وشبكاتِ التواصلِ الاجتماعيّ، وحـتى الموجّهِ للأطفالِ منها، إذ صارتْ مسـمومةً باحـتوائها على نماذجَ لممارسـاتٍ جنسية.

ومع اقترابِ الطفلِ من مرحلةِ البلوغ، يوصي النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) باتخاذِ تدابيرَ وقائيّةٍ لحمايةِ الطفلِ من الخرقِ المحتمَلِ والمتصلِ بهذهِ الغريزة"... وفرِّقوا بينَهُم في المضاجعِ إذا كانوا أبناءَ عشرِ سنين".(٥٢)

ومع وصولِ الإبنِ مرحلةَ المراهقةِ فإنَّ الإسلامَ يحثّ الوليَّ على التبكيرِ في تزويجِهِ إبناً كانَ أو بنتاً. فعن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "من حقِّ الولدِ على والدِهِ أن يُحسنَ اسمَهُ إذا وُلد، وأن يُعلّمَهُ الكتابةَ إذا كبُر، وأن يعفَّ فرجَهُ إذا أدرَك".(٥٣) وعن أبي عبدِ الله (عليه السلام) قال: قالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "حقُّ الولدِ على والدِهِ إذا كان ذكَراً أن يستفرَّهُ أمَّهُ ويستحسنَ اسمَهُ يعلّمَهُ كتابَ اللهِ ويُطهِّرَهُ ويعلّمَهُ السباحة، وإذا كانتْ أنثى أن يستفرَّهُ أمَّها ويستحسنَ اسمَها ويعلّمَها سورةَ النورِ ولا يعلّمَها سورةَ يوسفَ ولا يُنزلَها الغرَفَ ويعجّلَ سراحَها إلى بيتِ زوجِها".(٥٤)

فالزواجُ خيرُ ضمانةٍ لتصريفِ الغريزةِ بشكلٍ سليم، وعليه حثَّ الإسلامُ ورغّبَ فيه، حتى أنَّ: "مَن تزوّجَ فقد أحرزَ نصفَ دينِه، فليتقِ اللهَ في النصفِ الباقي".(٥٥)

وهنا تردُ إشكاليّةٌ من واقعِ الحياة، وهي عدمُ القدرةِ على تحصينِ الأبناءِ بالزواجِ المبكّرِ في كثيرٍ من الأحيان: إمّا لظروفٍ ماديّة، أو لظروفٍ تعودُ للإبنِ المراهقِ نفسِه، إذ يشخّصُ الوليُّ أنَّ الإبنَ لم يصلْ بعدُ لمستوى ملائمٍ وكافٍ من القدرةِ على تحمّلِ المسؤوليّة، فيُستفادُ من إظهارِ الحبِ والعطفِ عليه تولي توصياتُ توصيةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "يا معشرَ الشبّانِ عليكم بالباءةِ فمَن لم يستطعْ فعليهِ بالصومِ فإنّهُ لهُ وجاء".(٥٦) وجاء في هامشِ الحديثِ تبييناً له: "واختلفَ العلماءُ في المرادِ بالباءةِ هنا على قوليْن يرجعانِ إلى معنى واحد. أصحُّهُما أنَّ المرادَ معناهُ اللغويُّ وهو الجماع. فتقديرُهُ من استطاعَ منكُمُ الجماعَ لقدرتِهِ على مؤونتِهِ وهي مؤنُ النكاحِ فليتزوّج، ومن لم يستطعِ الجماعَ لعجزِهِ عن مؤنِه، فعليه بالصومِ ليقطعَ شهوتَه، ويقطعَ شرَّ منيِه، كما يقطعُه الوجاء".

وعليه فمن المستحسنِ للأولياءِ في هذهِ المرحلةِ تشجيعُ المراهقينَ على الصيام، وتنميةُ الوازعِ الدينيِّ لديهم للابتعادِ عن المثيراتِ والمنبّهاتِ الجنسيّة، التي للأسفِ انتشرت في أوساطِ المجتمعات، ووصلتْ لكلِّ زاويةٍ في المنزل!

ثانياً: التوصيات الموجهة للولي فيما يفيد بكيفية التعامل مع الابن بشكل عام إظهار الحب و العطف عليه

تولي توصياتُ أهلِ البيت (عليهم السلام) اهتماماً بالجانبِ العاطفيّ، وحثٌّ على أن يكونَ قوامُ العلاقةِ بين الأبِ والإبنِ العطفَ والرحمة، والاستمرارُ في تغذيةِ الجانبِ العاطفيِّ للطرفيْنِ معاً.

فمن جانبِ الأبِ عن أبي عبدِ الله (عليه السلام): "إنَّ الله ليرحمُ العبدَ لشدّةِ حبّهِ لولده".(٥٧)

فبقدرِ ما يستشعرُ الأبُ، ويتحسّسُ حبَّهُ لولدِه، بقدرِ ما يشتدُّ ارتباطُهُ بإبنِه، ويسعى حثيثاً لتربيتِهِ التربيةَ الصالحة، ويمدّهُ بالصبرِ على صعوباتِ التربية.

ولتقويةِ العلاقة، ولنجاحِ العمليّةِ التربويّةِ يلزمُ أن يزرعَ في قلبِ الطرفِ الثاني (الإبن) الحبَّ تجاهَ أبيهِ أيضاً، وفي هذا السبيلِ توصياتٌ شريفةٌ تُعينُ الأبَ على زراعةِ الحبِّ في قلبِ الأبناء، من قبيل:

أ – إدخالُ السرورِ على قلبِه. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا نظرَ أحدُكُم إلى ولدِهِ فسرَّه، كان للوالدِ عِتقُ نسَمة. قيلَ يا رسولَ الله، وإن نظرَ ثلاثمائة وستينَ نظرة؟ قال: الله تعالى أكبر".(٥٨)

ب – إعانةُ الإبنِ على برِّ والديْه. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "رحِمَ اللهُ مَن أعانَ ولدَهُ على برِّه. قال: قلت: كيف يُعينُهُ على برِّه؟ قال: يقبلُ ميسورَهُ ويتجاوزُ عن معسورِهِ ولا يُرهقَهُ ولا يخرقَ به...".(٥٩)

ولا يخفى أنَّ السبيلَ الذي وضحّهُ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لإعانةِ الإبنِ على البرِّ تكرّسُ لحالةِ الحبِّ والعطف، فيتعاملُ الأبُ بليونةٍ ويُسرٍ مع الإبن، ما يتركُ أثراً حسناً في نفسِ الإبن، فيقابلُ الإحسانَ بالإحسان.

توفير بيئة أسرية مستقرة في قولِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): "حقُّ الولدِ على والدِهِ إذا كان ذكَراً أن يستفرّهُ أمَّه... وإذا كانت أنثى أن يستفرّهُ أمها...".

وقد جاءَ في هامشِ الحديثِ في الصفحةِ التاسعةِ والأربعين من الجزءِ السادسِ من كتابِ الكافي للشيخِ الكليني: "يستفرّهُ في الموضعين أي يستكرم أمَّهُ ولا يدعو بالسبِّ لأمِّهِ واللعن والفحش". فجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حُسنَ معاشرةِ الزوجة من حقِّ الإبن!

نعم، باتَ من المسلّماتِ في عالمِ التربيةِ ما يحتلّهُ استقرارُ العلاقةِ الزوجيّة. فاستكرامُ الرجلِ زوجتَهُ إنّما يتحققُ بإبداءِ الاحترامِ والتقديرِ لها، وفي المقابلِ من الطبيعيِّ أن تُقابلَ المرأةُ زوجَها بحسنِ العشرة، ما يُظهرُ علاقةً سويّة، وبيئةً أسريّةً بعيدةً عن الاضطراباتِ والمشاكل، يعيشُ الأبناءُ في كنفِها بطُمأنينة، وراحة بال.

غرس مبادئ أساس في نفوس الأبناء فقد ورد "أدّبوا أولادَكُم على ثلاث خِصال: حبِّ نبيِّكُم، وحبِّ أهلِ بيتِه، وقراءةِ القرآن...".(٦٠)

تشيرُ التوصيةُ لضرورةِ التأكيدِ على غرسِ مبدأينِ أساسيْنِ في نفوسِ الأبناءِ عُينُهُ لاحقاً على التمسّكِ بما أمرَ اللهّ عزَّوجلَّ به.

فحبُّ المرءِ لأهلِ البيتِ (عليهم السلام) لهُ بالغُ الأثرِ في ربطِهِ بهم، وسعيهِ نحوَ التمسّكِ بهم، والاقتداءِ بسيرتِهم (عليهم السلام) فيكونُ الوليُّ كمَن وضعَ الإبنَ في التعلّقِ الصحيح "إنّي تاركٌ فيكُمُ الثقليْن؛ كتابَ اللهِ تعالى حبلٍ ممدودٍ من السماءِ إلى الأرض، وعترتي أهلِ بيتي".(٦١)

من النصوص الشريفةِ التي تشحدُ همَمَ الوالديْن نحوَ غرس هذه المبادئ "... واكسُوا والديْهِ حُلّةً لا تقومُ لها الدنْيا بما فيها، فينظرُ إليهما الخلائقُ فيُعظّمونَهما، وينظران إلى أنفسهما فيعجبان منهما، فيقولان: يا ربّنا أنّى لنا هذه؟ ولم تبلغْها أعمالُنا، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلّ: ومع هذا تاجُ الكرامة، لم يرَ مثلَهُ الراؤون، ولم يسمعْ بمثلِهِ السامعون، ولا يتفكّرُ في مثلِهِ المتفكّرون. فيُقالُ هذا بتعليمِكُما ولدَكُما القرآن، وبتبصيرِكُما

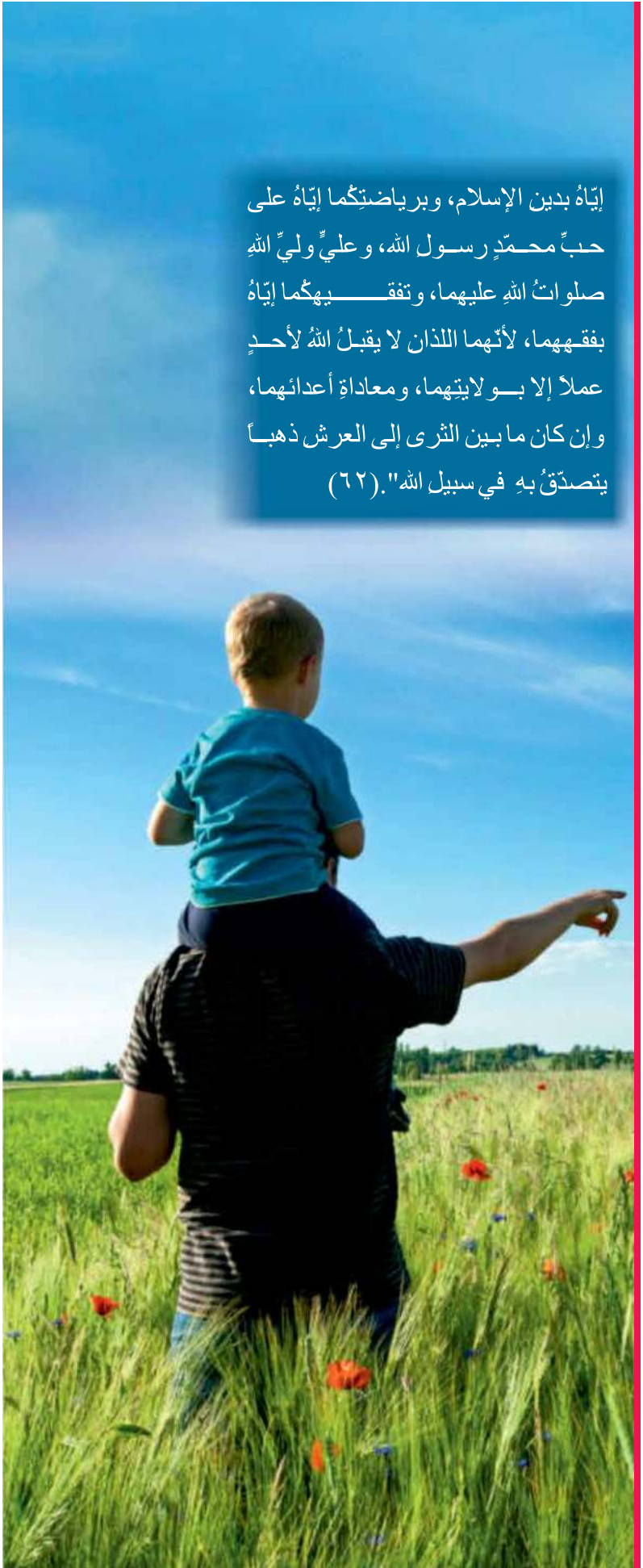

الخاتمة

قد تبدو عمليةُ التربيةِ من منظارِ المعرفةِ العلميّة فحسبْ عمليّة سهلة، لكن عندما يمارسُها الوليُّ عملاً، يجدُ المشقة والصعوباتِ فيها، وكما يجدُ حلاوتَها حيناً، يُرهقُهُ ثقلُها حيناً آخر، وقد ينتقلُ باحثاً عن حلولٍ لمشاكلَ تعرضُ لهُ عند أدائهِ لوظيفته.

نعم، إنَّ توفرَ المعرفةِ النظريّةِ السليمةِ لا يختلفُ اثنان على أهميتِها وفاعليتِها في الممارسة.

لكن تبقى مشكلةُ تدخّلِ عواملَ وظروفٍ بيئيّةٍ في التربية، فتُسهمُ في صياغةِ المراهق، وقد تكونُ على النقيض من الظروفِ المثلى، ما يلحُّ على أهميّةِ تظافرِ الجهودِ المجتمعيّةِ لإعانةِ الوليِّ على تربيةِ ابنِه، ولخلقِ ظروفٍ بيئيّةٍ ملائمةٍ لنشأةِ الأبناء، ولابدَّ لها أن تكونَ منسجمةً مع روحِ الإسلام.

ومن المرئيّاتِ في سبيلِ تحقيقِ هذا الهدف:

١ـ إقامةُ دوراتٍ تأهيليّةٍ للآباءِ والأمّهات، تبصّرُهُم بخصائصِ مرحلةِ المراهقة، وتوصياتِ أهلِ البيت (عليهم السلام) بشأنِها.

٢ـ تقديمُ برامجَ تعليميّةٍ للمراهقين تُعنى بما يشدّدُ عليه أهلُ البيتِ (عليهم السلام) من علوم، مع مراعاةِ تقديمِها بشكلٍ ينسجمُ مع روحِ العصر، وجذابٍ بالنسبةِ للفئةِ المستهدَفة.

٣ـ تنظيمُ فعاليّاتٍ خاصّةٍ بالمراهقينَ تنمّي الوازعَ الدينيَّ في نفوسِهم

٤ـ تصدي الجهاتِ المختصّةِ لإصدارِ ألعابٍ إلكترونيّة (تبعاً لتعدّدِ الفئاتِ العمريّة) تعزّزُ من القيمِ الإسلاميّة، وتقديمِها كبديلٍ جيدٍ ومرغوبٍ فيه من قبلِ الأبناء، عمّا يردُهُم متنافياً مع القيمِ الإسلاميّة.

الهوامش

١- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص ٢٦٣ (موقع مكتبة أهل البيت).
٢- لسان العرب، ابن منظور، ج ٨ ، ص ٤١٩ (مكتبة أهل البيت).
٣- درس: المراهقة طبيعتها ومشكلاتها، د. عبير محمد الصبان، ملف بصيغة البوربوينت: شريحة رقم ٨ (موقع جامعة أم القرى) https://uqu.edu.sa
٤- بحث: تحديد سن البلوغ وعلاماته، آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي، من موقع: مركز الفقاهة للدراسات و البحوث الفقهية. www.alfaqaha.net
٥- لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ١٣٠ (مكتبة أهل البيت).
٦- سيكلوجية النمو (تطور النمو من الاخصاب حتى المراهقة)، د. بدر إبراهيم الشيباني، ط ١، كلية التربية - جامعة الكويت، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٧.
٧- درس: المراهقة طبيعتها و مشكلاتها، شريحة رقم ٣، مرجع سابق.
٨- لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٤٨٠ (مكتبة أهل البيت).
٩- درس: المراهقة طبيعتها ومشكلاتها ، مرجع سابق.
١٠- تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، د. علي القائمي، ط ١، دار النبلاء، ١٩٩٦م، ص ١٨.
١١- مثله، لكن: ومنتهى طوله لاثنتين وعشرين، وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٨٣، (مكتبة أهل البيت).
١٢- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٥، (مكتبة أهل البيت).
١٣- مصطلح استخدمه د. محمود البستاني في كتابه "علم النفس الإسلامي" ليشير به إلى العلوم المنفصلة عن السماء في تفسيرها للعمليات النفسية و تنظيمها.
١٤- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج٢١، ص ٤٠٦، (مكتبة أهل البيت).
١٥- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج٢١، ص ٤٠٦، (مكتبة أهل البيت).
١٦- بحث: تحديد سن البلوغ و علاماته، مصدر سابق.
١٧- المصدر نفسه.
١٨- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج٢١، ص ٤٠٦ (مكتبة أهل البيت).
١٩- لسان العرب، ابن منظور، ج ٥، ص ٢٨٣ (مكتبة أهل البيت).
٢٠- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٥١، (مكتبة أهل البيت).
٢١- من مقال: نظريات المراهقة، حسن الكيري، صحيفة المثقف، العدد ٦٢ـــ٢٦، الخميس ١٩ـــ/ ١٢ـــ/ ١٣ـــ٢٠ م www.almothaqaf.com
٢٢- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤١٥، (مكتبة أهل البيت)
٢٣- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٦، (مكتبة أهل البيت).
٢٤- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٠٣، (مكتبة أهل البيت)
٢٥- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ هادي النجفي، ج ١١، ص ٣٢٤، (مكتبة أهل البيت).
٢٦- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٦، (مكتبة أهل البيت).
٢٧- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ هادي نجفي، ج ٨، ص ٥٠٦، (مكتبة أهل البيت).
٢٨- نهج البلاغة (من كلام أمير المؤمنين)، جمع: الشريف الرضي، ط ١، نشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ، ص ٤٥٩.
٢٩- المرجع السابق، ص ٤٥٩ .
٣٠- لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ١٣٢، (مكتبة أهل البيت).
٣١- نهج البلاغة، ص ٤٥٩ (مصدر سابق).
٣٢- لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٢٠٦، (مكتبة أهل البيت).
٣٣- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٦، ص ٢٥٦، (مكتبة أهل البيت).
٣٤- المصدر السابق.
٣٥- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٧، (مكتبة أهل البيت).
٦٣- المصدر السابق، ص ٤٠٨.
٣٧- وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٩٦، (مكتبة أهل البيت).
٣٨- وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٩٦، (مكتبة أهل البيت).
٣٩- نفس المصدر.
٤٠- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٨، (مكتبة أهل البيت).
٤١- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٩ (مكتبة أهل البيت).
٤٢- من مقال: السباحة رياضة العصر، أ. نعمان عبد الغني، من موقع جامعة أم القرى.
٤٣- موقع ويكيبيديا، تحت عنوان: رماية. http://ar.wikipedia.org
٤٤- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام)، الشيخ هادي النجفي، ج ٤، ص ٢٦٦، (مكتبة أهل البيت).
٤٥- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ هادي النجفي، ج ٤، ص ٢٦٥، (مكتبة أهل البيت).
٤٦- المرجع السابق، نفس الصفحة.
٤٧- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٨، (مكتبة أهل البيت).
٤٨- بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٠١، ص ٥٠، (مكتبة أهل البيت).
٤٩- وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٩٣، (مكتبة أهل البيت).
٥١- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٥، ص ١٦٠، (مكتبة أهل البيت).
٥١- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥ ، ص ٥٠٠، (مكتبة أهل البيت).
٥٢ - بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٠١، ص ٥٠، (مكتبة أهل البيت).
٥٣- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٥، ص ١٦٩، (مكتبة أهل البيت).
٥٤- وسائل الشيعة (الإسلامية) ، الحر العاملي، ج ١٥ ، ص ١٩٩، (مكتبة أهل البيت).
٥٥- عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ١، ص ٢٥٧، (مكتبة أهل البيت).
٥٦ - المصدر السابق.
٥٧- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤١٤ (مكتبة أهل البيت).
٥٨- نفس المصدر، ص ٤٠٩.
٥٩ - نفس المصدر، ص ٤١١.
٦٠- كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٦، ص ٤٥٦، (مكتبة أهل البيت).
٦١- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ١، ٢٠٣، (مكتبة أهل البيت).
٦٢- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٤، ص ٢٤٦، (مكتبة أهل البيت).

المصادر

-القرآن الكريم.
-الشيباني، د. بدر. (- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ج ٢١، ص ٤٠٩ (مكتبة أهل البيت).
٢٠٠٠)، سيكلوجية النمو (تطور النمو من الاخصاب حتى المراهقة)، كلية التربية، جامعة الكويت.
-الشريف الرضي، (٢٠٠٠)، نهج البلاغة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، إيران.
-القائمي، د. علي.(١٩٩٦)، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه. نشر دار النبلاء.
-الأحسائي، إبن أبي جمهور. عوالي اللئالي. ج ١ (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com
-الحراني، ابن شعبة، تحف العقول (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com
-إبن منظور، لسان العرب. الأجزاء: ١،٢، ٥،٨،١٠ (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com
-البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، الجزءان: ١ و٢١ (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com
-الحر العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية)، ج ١٥ (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com/
-الصبان، د. عبير، درس: المراهقة طبيعتها ومشكلاتها، ملف بصيغة البوربوينت (موقع جامعة أم القرى) https://uqu.edu.sa)
-الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، (مكتبة أهل البيت http://shiaonlinelibrary.com)
-عبد الغني، أ. نعمان، مقال: السباحة رياضة العصر، من موقع جامعة أم القرى. https://uqu.edu.sa
-الكليني، الكافي، الأجزاء: ٢ و٥ و٦، (مكتبة أهل البيت /http://shiaonlinelibrary.com)
-الكيري، حسن (٢٠١٣)، مقال: نظريات المراهقة. صحيفة المثقف. العدد ٢٦٦٢، الخميس ١٩ / ١٢/ ٢٠١٣ م، www.alfaqaha.net
-المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com/
-المجلسي، بحار الأنوار. ج ١٠١، (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com
-النوري، الميرزا، مستدرك الوسائل، الأجزاء: ٤و١٥ (مكتبة أهل البيت
(http://shiaonlinelibrary.com/
-موقع ويكيبيديا، تحت عنوان: رماية.
http://ar.wikipedia.org
-اليعقوبي، آية الله الشيخ محمد. بحث: تحديد سن البلوغ

الاضطرابات السلوكية عند الأطفال

■ د. هشام مهدي الكعبي ٢٠١٦

المقدمة

تُعرف اضطراباتُ نقص الانتباه والسلوك المؤذي عادةً بالاضطرابات السلوكية عند الأطفال. وتتمثَّل الاضطراباتُ السلوكية عند الأطفال بحدوث نمطٍ من السلوك العدائي أو العدواني أو المؤذي عندَ الطفلِ. تتجاوز الاضطراباتُ السلوكية مجرَّد الأذى والتمرُّد؛ فهي تختلف كثيراً عن السلوك الملاحظ عادةً عند أطفالٍ في سنٍّ أو مرحلةِ نموٍّ مماثلةٍ. يكون الأطفالُ الذين يعانون من مشاكل سلوكيةٍ خطرةٍ ومتواصلةٍ أكثرَ عرضةً للفشل في المدرسة، ولغيرها من مشاكل الصحَّة النفسيَّة، وحتَّى للانتحار، ولكن المساعدة متوفِّرة من قبل الاسرة اولا ثم المؤسسات التربوية وذات العلاقة بموضوع الاضطربات .

وسيقوم الباحث بعرض يناقش الاضطرابات السلوكية الأكثر شيوعاً عند الأطفال وخيارات العلاج .

الاضطراباتُ السلوكية عند الأطفال

يسيء الأطفالُ التصرُّفَ، فهذا جزءٌ من نموِّهم؛ إلاَّ أنَّ الاضطرابات السلوكية تتجاوز مجرَّد الأذى والتمرُّد البسيط. يحدث عندَ الطفل أو المراهق الذي يعاني من اضطراباتٍ سلوكيةٍ نمطٌ من السلوك العدواني أو العدائي أو المؤذي، والذي ينبغي أن يدومَ لأكثر من ستَّة أشهرٍ كي يُعدَّ اضطراباً سلوكياً.

يمكن أن يُظهِرَ الأطفالُ الذين يعانون من اضطراباتٍ سلوكيةٍ علامات تحذيرية معيَّنةٍ، والتي قد تشمل ما يأتي :

- تخريب أو تدمير الممتلكات مثل اثاث المدرسة او البيت.
- إيذاء أو التهديد بإيذاء أنفسهم أو الآخرين أو الحيوانات الأليفة.
- إظهار العداء تجاه رموز السلطة مثل المعلمة والاب والاخ الاكبر.
- إحداث نوبات غضب ومجادلات.

تشمل العلاماتُ الأخرى التي تشير إلى أنَّ الطفل يعاني من اضطراباتٍ سلوكية ما يأتي:

- النشاط الجنسي المبكِّر.
- التدخين في سنٍّ مبكِّرةٍ أو شرب الكحول أو تعاطي المخدِّرات.
- الكذب أو السرقة.
- الأداء السيِّئ في المدرسة أو الهروب منها.

تشمل اضطراباتُ نقص الانتباه والسلوك المؤذي ما يأتي:

- اضطِرابُ نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط.
- اضطراب التَّصرُّف.
- اضطراب التحدِّي والمعارضة.

والباحث يستعرض جملة من انواع الاضطرابات السلوكية لدى الاطفال .

اضطِرابُ نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط

اضطِرابُ نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط هو اضطرابٌ شائعٌ في الطفولة، يجعل من الصعب على الطفل التركيز والانتباه. يمكن للأطفال الذين يعانون من اضطِراب نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط أن يكونوا مفرطين في النشاط، أو يمكن أن يجدوا صعوبةً في الصبر والتحمُّل.

كما يجعل هذا الاضطرابُ من الصعب على الطفل أن يُظهِر أداءً جيِّداً في المدرسة، أو أن يُحسنَ التصرُّف في المنزل. إنَّ التعرُّفَ إلى أعراض اضطِراب نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط يمكن أن يساعدَ الأهل على إدراك أنَّ قلَّةَ تركيز الطفل أو نشاطه المفرط قد يكونان من علامات الاضطرابات السلوكية.

تُصنَّف أعراضُ اضطِراب نَقصِ الانتِباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط إلى ثلاث مجموعات، وهي:

(قلَّة الانتباه، والنشاط المفرط، والاندفاع).

وتشمل كلُّ فئةٍ أعراضاً فريدةً من نوعها خاصَّة بها.

أعراضُ قلَّة الانتباه مايأتي:

تجنُّب المهام التي تتطلَّب تركيزاً.

تشتُّت الانتباه بسهولة.

صعوبة في اتِّباع الإرشادات والتعليمات.

عدم الإصغاء جيِّداً وصعوبة تذكُّر الإرشادات.

تشمل أعراضُ النشاط المفرط ما يلي:

صعوبة في الاستمرار في الجلوس لأكثر من فترةٍ وجيزةٍ.

الإفراط في التململ والتلوِّي، والذي يُعرف باسم التململ الحركي أيضاً.

الركض كثيراً.

تشمل أعراضُ الاندفاع ما يلي:

التفوُّه بتعليقات غير لائقة من دون تفكير.

صعوبة في انتظار دورهم.

مقاطعة الآخرين.

الدخول في مخاطر لا داعي لها، والتي قد تسبِّب إصابات.

التحدُّث دون توقُّف.

اللمس واللعب بكلِّ ما يقع عليه نظرهم.

اضطرابُ التصرُّف

اضطراب التصرُّف هو اضطرابٌ سلوكي آخر يحصل خلال الطفولة؛ فلا يشعر الأطفال المصابون باضطراب التصرُّف إلَّا بتعاطفٍ أو حرصٍ قليلٍ تجاه مشاعر الآخرين. كما يمكن أن يسيئوا فهمَ تصرُّفات أو أهداف الآخرين على أنَّها عدائية أو مهدِّدة.

وبذلك يمكن أن يستجيبوا بعدوانية. يمكن أن يبدأ اضطرابُ التصرُّف بالظهور في مراحلَ مبكِّرةٍ، كمرحلة ما قبل المدرسة، ولكن تبدأ الأعراضُ الهامَّة بالظهور في منتصف مرحلة الطفولة وحتَّى منتصف سنِّ المراهقة عادةً. تقلُّ أعراضُ اضطراب التصرُّف لدى بلوغ معظم الأطفال والشباب سنَّ الرشد.

أمَّا إذا استمرَّت هذه الأعراضُ بالظهور حتَّى سنِّ الرشد، فيؤدِّي هذا السلوك إلى تشخيص إصابتهم باضطراب الشَّخصيَّة المُعاديَة للمُجتَمَع .

يمكن أن تشمل أعراضُ اضطراب التصرُّف ما يأتي:

العدائية تجاه الأشخاص والحيوانات.

تدمير الممتلكات.

التضليل أو الكذب أو السرقة.

حدَّة طبع ونوبات غضب وتهوُّر.

غياب أي شعور بالندم أو بالذنب.

إيذاء النفس.

خرق القوانين بصورةٍ خطرةٍ ومتكرِّرةٍ.

يكون أكثر ما يدعو للقلق عادةً هو السلوكُ العدواني المرتبط باضطراب التصرُّف؛ فقد يقوم الطفلُ الذي يعاني من اضطراب التصرُّف بالاسترجال على الآخرين أو بتهديدهم أو بتخويفهم، كما يمكن أن يتصرَّفَ بوحشيةٍ تجاه الأشخاص أو الحيوانات.

يقوم الأطفالُ الذين يعانون من اضطراب التصرُّف بالبدء بشجاراتٍ، كما يمكن أن يستخدموا الأسلحةَ أو أن يجبروا أحداً على ممارسة النشاط الجنسي. كما يمكن أن يتصرَّف الطفلُ الذي يعاني من اضطراب التصرُّف بقلَّة أمانةٍ أيضاً، فالكذبُ هو من الأعراض الشائعة لهذا الاضطراب.

وقد يكذب الأطفالُ للحصول على أغراضٍ أو خدماتٍ من الآخرين. كما يمكن أن يسرقوا من المتاجر أو من أصدقائهم وأفراد عائلتهم، أو حتَّى من الغرباء. من الصعب التعاملُ مع الأطفال الذين يعانون من اضطراب التصرُّف عادةً، بسبب عدم اهتمامهم بمشاعر الآخرين؛ فقد لا يحاولون إخفاء عدوانهم، ويجدون صعوبةً في تكوين صداقاتٍ حقيقيةٍ مع أشخاصٍ يهتمُّون بهم وبسلامتهم عادةً.

تدميرُ الممتلكات

هو عرضٌ آخر من أعراض اضطراب التصرُّف؛ فقد يُقدِم الأطفالُ على إشعال الحرائق بنيَّة إحداث الضرر.

كما قد تحدث أشكالٌ أخرى من التخريب، مثل كسر النوافذ أو رشِّ رذاذ الدهان على الممتلكات. يعصي الأطفالُ الذين يعانون من اضطراب التصرُّف القواعدَ في المدرسة أو في المنزل عادةً، وهذا يشمل التأخُّر خارجَ المنزل إلى ما بعد الوقت المسموح، على الرغم من منعه منعاً باتاً من قبل الأهل. ويمكن أن يتغيَّبَ الطفلُ عن المدرسة أو أن يهرب من المنزل. يترافق اضطرابُ التصرُّف باضطراب نَقصِ الانتباه مَعَ فَرطِ النَّشَاط غالباً، والذي قد يسهم في حدوث تقلُّبات مزاجية واضطراب القلق .

اضطراب التحدّي والمعارضة .

من الممكن إيجاد صعوبة في التفريق بين طفلٍ عنيدٍ وطفلٍ يعاني من اضطراب التحدّي والمعارضة. يمكن أن يبدو الأطفالُ الذين يعانون من اضطراب التحدّي والمعارضة وَقِحين أو غاضبين أو صبيانيين بشدَّة؛ فهم يلفتون الأنظار من خلال المبالغة في ردّة الفعل تجاه مشاكل بسيطةٍ.

وإذا كان هذا هو حالُ كثيرٍ من الأطفال، يمكن حينئذٍ إدراك مدى صعوبة تشخيص اضطراب التحدّي والمعارضة. قد تساعد معرفةُ أعراض اضطراب التحدّي والمعارضة على تحديد ما إذا كان سلوكُ الطفل طبيعياً لسنِّه، أو إذا كان وجود اضطراب سلوكي هو سبب هذا السلوك .

تشمل أعراضُ اضطراب التحدّي والمعارضة ما يلي:

الإفراط في الجدال مع البالغين.
الغضب والاستياء بشكلٍ متكرِّرٍ.
نوبات غضب متكرِّرة.
رفض الامتثال للبالغين.
تحدّي وخرق القواعد بانتظام.
استخدام عبارات لئيمة وكريهة عندَ الاستياء.

وقد تشمل أعراضُ اضطراب التحدّي والمعارضة ما يلي أيضاً:

الشعور بالحساسية المفرطة والانزعاج بسهولة من الآخرين.
إلقاء اللوم على الآخرين نتيجة الأخطاء أو سوء التصرُّف.
محاولات متعمَّدة لإزعاج أو إغضاب الآخرين.
سلوك حاقد وسعي للانتقام.

تظهر أعراضُ اضطراب التحدّي والمعارضة عادةً في بيئاتٍ مختلفة، ولكن قد تكون هذه الأعراضُ ملحوظة أكثر عندما يكون الطفل في المنزل أو في المدرسة؛ فهذه هي الأماكن حيث توجد رموز سلطة وقواعد ثابتة. يتطوَّر اضطرابُ التحدّي والمعارضة عادةً إلى جانب اضطراب النشاط المفرط والتقصير في الانتباه .

الأسباب

من غير المعروف سببُ الاضطرابات السلوكية عندَ الأطفال. ولكن، يُعتقد أنَّ العواملَ البيولوجية والنفسية والاجتماعية هي المسؤولة. على الرغم من أنَّ السبب الدقيق للاضطرابات السلوكية عندَ الأطفال غير معروف، إلَّا أنَّه توجد أشياء مشتركة كثيرة بين الأطفال الذين يعانون من هذه الاضطرابات السلوكية. فعلى سبيل المثال، يجري تشخيصُ إصابة الفتيان باضطراب السلوك المؤذي أكثر من الفتيات. وتحصل الاضطراباتُ السلوكية في أكثر الأحيان عندَ الأطفال الذين يعاني أحد ذويهم على الأقل من اضطرابات مزاجية أو اضطراب تعاطي المخدِّرات. في غالب الأحيان، تُلاحَظ اضطراباتُ التصرُّف في الأطفال الذين تعرَّضوا لما يلي:

سوء معاملة الأطفال.
نزاعات عائلية.
خلل جيني.
مشاكل تعاطي المخدِّرات عند الآباء أو الأمَّهات.
الفقر.

تشير بعضُ الدلائل إلى أنَّ الاضطرابات، مثل اضطراب نَقصِ الانتباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط، تحصل بسبب عوامل بيئيةٍ. وتشمل بعضُ الأسباب المحتملة ما يأتي: التعرُّض لمادَّة الرصاص الموجودة في الطلاء، والتدخين، وشرب الكحول خلال الحمل، وبعض المُضافات الغذائية مثل الملوِّنات الاصطناعية. ولكن يجب القيامُ ببحوث أكثر قبل أن يتمكَّن العلماءُ من التأكيد على سبب الاضطرابات السلوكية.

التشخيص

من الصعب تشخيصُ الاضطرابات السلوكية، والسببُ هو أنَّ الكثير من الأطفال يكونون كثيري التحدِّي وكثير النسيان ومندفعين من وقتٍ إلى آخر. يتغيَّر تعريفُ السلوك "الطبيعي" للطفل بصورةٍ دائمةٍ؛ حيث إنَّ ما تراه عائلة ما سلوكاً طبيعياً للطفل، قد لا تراه كذلك عائلةٌ أخرى. يعتمد ما هو "طبيعي" على عوامل، مثل العِرق والإثنية العرقية والجنس والمستوى الاقتصادي إلى حدٍّ كبيرٍ، الأمر الذي يجعل من الصعب تشخيص حالات الاضطراب السلوكي. كما أنَّ مسألةَ اعتبار سلوك الطفل طبيعياً أم لا تعتمد على ما يلي من الأمور الخاصَّة بالطفل:

السن.
النمو النفسي والعاطفي.
النمو الفكري.
الشخصية.

للحصول على تشخيص لاضطراب سلوكي، لابدَّ من ظُهور الأعراض عندَ الطفل لمدَّة ستَّة أشهر أو أكثر. ولابدَّ أن يكونَ مستوى خطورة هذه الأعراض أكثر من المستوى الذي يُعدُّ طبيعياً عند أطفالٍ آخرين في السنِّ نفسها، ويجب أن تحدث في أكثر من موقع. كما أنَّه لابدَّ من تدخُّل هذا الاضطراب بالحياة اليومية بشكل كبيرٍ. لا يوجد اختبارٌ واحد يمكن من خلاله تشخيص إصابة الطفل بالاضطراب السلوكي. ولكن بدلاً من ذلك، يجب على اختصاصي الصحة النفسية للطفل جمع معلوماتٍ عن سلوك وبيئة الطفل، وهذا ما يقوم به عادةً اختصاصيو الصحَّة النفسية.

يحاول اختصاصيو الصحَّة النفسية أوَّلاً استبعادَ احتمالات أخرى للأعراض الظاهرة على الطفل؛ فعلى سبيل المثال، يمكن أن تسبِّب بعضُ الحالات أو الأحداث أو الأوضاع الصحِّية سلوكاً مؤذياً مؤقَّتاً عند الطفل. في بعض الأحيان، يُجرى فحصٌ جسدي وفحص الدم لتحديد ما إذا كانت أعراضُ الاضطراب السلوكي ناجمةً عن ظرفٍ صحِّي آخر. وفي حالاتٍ نادرةٍ، يمكن إجراءُ فحص للدماغ لاستبعاد وجود اضطرابات أخرى. كما يقوم الاختصاصيُّون بالتحقُّق من سجلَّات المدرسة والسجلَّات الطبِّية لمعرفة ما إذا كان يبدو أنَّ ظروف الطفل المنزلية أو المدرسية مجهدة أو مضطربة على نحوٍ غير عادي. كما يقومون بجمع المعلومات من أهل الطفل ومعلِّميه. يجري تشخيصُ إصابة الطفل باضطراب سلوكي إذا كانت المعلوماتُ التي يجري جمعُها مستوفيةً لمعايير اضطراب محدَّدٍ .

المعالجة

تعتمد معالجةُ الاضطراب السلوكي على نوع ومدى شدَّة أو خطورة الاضطراب. ويتكوَّن العلاج من علاجٍ بالتكلُّم أو التخاطب أو علاجٍ بالأدوية أو كليهما. خلال العلاج بالتكلُّم، يتعلَّم الطفلُ كيفية تأثير الاضطراب السلوكي في أفكاره وسلوكه ومزاجه ومشاعره. ويمكن تضمينُ التدريب على المهارات الاجتماعية لمساعدة الطفل على تعلُّم كيفية التعامل بإيجابيةٍ أكثر مع الأقران والبالغين. هناك العديدُ من الأنواع المختلفة للعلاج بالتكلُّم. ويمكن للجهة التي تقدِّم الرعايةَ المساعدة على اتِّخاذ القرار حول أفضل نوع للعلاج بالتكلُّم للطفل.

ويمكن استخدامُ العديد من الأدوية لمعالجة أعراض اضطراب التصرُّف واضطراب التحدِّي والمعارضة واضطراب نَقصِ الانتباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط. يمكن معالجةُ اضطراب نَقصِ الانتباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط بالأدوية عادةً، مثل (الميثيلفينيدات أو الديكستروأمفيتامين)، وهي منبِّهات تقلِّل من الاندفاع والنشاط المفرط وتزيد من الانتباه. وفي بعض الحالات، قد يجري استخدامُ المنبِّهات لعلاج اضطراب التصرُّف واضطراب التحدِّي والمعارضة. يمكن استخدامُ أدوية أخرى لعلاج اضطرابات السلوك المؤذي واضطراب نَقصِ الانتباهِ مَعَ فَرطِ النَّشاط .

ويرى الباحث انه ينبغي التحدُّثُ مع الجهة التي تقدِّم الرعاية للطفل لمعرفة المزيد عن الأنواع المختلفة للأدوية. يتَّفق معظمُ الخبراء على أنَّه لا ينبغي أن يقتصر علاجُ هذه الاضطرابات على الأدوية وحدها، حيث يجب أن يشمل العلاج شكلاً من أشكال العلاج بالتكلُّم والتدبير السلوكي. في غالب الأحيان، يكون علاجُ الاضطراب السلوكي الأكثر نجاحاً عند إشراك عائلة الطفل، حيث يمكن أن يتعلَّم الأهلُ وأفراد الأسرة تقنيات تساعدهم في تدبير مشكلة سلوك طفلهم .

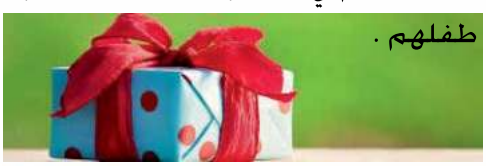

هناك حقائق متعددة ترتبط بتحديد مشكلات واضطرابات الطفولة منها:

١- السلوك الذي يعد عادياً في سن مبكر يصبح من علامات سوء التوافق إذا لازم الطفل عندما يكبر.

٢- إن أعراضاً معينة كالتبول اللاارادي والمخاوف النوعية أقل حدوثاًعند كبار الأطفال علي العكس من أعراض ضعف الانتباه وأحلام اليقظة.

ومن ثم هناك متعددة معايير للطفل المضطرب أو المشكل وهي كما يأتي:

- عدم النضج الانفعالي وتظهر علاماته في عدم الاتزان وعدم تناسب انفعالاته مع الموقف وعدم استقرارها نحو الأشخاص والأحداث وموضوعات البيئة الخارجية.
- عدم النضج الاجتماعي.

والذي يتمثل في عدم القدرة علي إقامة علاقات صداقة ومودة مع أقران سنه، ولا يكون قادراً علي إقامة علاقات صحيحة مع والديه وأخوته ويتم بعواطف من الكراهية أزاء الأخرين.

- عدم قدرة الطفل علي التغلب علي مشكلاته، والاستغراق في المشكلة دون العمل علي حلها حتى يصل إلي نقطة الأنهيار.

عدم القدرة علي ضبط الذات وتحمل المسؤلية والتهرب منها كلما تقدم في العمر، كما يتميز بعدم الثقة في النفس والانسحاب من المواقف.

- عدم ملاءمة السلوك مع عمره ومستوي نضجه، حيث أن الطفل المشكل لديه من الأفكار والمشاعر والتصرفات التي تكون غير مناسبة وتعكس مدركاته وقد يسئ تفسير المواقف من حوله.

ويجب علينا أن نكون واعين لحقيقة أن الفرق بين الطفل السوي والطفل المشكل أو المضطرب هو فرق في الدرجة وليس في نوع الاضطراب. فكثير من الأطفال يشعرون بالخوف عند رؤية شئ ما ولكن هذا الخوف يزول تدريجيا بزوال سبب الخوف، ولا يعوقهم هذا الخوف عن أداء واجباتهم، أما لدي الطفل المشكل يؤدي به الخوف إلي عزلته وإعاقته عن أداء واجباته.

٣- إن أعراضا انفعالية معينة تعد أمراً عادياً بالنسبة لصغار الأطفال دون الخامسة، ولكنها تعد من علامات اضطراب القيم إذا ظهرت عند الأطفال الكبار.

٤- إن بعض الأعراض ترجع إلي أسباب أو مواقف صعبة تزول بزوال هذه الأسباب أو المواقف المؤقتة، وسرعان ما يعود الطفل إلي التوافق العادي.

ومن هنا يمكننا القول بأنه إذا أظهر الطفل سلوكاً معيناً وإنخرط فيه بشكل مبالغ وترتب علي ذلك السلوك إعاقة الطفل عن أداء واجباته المطلوبة منه ومن ثم نال على ذلك عقوبات رادعة من أفراد أسرته أو من مدرسيه أو من المجتمع ككل ولم يمكنه التخلص من ذلك السلوك.. هنا نصف هذا الطفل بأن لديه مشكلة أو اضطراب نفسي معين.

حجم الاضطرابات النفسية للأطفال:

اختلف الباحثون حول تحديد نسبة المشكلات والاضطرابات التى يعاني منها الأطفال، وانقسموا على فريقين:

الفريق الاول: فريق ذهب إلي أن نسبة انتشار اضطرابات الأطفال عادية جداً وليست مرتفعة حيث يستندون إلي أن زيادة التقدم العلمي في ميادين الصحة النفسية والاجتماعية وخدمات الطب النفسي للأطفال ساعد علي التعرف علي كثير من المشكلات التى يعاني منها الأطفال والتى لم تكن معروفة من قبل، هذا فضلاً على زيادة حرص الأباء علي فهم طبيعة مشكلات واضطرابات الأبناء من الناحية النفسية والتعرف علي أساليب مواجهتها مما قلل من حجم المشكلات النفسية التى يعاني منها الأطفال، هذا فضلاً عن تحسن وتطور وسائل وأساليب العلاجات الطبية والنفسية والسلوكية، مما حدا بالآباء إلي أرسال أبنائهم دون خوف أو حرج إلي العيادات والمراكز المتخصصة لعلاج مشكلات الأطفال.

أما الفريق الثاني من العلماء فهم علي العكس يرون أن هناك تزايداً ملحوظاً في نسبة انتشار اضطرابات ومشكلات الطفولة نظراً لتعقد المدنية الحديثة وظروف الحياة المعقدة، وإلي كثرة الأسباب التى تؤدي إلي حدوث الاضطرابات لدى الأطفال. ولكن في النهاية يمكن القول بأن كلا الفريقين علي حق، حيث أنه نظراً لضغوط الحياة وصراعاتها يعاني الطفل

من اضطرابات ومشكلات لم تكن موجودة من قبل (مثال ذلك، أدمان الكمبيوتر والانترنت)، كما ان حجم هذه المشكلات يزداد يوماً بعد يوم نظراً لأن كل ذلك يؤثر علي علاقة الطفل بوالديه وبالمجتمع من حوله مما يزيد اضطرابه. وهنا تظهر الحاجة البالغة للطب النفسي للطفل والتوجيه والإرشاد لأنه لو استطعنا تحسين علاقة الطفل بالمجتمع، واعتنينا بالرعاية النفسية السوية أثناء الطفولة لنشأ عندنا جيل خال من العصاب والذهان واضطراب الشخصية.

ولكن مع كل هذه الأهمية لتشخيص اضطرابات الطفولة، إلا أن هناك ثمة صعوبات تواجهنا عند فحص الطفل أكلينكيا بالطرق المعروفة خاصة بالمحادثة، حيث يقاوم أي محاولة للتعرف عليه، ويعترض علي تدخل الناس في عالمه الخاص، ومن ثم يكون علي الطبيب استعمال طرق أخري غير المحادثة للوصول إلي بعض المعرفة لصراعات الطفل، ومنها مشاهدته وملاحظته أثناء تأمله واستغراقه في أنواع اللعب المختلفة. هذا فضلا على عدم نضج شخصية الطفل حيث أنه مازال في طور النمو النفسى والاجتماعي، مما يجعلنا نعتمد علي تقارير الكبار في تشخيص اضطرابات الطفولة مثل تقارير الوالدين أو المدرسين أو الاصدقاء أو الأخصائي النفسي أو الاجتماعي.

الخطاب التربوي في أحاديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم

د. عبد الأمير ضاحي محمّد
مملكة البحرين
جمعيّة التّوعية الإسلاميّة
المجلس التعليمي

القسم الثالث (الأخير)

لعِبَ الخطابُ النبويُّ دوراً مركزيّاً في تركيز دعائم الفكر الإسلاميّ ونشر الثقافة الإسلاميّةِ، وكان الرسولُ "صلى الله عليه وآله وسلم" بصفتِهِ المربّيَ لهذهِ الأمّةِ قائداً للعمليّةِ التربويّة بجميع أبعادِها النفسيّةِ والاجتماعيّةِ والأخلاقيّةِ كما جاءَ في الآيةِ الكريمة من سورة الجمُعة: "هُوَ الذّي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كانُوا مِن قبلُ لَفي ضَلالٍ مُّبين"(الجمعة/٢). وقد أشارَ الكثيرُ من الدراساتِ الحديثةِ التي تناولتْ أقوالَ الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى المعاني التربويّة المكنونةِ فيها، وأكّدتْ في عنوانات مختلفةٍ على الأبعادِ التربويّة لمنهج الرسول الأكرم في خطابه الموجّهِ للمجتمع المسلم بجميع شرائحِهِ حيثُ كان يتضمّنُ تعليماتٍ وإرشاداتٍ وعلاجاتٍ للسلوكِ الإنسانيِّ في مواقفَ مختلفة. (نصار، ٢٠١٠؛ النّجار، ٢٠٠٩؛ الجمل، ٢٠٠٩).

لقد حدّدَ الباحثُ لدراستهِ التي بين يديك عزيزي القارئ ثلاثة أهداف؛ أولُها معرفةُ ماهيّةِ الخطابِ النبويِّ وأهميّته، أما الثاني فتحديدُ مكوّناتِ الخطابِ النبويّ، فيما الثالث خصّصَهُ للنظريّةِ النبويّةِ الشريفةِ في التربية. وقد تناولَ القسمُ الأولُ الهدفيْن الأوليْن.

وفيما يتعلقُ بالهدفِ الثالثِ (نظريّةُ الخطابِ التربويِّ النبويّ) الذي تناولنا في القسم الثاني منه بعض المحاور، فقد اتضحَ أنّ الإطارَ الأيدلوجيَّ للنظريةِ النبويّةِ في التربيةِ هو الوحيُ الإلهيُّ والقرآنُ الكريمُ وهو يمثّلُ الوعاءَ لمحتوى النظريّة، فالنظريّةُ النبويّةُ تتضمّنُ من ثم توجيهاتٍ ووصايا وأقوالاً تستندُ للقرآن الكريم كقاعدةٍ معرفيّةٍ وتؤسّسُ عليها رؤيتَها عن فلسفةِ التعليم وأهدافِه، والمعرفةِ في النظريّةِ التربويّة، ودورِ المشاركينَ في العمليّةِ التعليميّة، وهو ما تناولناه سابقاً وسنعرض في هذا العدد كلِّ لطرائق ووسائلِ التعليم، وأساليبِ التقويم.

د ـ طرائق وأساليب التّعليم

ونقصدُ بـ"طرائق التعليم" مجموعة الخطواتِ والإجراءاتِ التي يقومُ بها المعلّمُ وفقاً لفلسفتِهِ في التدريس، وهناكَ مصطلحُ الاستراتيجيّةِ ويُقصدُ به خطةُ العمل التي تصفُ جميعَ النشاطاتِ والإجراءاتِ التي يقومُ بها المعلّمُ بغية الوصول إلى نتائجَ مُرضية.

وقد اتّبعَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) طرائقَ متنوّعة مزجَ فيها بينَ المحاضرةِ القصيرةِ المتضمّنةِ لأساليبِ الموعظةِ والتنبيهِ والقصّةِ والمثال، والمناقشةِ التي استخدمَ فيها أساليبَ الحوارِ والمقارنةِ والأحداث، والتطبيقِ العمليِّ الذي استخدمَ فيهِ أساليبَ التعلم بالقدوةِ والتربيةِ العمليّة.

وفي الخطابِ النبويِّ الشريف، نلحظُ أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يُخاطبُ الفردَ والجماعة، ويحاورُ خواصَّهُ أو يقدّمُ وصاياه، ويوجّهُ الجماعة لأمرٍ ما، ويُثيرُ التّساؤلاتِ والتفكيرَ حولَ مفاهيمَ أو قضايا معيّنةٍ ممّا يؤكدُ أنَّ الرسول الكريمَ لم يُمارس الأسلوبَ الوعظيَّ فقط، بل اتّجهَ لمخاطبةِ العقولِ والقلوبِ بأساليبَ مختلفةٍ وتشملُ القصّة، والموعظة، والإقناعَ بالحوار، والمقارنة، والتشبيه، والمثال، والأحداث، والترهيبِ والترغيب، والتعليم بالقدوة، والتعلّم بالممارسة (الجمل، ٢٠٠٩). وفيما يلي نماذجُ من ممارساتٍ تعليميّةٍ في مخاطبةِ الرسولِ المربّي لأتباعه وخواصه:

١ ـ عن طريق القصة

جاء استخدامُ القصّةِ في القرآن الكريم بصيَغٍ مختلفةٍ بغرض حثِّ المتعلّم على استخلاصِ العِبَرِ والتعلّم من تجاربِ الآخرينَ حتى لا يكرّر الأخطاءَ نفسها أو ليكتسبَ الاتجاهاتِ الصحيحة للسلوكِ في المواقفِ المُماثلة، وقد عبّرَ عن هذا المعنى في قوله تعالى: (لَقَدْ كانَ في قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلي الأَلْبابِ ما كانَ حَديثاً يُفْتَرى ولكِنْ تصْديقَ الّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وتفْصيلَ كلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). (يوسف، ١١١)

ويوجّهُ الرّسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أتباعَهُ باستخدامِ القصة لاكتسابِ القيَمِ الإنسانيّةِ الرّفيعةِ، إذ روي: "زارَ رجلٌ أخاً لهُ في قريةٍ فأرصَدَ اللهُ له على مدرجَتِهِ ملكاً، فقال: أينَ تُريد؟ قال: أخاً لي في هذه القرية. فقال: هل لهُ عليكَ من نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا، إلا أنّي أحبُّهُ في الله، قال: إنّي رسولُ اللهِ إليك، إنَّ اللهَ أحبَّكَ كمَا أحببته". (الأعلمي، ص ١٨٤)

٢ ـ التّعليم عن طريق الموعظة

والوعظُ لغةً هو: زجرٌ مقترنٌ بتخويف. وقال الخليل: هو التّذكيرُ بالخير فيما يرقُّ له القلب. (الزين، ١٤٠٠ هـ، ص ٩٢٢) وقد جاءتْ هذه المفردةُ في مواضعَ مختلفةٍ في القرآن الكريم: "ولقَدْ أنزَلنا إليْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ ومثَلاً مِنْ الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وموْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ"، (النور، ٣٤) ويقول أيضاً: "أُدْعُ إلى سَبيلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ وجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أحْسَنُ إنَّ ربَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ". (النحل، ١٢٥)

وكذلك: "يا أيُّها النّاسُ قدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ ربِّكُمْ وشِفَاءٌ لِما في الصّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِينَ".

(يونس، ٥٧) واستخدمَ الرّسولُ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلم) الموعظة في المواقفِ الجماعيّةِ للتنبيهِ على أمرٍ هامٍّ يتعلّقُ بمصلحةِ الإسلامِ أو سلوكِ الجماعةِ وذلك لما يترتّبُ على أهمالِ هذا الجانبِ من آثارٍ سلبيّةٍ على المعتقدِ والسلوكِ الإسلاميّ.

يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) في موعظة له: "ما لي أرى حبَّ الدنيا قد غلبَ على كثيرٍ من الناس، حتى كأنَّ الموتَ في هذه الدنيا على غيرِهِم، وكأنَّ الحقَّ في هذه الدنيا على غيرِهِم وجَب، وحتى كأنَّ ما يسمعونَ من خبرِ الأمواتِ قبلَهُم عندَهُم كسبيلِ قومٍ، سفرٍ عمّا قليلٍ إليهم راجعونَ تبوِّءُونَهُم أجداثَهُم وتأكلونَ تُراثَهُم وأنتم مُخلَّدونَ بعدَهُم، هيهاتَ هيهاتَ أما يتّعِظُ آخرُهُم بأوّلِهِم، لقد جهَلوا ونسُوا كلَّ موعظةٍ في كتابِ اللهِ وأمِنُوا شرَّ كلِّ عاقبةِ سوءٍ ولم يخافوا نزولَ حادثةٍ ولا بوائِقَ كلِّ حادِثةٍ".

(الحراني، ١٤١٧هـ، ص ٢٨)

٣- التّعليم عن طريق الإقناع بالحوار

لقد اعتمد القرآنُ الكريمُ لغة الحوارِ مع الطّرفِ الآخرِ بإثارةِ التساؤلاتِ والمطالبةِ بالدليل، فيأمرُ اللهُ تعالى رسوله: "أُدْعُ إلى سَبيلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحسنَةِ وجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أحْسَنُ إنَّ ربَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ". (النحل، ١٢٥) ويخاطبُ المتطرّفينَ في آرائهم "وقالُوا لَنْ يدْخُلَ الجنَّةَ إلا مَنْ كانَ هُوداً أوْ نصارَى تِلْكَ أمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إنْ كُنتُمْ صادِقِينَ". (البقرة، ١١١) ويفتحُ الطّريقَ للحوارِ الهادئ مع المخالفينَ ويدعو للاتفاق على القواسمِ المشتركة "قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تعالَوْا إلى كلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللهَّ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يتَّخِذَ بعْضُنا بَعْضاً أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِّ فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ". (آل عمران، ٦٤)

ذاتَ يومٍ جاءَ شابٌّ حديثُ الإسلامِ إلى رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إئذنْ لي بالزنا. فأقبلَ القومُ عليه فزجَروه، فقالوا: مهٍ مه. قال: "أدنُه"، فدنا منه قريباً، قال فجلس، قال: "أتحبُّهُ لأمِّك؟" قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فِداك، قال: "ولا النّاسُ يحبّونَهُ لإمّهاتِهم". قال: "أتحبُّهُ لابنتِك؟" قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فِداك، قال: "ولا النّاسُ يحبّونَهُ لبناتِهم". قال: "أتحبُّهُ لأختِك؟" قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فِداك، قال: "ولا النّاسُ يحبّونَهُ لأخواتِهم". قال: "أتحبُّهُ لعمّتِك؟" قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فِداك، قال: "ولا النّاسُ يحبّونَهُ لعمّاتِهم"، قال: "أتحبّهُ لخالتِك؟" قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فِداك، قال: "ولا النّاسُ يحبّونَهُ لخالاتِهم"، فوضعَ يدَهُ عليه وقال: "اللهمَّ اغفِرْ ذنبَه، وطهِّرْ قلبَه، وحصِّنْ فرجَه"، فلم يكنْ بعدُ ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيء. (مسند أحمد، الجمل، ٢٠٠٩، ٦٤).

ويوضّحُ لنا الموقفُ كيفَ استطاعَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) بحوارٍ منطقيٍّ وبسيطٍ أن يغيِّرَ سلوكَ الفردِ ويرغِّبَ إليه فعلَ الحلالِ وتركَ الحرام.

٤ التّعليم عن طريق المقارنة بين الأضداد

وهو أسلوبٌ قرآنيٌّ يُستخدمُ فيه تقديمُ الشيءِ وضدُّهُ ليتميّزَ الصحيحُ من الفاسد، ومثالُ ذلك قوله تعالى: "أفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً على وجْهِهِ أهْدَى أمَّنْ يمْشِي سَوِيّاً على صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ". (الملك، ٢٢) وقوله تعالى: "وضربَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أحَدُهُمَا أبْكَمُ لا يَقْدِرُ على شَيْءٍ وهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ ومَنْ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (النحل، ٧٥)

وفي حديثٍ له يقارنُ بين نتائجِ الصداقةِ الصالحةِ والسيّئةِ، يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَثَلُ الجليس الصالح مَثَلُ الدّاري إنْ لم يحذِكَ من عِطْرِهِ علقَكَ من ريحِه، ومَثَلُ الجليس السّوءِ مَثَلُ صاحبِ الكِيرِ إن لم يُحرقْكَ من شرارِ نارِهِ علقَكَ من نتنِه". (الأعلمي، ١٤٢٣هـ، ص ٣٤٣)

٥ التّعليم عن طريق التّشبيه

ومن الأساليبِ القرآنيّةِ في التعليمِ تشبيهُ الصفةِ المحبّبةِ أو العملِ الطّيّبِ أو عكسِهما بما يحفّزُ النفسَ أو ينفّرُها من الإقدامِ على هذا السّلوكِ أو الامتناعِ عنه. قالَ تعالى في تحفيزِ المؤمنينَ على الإنفاق: "مَثَلُ الذّينَ يُنفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ". (البقرة، ٢٦١)

وقال في تحذيرِ المؤمنينَ من الإنفاق الباطل: "يا أيُّها الذّينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأذَى كالّذي يُنفِقُ مالَهُ رِئَاءَ النّاس ولا يُؤْمِنُ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عليْهِ تُرابٌ فَأصَابَهُ وابِلٌ فتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الكافِرِينَ". (البقرة، ٢٦٤)

وفي حديثٍ لرسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقارنُ بين شخصيّتيْن "مَثَلُ المُؤمِنِ كمَثَلِ السّنبُلَة، تخرُّ مرّة، وتستقيمُ مرّة، ومَثَلُ الكافرِ مَثَلُ الأرزَة، لايزالُ مستقيماً لا يشعُر". (الحراني، ١٤١٧هـ، ص ٣٣)

وفي حديثٍ آخرَ يقولُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حُسنِ الخُلُق: "حُسنُ الخُلُق يُذيبُ الخطايا كما تُذيبُ الشّمسُ الجليد". (الأعلمي، ١٤٢٣هـ، ص ١٥٠).

ويقولُ عن فضلِ العلماء "إنَّ مثَلَ العلماءِ كمَثَلِ النّجومِ في السّماءِ يُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحْر، فإذا انطمَسَتِ النّجومُ أوشكَ أن تضِلَّ الهُداة". (الأعلمي، ١٤٢٣هـ، ص ٩٨)

وقد استخدمَ الرّسولُ التشبيهَ في هذه الحالاتِ ليُخبرَ المتلقّيَ الفكرةَ المتضمّنة في صورةٍ حيّةٍ يتحرّكُ لها الوجدانُ وتنفعِلُ النفسُ بآثارِها.

٦ التّعليم عن طريق المثال

والمَثَلُ عبارةٌ عن قولٍ في شيءٍ يشبهُ قولاً في شيءٍ بينهُما مشابَهة؛ ليبيّنَ أحدُهُما الآخرَ ويصوِّرَه. (الزين، ١٤٠٠هـ، ص ٧٩٩) وقد استخدمَ القرآنُ الكريمُ المثَلَ بهذا المعنى في قولِهِ تعالى: "مَثَلُ الذّينَ حُمِّلُوا التّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الذّينَ كذّبُوا بِآياتِ اللهِ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ". (الجمعة، ٥)

وبشأن ضلال الكافرين قال: "مَثَلُهُمْ كمَثَلِ الذّي اسْتَوْقَدَ ناراً فلمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ". (البقرة، ١٧)

يقولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ مَثَلي ومَثَلُ ما بعَثَني اللهُ بهِ كمَثَلِ رجلٍ أتى قوماً فقال يا قومِ إنّي رأيتُ الجيشَ بعيْني وأنا النّذيرُ العُريانُ، فالنجاء، فأطاعَهُ طائفةٌ من قومِهِ فأدْلجوا، فانطلقوا على مَهْلِهِم فنَجَوْا، وكذّبتْ طائفةٌ منهُم فأصْبَحوا مكانَهُم فصبَّحَهُمُ الجيشُ فأهلكَهُم واجتاحَهُم، فذلكَ مَثَلُ مَن أطاعَني واتّبَعَ ما جئتُ به، ومَثَلُ مَن عصاني وكذَّبَ بما جئتُ بهِ من الحق". (الأعلمي، ١٤٢٣هـ، ص ٣٣٦-٣٣٥)

إنَّ هذا الحديثَ يتضمّنُ تقريبَ الرسولِ المُربّي الصورةَ لذهن المتلقي عن مصيرِ مَن قبلَ الدعوةَ ومَن رفضَها باستحضارِ الخبراتِ التي يعايشُها الناسُ في حياتِهم.

٧ التّعليم عن طريق الأحداث

تشكّلُ الأحداثُ التاريخيّةُ أو الحاضرةُ مادةً خِصبةً للتعلّمِ والاستفادةِ منها في الاستبصارِ وتشخيصِ نقاطِ القوّةِ والضعْف، ومن ثم الاستعدادُ لمواجهةِ المواقفِ المماثِلةِ بيقظةٍ ووعي، وعدمِ تكرارِ الأخطاءِ السّابقة. والقرآنُ الكريمُ حافلٌ بمثلِ هذه الأحداثِ ففي سورةِ البقرةِ يسردُ أحداثَ المعركةِ بين طالوتَ وجالوت:

(فلمَّا فصلَ طالُوتُ بالجُنُودِ قالَ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فلَيْسَ مِنّي ومَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فإنَّهُ مِنّي إلا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلا قليلاً مِنْهُمْ فلمَّا جاوَزَهُ هُوَ والّذينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنا اليَوْمَ بِجالُوتَ وجُنُودِهِ قالَ الّذينَ يَظُنُّونَ أنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثِيرَةً بإذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصّابِرينَ، ولمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وجُنُودِهِ قالُوا ربَّنا أفْرِغْ علَيْنا صَبْراً وثَبِّتْ أقْدامَنا وانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرينَ، فهَزَمُوهُمْ بإذْنِ اللهِ وقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وعَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ ولَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرْضُ ولكِنَّ اللهَ ذُو فضْلٍ على العالَمينَ". (البقرة، ٢٥١-٢٤٩)

لقد كانتْ إشاراتُ القرآنِ الكريمِ واضحةً بخصوصِ الانضباطِ والتسليمِ للقيادةِ والثباتِ في مواجهةِ العدو، وبيّنتْ للمسلمينَ كيفَ يمكنُ لفئةٍ صغيرةٍ بالصبرِ والإيمانِ أن تهزمَ جيشاً جراراً يفوقُها في العُدّةِ والعدَد.

وتحدّثَ القرآنُ الكريمُ عن معركةِ حُنيْن، فقال تعالى:

"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ كثيرَةٍ ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وضاقَتْ عليْكُمُ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرينَ، ثُمَّ أنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وعلى المُؤْمِنِينَ وأنزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وعَذَّبَ الّذينَ كفَرُوا وذلِكَ جَزاءُ الكافِرينَ". (التوبة، ٢٥-٢٦)

ونرى في هذه المعركةِ أنَّ التخاذلَ والخوفَ سيطرا على الجيش عندما باغتَهُمُ العدوُّ فتفرَّقوا عن رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم). يقولُ العلامةُ الشيرازيُّ في تفسيره (فخلّى اللهُ بين جيش المسلمين

وجيش العدوّ، وتركَ الجيشيْن على حالِهما، ولم يحمِ المسلمينَ لغرورِهِم - مؤقتاً - حتى ظهرتْ آثارُ الهزيمةِ فيهم، إلا أنَّ عليّاً حملَ لواءَ النبيّ، بقيَ يُقاتلُ في عدّةٍ قليلةٍ معه، وكان النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في (قلبِ) الجيش وحولهُ بنو هاشم، وفيهم عمُّهُ العباسُ وكانوا لا يتجاوزونَ تسعة أشخاصٍ عاشرُهُمْ أيمنُ ابنُ أمِّ أيمن، فمرّتْ مقدّمةُ الجيش في فرارِها من المعركةِ على النبيِّ فأمرَ النبيُّ عمَّهُ - وكان جهيرَ الصّوت - أن يصعدَ على تلٍّ قريبٍ وينادي فوراً: يا معشرَ المهاجرينَ والأنصار، يا أصحابَ سورةِ البقرة، يا أهلَ بيعةِ الشجرَة، إلى أينَ تفِرّون؟ هذا رسولُ الله، فلمّا سمعَ المسلمونَ صوتَ العباس رجَعوا وقالوا: لبيك لبيك". (الشيرازي، ج٥، ٥٧٦-٥٧٥)

في هذا الموقفِ كان تصرّفُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فوريّاً وذكيّاً فاستطاعَ أن يُلهمَ المسلمينَ روحَ الشجاعةِ والاستبسالِ بكلماتٍ ذاتِ مغزى، فقد أمرَ عمَّهُ العباسَ بمخاطبتِهم بكلماتٍ محبّبَةٍ لقلوبِهم تذكّرُهُم بارتباطِهم بقائدِهِم فما كان منهُم إلا أن لبَّوْا نداءَ قائدِهِم وتغيّرتْ نتيجةُ المعركة، والدرسُ التربويُّ الذي علّمَهُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أتباعَهُ من هذا الحدَثِ أنَّ الخطأ إذا تمَّتْ معالجتُهُ فوريّاً يمكنُ أن يؤدّيَ إلى نتائجَ مغايرةٍ وسارّةٍ أيضاً!

٨ التّعليم عن طريق الترغيب والترهيب

الترغيبُ والترهيبُ من الأساليبِ التربويّةِ التي تهدفُ لإثارةِ دوافعِ الخيرِ في النفسِ الإنسانيّةِ مقابلَ دوافعِ الشرّ، وقد اعتمدَ القرآنُ الكريمُ في تناولِهِ لهذه القضيّةِ في معظمِ آياتِهِ إلى المقابلةِ بين نتائجِ سلوكِ الفريقيْن من المؤمنينَ والكافرين. (نجاتي، ١٩٨٠) إذ نقرأ:

"إنَّ جهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً* لِلطّاغِينَ مَآباً* لابثِينَ فيها أحْقاباً* لا يذُوقُونَ فيها بَرْداً ولا شَراباً، إلا حميماً وغَسّاقاً، جَزاءً وِفاقاً* إنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً* وكذَّبُوا بآياتِنا كِذّاباً* وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْناهُ كِتاباً* فذُوقُوا فلَنْ نَزيدَكُمْ إلا عذاباً* إنَّ لِلْمُتَّقينَ مَفازاً* حَدائِقَ وأعْناباً* وكَواعِبَ أتْراباً* وكأساً دِهاقاً* لا يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً ولا كِذّاباً* جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً".
(النبأ ٢٦-٣١)

ويقول تعالى في سورة الغاشية: "هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ* عامِلَةٌ ناصِبَةٌ* تَصْلى ناراً حامِيَةً* تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إلا مِنْ ضَريعٍ* لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ* لِسَعْيِها راضِيَةٌ* في جَنَّةٍ عالِيَةٍ* لا تَسْمَعُ فيها لاغِيَةً* فيها عَيْنٌ جارِيَةٌ* فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ* وَأكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ* ونَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ* وزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ". (الغاشية ١-١٦)

إنَّ الحكمة من وراءِ استخدام مثلِ هذا الأسلوبِ في التعليمِ هو أنَّ النفسَ البشريّة مجبولةٌ على الخوفِ والرجاء، فهي تخافُ ما يسبّبُ لها ألماً أو أذًى فتتجنّبُه، وتسعى لما يحقّقُ لها كلَّ لذّةٍ وسعادة، وقد وظّفَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الأسلوبَ كأحدِ الوسائلِ لتربيةِ الأفرادِ وحفزَ دوافعَ الخيرِ وكبحِ جماحَ الشرِّ لديهم،

إذ يقـولُ (صلى الله عليه وآله وسـلم): "مَن مَشى إلى ذي قرابَةٍ بنفسِهِ ومالِهِ ليصلَ رحِمَهُ أعطاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ أجرَ مائةِ شهيدٍ ولهُ بكلِّ خطوةٍ أربعونَ ألفَ حسنة، ومحا عنهُ أربعينَ ألفَ سيّئة، ورفعَ له من الدرجاتِ مثلُ ذلكَ وكان كأنّما عبَدَ اللهَ - عزَّ وجلَّ - مائةَ سنةٍ صابراً محتسِباً". (الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ٤٣١)

ويقولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن ظلَمَ أجيراً أجْرَهُ أحبطَ اللهُ عملَهُ وحرَّمَ عليه ريحَ الجنّة، وإنَّ ريحَها ليوجَدُ من مسيرةِ خمسمائةِ عام. ومَن خانَ جارَهُ في شبرٍ من الأرض جعلَهُ اللهُ طوقاً في عنُقِهِ من تخومِ الأرضينَ السبعِ حتى يلقى اللهَ يومَ القيامةِ مطوَّقاً به إلا أن يتوبَ ويرجِع". (الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ٤٢٨)

في الحديثيْن السابقيْن استخدمَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أسلوبَ الترغيبِ والترهيبِ لدفعِ النفسِ لفعلِ الخير، والمداومةِ عليه، وزجرِ النفسِ عن فعلِ الشرّ، والإسراعِ بالابتعادِ عنه عبرَ عرضِ الصورةِ النهائيّةِ لنتائجِ كلِّ سلوك، وهو من المبادئِ التربويّةِ الهامّةِ التي يعتمدُها ذوو الاختصاصِ في معالجةِ السّلوكِ العدوانيِّ عند المتعلّمين.

٩- التّعليم باستخدام القدوة

التعلّمُ بواسطةِ القدوةِ وهو ما يعبَّرُ عنه اليومَ في علمِ النفسِ الاجتماعيِّ بالتعلّمِ عن طريقِ النموذجِ الاجتماعيِّ (الوالدانِ أو المعلّم)، حيث المتعلّمَ يتعلّمُ من خلالِ تفاعلِهِ مع البيئةِ الاجتماعيّةِ التي يعيشُ فيها فيلتقِطُ منها الكثيرَ من المحفّزاتِ لسلوكٍ ما أو المُحبطاتِ لسلوكٍ آخر. ومع مرورِ الزمنِ يكوّنُ مُعتقداتِهِ وقيَمِه، وقد جاء في القرآنِ الكريمِ ما يؤكّدُ أثرَ البيئةِ على سلوكِ وتعلّمِ الأفرادِ حيث نقرأ: "بَلْ قالُوا إنَّا وجَدْنَا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ* وكذلِكَ ما أرْسَلْنا مِنْ قبْلِكَ في قرْيَةٍ مِنْ نذيرٍ إلا قالَ مُتْرَفُوها إنَّا وجَدْنَا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ". (الزخرف، ٢٢-٢٣)

ويُشيرُ الكتابُ العزيزُ في الآياتِ السابقةِ إلى خطورةِ القدواتِ السيّئةِ التي تطبّعُ أفرادَها على نوعٍ معيّنٍ من التفكيرِ والمُعتقدات، وبالتالي تكونُ مقاومتُهُم عنيدةً لتقبُّلِ الأفكارِ الجيّدة. جاء في سورةِ الممتحَنة عن القدوةِ الحسنَة: "قدْ كانَتْ لكُمْ أُسْوَةٌ حسَنَةٌ في إبْراهيمَ والّذينَ مَعَهُ إذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ ومِمَّا تعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كفَرْنا بِكُمْ وبَدَا بيْنَنا وبَيْنَكُمُ العَداوَةُ والبَغْضاءُ أبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ إلا قَوْلَ إبْراهيمَ لأبيهِ لأسْتَغْفِرَنَّ لكَ وما أمْلِكُ لكَ مِنْ اللهِ مِنْ شَيْءٍ ربَّنا عليْكَ توَكَّلْنَا وإلَيْكَ أنَبْنا وإلَيْكَ المَصِيرُ". (الممتحنة، ٥)

وقد وجّهَ القرآنُ الكريمُ الدعوةَ للاقتداءِ بالنموذجِ الأمثلِ في قولِهِ تعالى: "لَقَدْ كانَ لكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كَثِيراً". (الأحزاب، ٢٢) وقد سارَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمّتِهِ بسيرتِهِ الحسَنةِ وكان يأمرُ أصحابَهُ بالاقتداءِ به، فهو يُقدِّم نفسَهُ كنموذجٍ للسلوكِ الذي يُريدُ من أتباعِهِ العملَ به، فيقولُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِه، وأنا خيرُكُمْ لأهْلي، ما أكرمَ النساءَ إلا كريم، ولا أهانَهُنَّ إلا لَئيم". (الأعلمي، ١٤٢٣، ص ١٦٥)

وفي وصفٍ لأخلاق الرسول الأكرم، ينقلُ الطّبرسيُّ عن أخلاقِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): عن عليٍّ (عليه السلام): "ما صافحَ رسولُ اللهِ أحداً قطُّ فنزعَ يدَهُ من يدِهِ حتى يكونَ هو الذّي ينزعُ يدَه، وما فاوضَهُ أحدٌ قطُّ في حاجةٍ أو حديثٍ فانصرفَ حتى يكونَ الرّجلُ هو الذّي ينصرف، وما نازعَهُ أحدٌ الحديثَ فيسكتُ حتى يكونَ هو الذّي يسكت، وما رُئيَ مقدِّماً رجلَهُ بين يديْ جليسٍ لهُ قطّ، وما خُيِّرَ بين أمريْن إلا أخذَ بأشدِّهما، وما انتصرَ لنفسِهِ من مظلِمَةٍ حتى يُنتهَكَ محارمُ اللهِ فيكونَ غضبُهُ للهِ تباركَ وتعالى، وما أكلَ مُتّكِئاً قطُّ حتى فارقَ الدّنيا، وما سُئلَ شيئاً قطُّ فقالَ لا، وما ردَّ سائلَ حاجةٍ قطُّ إلا بها أو بميْسورٍ من القول، وكان أخفَّ الناسِ صلاةً في تمام، وكان أقصرَ الناسِ خطبةً وأقلَّهُم هذراً". (الطبرسي، ص ٢٣) وفي هذا جمعَ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام)، التلميذُ الأمثلُ عندَ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الكلام، صفاتِ المعلّمِ المثاليِّ الذّي يتعلّقُ به تلامذتُهُ ويُحاكونَهُ في كلِّ حركاتِهِ وسكناتِه.

١٠- التّعليم عن طريق الممارسة

ويُقصدُ به التعلّمُ عن طريق ملاحظةِ أداءِ المعلّمِ أو المدرّبِ ومتابعتِهِ في العمل، وقد بُحثَ هذا الموضوعُ في علمِ النفس وأفردَ لهُ دبلوم (١٩٥٨) في كتابةِ الأهدافِ التعليميّةِ فصلاً يتحدّثُ فيه عن الخطواتِ التي يجبُ أن يسيرَ فيها المتعلّمُ لإتقانِ مهارةٍ معيّنة، وقد كانَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يُصلّي بهم جماعةً ويأمرُهُم بالاقتداءِ بحركاتِهِ في الصلاة، كما كانَ يأمرُهُم بتقليدِهِ في الوضوء، وكان في ممارساتِهِ اليوميّةِ يُربّي أصحابَهُ على أخلاقِه.

فقد روي أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدعُ أحداً يمشي معَهُ إذا كانَ راكباً حتى يحملهُ معَه، فإن أبَى قال: تقدّمْ أمامي، وأدركْني في المكانِ الذّي تُريد. ودعاهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) قومٌ من أهلِ المدينةِ إلى طعامٍ صنَعوهُ له، ولأصحابٍ لهُ خمسةٌ فأجابَ دعوتَهُم، فلمّا كانَ في بعضِ الطّريقِ أدركَهُم سادس، فماشاهُم، فلما دنَوْا من بيتِ القومِ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) للرجلِ السادس: إنَّ القومَ لم يدعوكَ فاجلِسْ حتى نذكرَ لهُم مكانَكَ ونستأذنَهُم لك. (الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ٢٢)

عن سلمانِ الفارسيِّ قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مُتّكئٌ على وسادةٍ فألقاها إليّ، ثمَّ قال: "يا سلمانُ ما من مسلمٍ دخلَ على أخيهِ المسلمِ فيُلقي لهُ الوسادةَ إكراماً لهُ إلا غفرَ اللهُ له". (الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ٢١)

عن أنسِ بنِ مالك قال: إنَّ النبيَّ أدركَهُ أعرابيٌّ فأخذَ بردائِهِ فجذبَهُ جذبةً شديدةً حتى نظرتُ إلى صفحةِ عُنُقِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أثرتْ بها حاشيةُ الرداءِ من شدّةِ جذبتِه، ثمَّ قال له: يا محمّدُ مُرْ لي من مالِ اللهِ الذّي عندَك، فالتفتَ إليهِ رسولُ اللهِ فضحكَ وأمرَ لهُ بالعطاء. (الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ١٧)

تصفُ لنا الأحاديثُ السابقةُ كيفَ كانَ الرسولُ يُربّي أتباعَهُ على معالي الأخلاقِ عن طريقِ الممارسةِ العمليّةِ من خلالِ مواقفَ عمليّةٍ حيّةٍ فيتعلّمونَ عن آدابِ الذّهابِ لدعوةِ الطّعامِ، والتواضعِ للزائرين، والحلمِ في مواجهةِ الأخلاقِ الذميمة.

ولقد اتضحَ لنا مما تمَّ عرضُهُ من نماذجَ للخطابِ النبويِّ أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) مارسَ أساليبَ متنوّعةً في تعليمِ تلامذتِه، وهذه الأساليبُ كانت منتقاةً بعنايةٍ تتناسبُ مع الموقفِ التعليميِّ وظروفِهِ الموضوعيّةِ وهذا يقودُنا للقولِ إنَّ المنهاجَ النبويَّ في التعليمِ يقومُ على أساسِ أن يكونَ المعلمُ قادراً على تنويعِ أساليبِهِ بما يتناسبُ والموقفُ التعليميُّ حتى يستطيعَ أن يؤثّرَ على المتعلّمينَ ويحفّزَهُم بصورةٍ أفضلَ نحو العملِ والتطبيق.

هـ - وسائل التعلم ونقل المعرفة

لقد كانَ لدى الرسولِ الأعظمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) جاذبيّةٌ في تعليمِ وإرشادِ أتباعِهِ بفضلِ ما يستخدمُهُ من قنواتِ اتصاليّةٍ متنوّعةٍ تتلاءمُ والموقفَ التعليميّ، فتارةً يرفعُ صوتَهُ أو يُخفِضُه، وتارةً يصمتُ معبّراً عن سرورِهِ أو غضبِه، وأخرى يوظّفُ عناصرَ البيئةِ كالرملِ أو أوراقِ الشجرِ أو الأخشابِ في إيصالِ فكرةٍ جديدةٍ أو إيضاحِ مفهومٍ محدّد. وبالإضافةِ إلى ذلك كانتْ لغةُ الجسدِ حاضرةً في أحاديثِهِ فهو يستخدمُ تعابيرَ وجهه، وإشاراتِ يديْه، وحواسّهِ في الإصغاءِ للآخر، وتعليمِ تلاميذِه، وتوجيهِ رسائلِهِ المضمّنةِ في وصاياهُ وإرشاداتِهِ وحكَمِهِ التي يزوّدُ بها أصحابَهُ ومُريديه.

كما أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كانَ يختارُ من الكلامِ ما يحرّكُ به العقولَ للتفكرِ والتدبّرِ وما يليّنُ بهِ القلوبَ لتخضعَ وتتّعِظ، فكانَ بحقٍّ معلّمَ الحكمةِ وطبيبَ القلوبِ كما وصفَهُ أميرُ المؤمنينَ (عليه السلام): "طبيبٌ دوّارٌ بطبّهِ، قد أحكمَ مراهِمَهُ، وأحمى مواسِمَه، يضعُ ذلكَ حيثُ الحاجةُ إليهِ مِن قلوبٍ عُمي، وآذانٍ صُمٍ، وألسنةٍ بُكم.. متتبعٌ بدوائهِ مواضعَ الغفلةِ، ومواطنَ الحيْرة".

وقد التفتَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً إلى تأثيرِ هيئةِ المعلّمِ ومظهرِهِ فكانَ يلبسُ الملابسَ النظيفةَ والجميلة، ويتعطّر، ويمشّطُ لحيَتَه، ويتهيّأُ لأصحابِهِ عند ملاقاتِهم. وأمّا جاذبيّتُهُ الشخصيّةُ التي وصفَها اللهُ تعالى في كتابِهِ "وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" حيث تمثّلت في كمالاتِهِ السلوكيّةِ في الجانبيْنِ الفرديِّ والاجتماعيِّ التي كانَ فيها الرسولُ الأكرمُ معلّماً لفنِّ الاتصالِ والتواصلِ مع الآخرينَ في العمليّةِ التعليميّة.

وفي سيرةِ الرسولِ الأعظمِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يمكنُ أن نلاحظَ مواقفَ متنوّعةٍ تتضمّنُ استخدامَ الرسولِ بكفاءةٍ عاليةٍ أدواتِ فنِّ الاتصالِ مع الآخرين، وتوجيهَهُم نحو تحقيقِ الهدفِ التعليميِّ كلغةِ الجسد، واللغةِ المنطوقة، ومهاراتِ التواصلِ الاجتماعيِّ مع من يُعايشُهُم في بيئتِهِ بمختلفِ أعمارِهِم ومستوياتِهم الفكريّةِ والاقتصاديّةِ والاجتماعيّة.

أولاً- المظهر العام

كانَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) يحرصُ أشدَّ الحرص على تقديم نفسِهِ القدوةَ المُثلى في تطبيقِ تعاليمِ الإسلامِ وكانتْ لغةُ الجسدِ حاضرةً في تعليماتِهِ وإرشاداتِهِ للمسلمين، فحينَ يؤكّدُ على أهميّةِ النظافةِ والطهارةِ في حديثِهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "يا أنَس، أكثِرْ من الطهور يزدِ اللهُ في عمُرِك، فإن استطعتَ أن تكونَ بالليلِ والنهارِ على طهارةٍ فافعَل، فإنّكَ تكونُ إذا مِتَّ على طهارةٍ مِتَّ شهيداً" أو قولُه "الرائحةُ الطيّبةُ تشدُّ القلب".

كان هو القدوةُ في هذا المضمار فقد وردَ في كتابِ مكارمِ الأخلاق أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كانَ يلبسُ الشملة ويأتزرُ بها ويلبسُ النمرةَ ويأتزرُ بها أيضاً فتحسنُ عليه النمرةُ لسوادِها على بياضِ ما يبدو من ساقيْهِ وقدميْه. وقيل: لقد قبضَهُ اللهُ جلَّ وعلا وإنَّ له لنمرةً تنسجُ في بني عبدِ الأشهلِ ليلبسَها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وربّما كانَ يُصلي بالناسِ وهو لابسُ الشملة.

وقال أنس: ربّما رأيتُهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) يُصلّي بنا الظهرَ في شملةٍ عاقداً طرفيْها بين كتفيْه. وورد أيضاً أنّهُ كانت للنبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مسكّةٌ إذا هو يتوضّأ أخذها بيدِهِ وهي رطبَةٌ فكانَ إذا خرجَ عرفوا أنّهُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يستاكُ كلَّ ليلةٍ ثلاثَ مرّات: مرّةً قبلَ نومِهِ ومرّةً إذا قامَ من نومِهِ إلى وردِهِ ومرّةً قبلَ خروجِهِ إلى صلاةِ الصبح.

وكان يستاكُ بالأراك، أمرَهُ بذلكَ جبرئيلُ (عليه السلام)، وكانَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطيّبُ في كلِّ جُمعة، فإذا لم يجدْ أخذَ بعضَ خُمْرِ نسائهِ فرشَّهُ بالماءِ ويمسحُ بهِ. وأوردَ السيد سامي خضرة في كتابهِ عن أخلاقِ الرسول: كانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظرُ في المرآة، ويتمشّط... وربّما نظرَ في الماءِ ليتجمّلَ لأصحابِهِ فضلاً عن تجمّلِهِ لأهلِه، وقال: "إنَّ اللهَ يحبُّ من عبدِهِ إذا خرجَ إلى إخوانِهِ أن يتهيّأ لهُم ويتجمّل".

وتُشيرُ الآدابُ السابقةُ للرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أنّهُ كانَ يقدّمُ لأتباعِهِ نموذجاً تطبيقيّاً لكيفيّةِ النظافةِ والطهارةِ والتزيّنِ بالمظهرِ الجميلِ ملبساً وهيئةً وطيباً ممّا يوفّرُ بيئةً مشجّعةً للمتعلّمِ للإقبالِ على معلّمِهِ ومحبّةِ لقائهِ والاقترابِ منه والتأثرِ بخطابه.

ثانياً- لغة الخطاب

ممّا لاشك فيه أنَّ لغةَ الخطابِ تلعبُ دوراً كبيراً في العمليّةِ التربويّةِ فهوَ المحتوى للأفكارِ والقيَمِ والسلوكيّاتِ الذي بهِ يحرّكُ المعلمُ عقولَ وعواطفَ المتعلّمين، وقد كانَ الرسولُ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطبُ أتباعَهُ بلغةٍ بسيطةٍ بمسحةٍ جماليّةٍ وتربويّةٍ بالغةٍ. فيما يلي نماذجُ لمجموعةٍ من الأقوالِ والحكمِ النبويّةِ التي تجمعُ هذه الخصائص.

أ- اللغة المنطوقة

تركتِ اللغةُ المنطوقةُ في الخطابِ النبويِّ أثرَها البالغَ في نفوسِ المتلقّينَ والسامعينَ لأحاديثِ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّها كانتْ تُلامِسُ شغفَ القلوب، وتحرّكُ المشاعرَ الإيجابيّة،وتوقظُ الفكرَ الوقاد؛

ومن ثم كانَ السامعُ للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يشعرُ بالتجدّدِ في المعرفة، والاستبصار في الحياة، والتغيير في السلوكِ الفرديِّ والاجتماعيِّ نظراً لما يترشّحُ من الرسائل النبويّةِ من توجيهاتٍ عاليةٍ في العلمِ والأخلاق والعمل والحكمةِ وممّا وردَ عنهُ في هذا المجال قولُهُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "أوْصاني ربّي بِتِسْع، أوْصاني بالإخلاص في السرِّ والعلانِيَة، والعدل في الرضا والغَضَب، والقصدِ في الفقر والغِنى، وأن أعفُوَ عمَّن ظلمَني، وأعْطي مَن حرمَني، وأصلُ مَن قطعَني، وأن يكونَ صمتي فِكراً، ومنطِقي ذِكراً ونظري عِبَراً".

تمثلُ هذه الكلماتُ الشريفةُ أنموذجَ المثاليَّ للشخصيّةِ القرآنيّةِ التي ينشدُها الإسلام. من النكاتِ التربويّةِ المهمّةِ أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ هذه الوصايا بنسبتِها لنفسِهِ قبلَ غيرِهِ وهذا يعني أنَّ المعلّمَ في المنهج النبويِّ للتربيةِ لابدّ أن يطبِّقَ على نفسِهِ ما يدعو إليهِ أولاً قبلَ أن يخاطِبَ تلاميذَهُ بأي إرشادٍ أو توجيه، وأنَّ المعلّمَ ولكي ينجحَ في تربيةِ الآخرينَ فلابدّ أن يجتازَ التقويمَ الذاتيَّ لامتلاكِهِ لهذه الملكاتِ أو الصفاتِ التي يُريدُ أن يتّصِفَ بها غيرُه.

وقد تضمّنَ هذا الحديثُ مجموعةً من القيَمِ الإسلاميّة؛ الإخلاص، والعدل، والاتزان، والعفو، والعطاء، والتواصل، والتفكّر، والذكر، والتأمل وهي تشملُ الأبعادَ الثلاثة للشخصيّةِ الإسلاميّة؛ المعرفيّة، والوجدانيّة، والسلوكيّة.

هذا فضلاً عن أنَّ سلوكيّاتِ الشخصيّةِ النموذجيّةِ في هذا الخطابِ قد وضعَ لها النبيُّ مؤشراتٍ يمكنُ من خلالِها الحكمُ عليها في مواقفَ تطبيقيّةٍ في البيئةِ الاجتماعية.

وقد استخدمَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا المجال الأضدادَ لتركيزِ المعنى وإحداثِ التأثيرِ الوجدانيِّ المطلوبِ لدى المتلقي، كما أنَّ الحديثَ يحرّكُ التفكيرَ والتدبّرَ في أمورٍ مخالِفةٍ للعُرفِ فهو يوصي بمبادلةِ الإساءةِ بالإحسان في التواصل مع القاطِع، وبذلِ المالِ للمانع، والتسامحِ مع المخالِفِ كما يختتِمُ بكلماتٍ مركزةٍ عن منهجيّةِ المؤمن القرآنيِّ في الصمتِ والكلامِ والنظر بحيث تكونُ هذه الأدواتُ وسيلةً للمعرفةِ وبناء الذاتِ والارتقاءِ بها في مدارجِ الكمالِ الإنسانيِّ والمعنويّ.

ب- لغة الجسد

تعد لغةُ الجسدِ في علمِ الاتصالِ من الوسائلِ الفعّالةِ والمؤثرةِ في نقلِ الرسائلِ المتضمّنةِ في اللغتيْنِ الناطِقةِ والصامِتة، وقد أكّدتِ البحوثُ الحديثةُ أنَّ لغةَ الجسدِ تشكّلُ تأثيراً بنسبةِ 55% في أيّةِ عمليّةِ اتصالٍ ممّا يبرزُ أهميّةَ توظيفِ هذه الوسيلةِ في الاتصالاتِ والعلاقاتِ الاجتماعيّة. لقد كانَ للغةِ الجسدِ في الخطابِ النبويِّ النصيبَ الوافرَ إذ استخدمها (صلى الله عليه وآله وسلم) بهدفِ تركيزِ الانتباهِ وشدِّ المتلقي للاستماعِ إلى ما سيقولُه، ومن أبرزِ الأمثلةِ على ذلك في بيعةِ الغدير ما وردَ في الجزءِ الثامن من كتابِ الغدير: (لقد كانَ

الوقتُ وقتَ الظهيرة، وكانَ الجوُّ حاراً إلى درجةٍ كبيرةٍ جداً، وكانَ الشخصُ يضعُ قِسماً من عباءتِهِ فوقَ رأسِهِ والقسمَ الآخرَ منها تحتَ قدميْه، وصُنعَ للنبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ مظلّةٌ وكانتْ عبارةً عن عباءةٍ أُلقيَتْ على أغصانِ شجرة، (سمرُة) وصلّى رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله بالحاضرينَ الظهرَ جماعة، وفيما كانَ الناسُ قد أحاطوا بهِ صعدَ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ على منبرٍ أُعِدَّ من أحداجِ الإبلِ وأقتابِها، وخطبَ في الناسِ رافعاً صوتَهُ وهو يقول: الحمدُ للهِ ونستعينُهُ ونُؤمنُ بهِ ونتوكّلُ عليهِ ونعُوذُ بهِ من شُرُورِ أنفُسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، الذي لا هاديَ لِمَن ضلَّ ولا مُضِلَّ لِمَن هدى، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا هوَ وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُه. أمّا بَعد، أيّها الناسُ قد نبَّأنيَ اللطيفُ الخبيرُ أنّهُ لم يعمَّر نبيٌّ إلا مثلَ نصفِ الذي قبلَه، وإنّي أوشكُ أن أُدعى فأُجيبُ وأنّي مسؤولٌ وأنتمْ مسؤولونَ فماذا أنتمْ قائلون؟ قالوا: نشهَدُ أنَّكَ قد بَلّغتَ ونصحتَ وجهَدتَ فجزاكَ اللهُ خيراً. قال صلّى اللهُ عليهِ وآلِه: ألستُمْ تشهدونَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحمَّداً عبدُه ورَسُولُهُ وأنَّ جنّتَهُ حقٌّ وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن في القبور؟ قالوا: بلى نشهدُ بذلك.

قالَ صلّى اللهُ عليهِ وآله: اللّهمَّ اشهَد. ثمَّ قالَ صلّى اللهُ عليهِ وآله: إنّي تاركٌ فيكمُ الثّقلَيْن ما إن تمسكتُمْ بِهما لن تضِلّوا أبداً. فنادى منادٍ: بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله، وما الثقلان؟ فقالَ صلّى اللهُ عليهِ وآله: كِتابُ اللهِ سَبَبٌ، طرفٌ بيدِ اللهِ وطرفٌ بأيديكُم فتمسّكُوا بهِ والآخرُ عِترتي، وإنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنَّهُما لن يَفترقا حتى يَردا عليَّ الحوضَ فلا تقدموهُما فتهلكوا ولا تُقصِّروا عنهُما فتهلكوا.

وهنا أخذَ بيدِ (عليّ) عليه السلامُ ورفعَها حتى رؤي بياضُ آباطِهما وعرفهُ الناسُ أجمعونَ ثمَّ قال: "أيُّها الناسُ مَن أولى الناسِ بالمؤمنينَ مِن أنفسهم؟" قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم. فقالَ صلّى اللهُ عليهِ وآله: "إنَّ اللهَ مولايَ وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسِهم، فمَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه، اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداهُ وانصُرْ مَن نصرَه، واخذُلْ مَن خذلَه، وأحبَّ مَن أحبَّه، وأبغِضْ مَن أبغضَه، وأدِرِ الحقَّ معهُ حيثُ دار".

يعكسُ هذا المشهدُ العظيمُ الذي أعدّهُ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) التخطيطَ الدقيقَ لعمليّةِ الاتصالِ من حيث استخدامِ المفرداتِ اللغويّة، ولغةِ الجسد، وتهيئةِ المكانِ والزمان، وإزالةِ عناصرِ التشويشِ في الموقفِ الاتصاليِّ حتى تُحققَ عمليّةِ الاتصالِ أهدافَها؛ وقد برزَت في هذ الموقفِ براعةُ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخطابةِ عن طريق رفع الصوت، والتمهيدِ بالمقدّماتِ اللازمةِ للموضوع، واستخدامِ الجُملِ الاستفهاميّة، وإشراكِ المتلقينَ في الحديث، وربطِ المقدّماتِ بالنتائج، وعرضِ الموضوعِ في صورةٍ تفاعليّةٍ بينهُ وبينَ الجمهور.

١- تغيير نبرات الصوت

برزَ في هذا الموقفِ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً كخطيبٍ ملهمٍ أمامَ الجموع من مكانٍ مرتفعٍ وبصوتٍ واضح لكي يجعلَ السامعَ منتبهاً لشخصِهِ ومتفاعلاً مع حديثِه، كما أنّهُ غيّرَ نبراتِ صوتِهِ عن طريق الوقفاتِ الاستفهاميّةِ المتكرّرةِ ليشدَّ المتلقي لما هو قادم.

٢- إستخدام اليد

واستخدمُ اللغةِ الجسديّةِ حينَ رفعَ يدَ عليٍّ بيدِهِ حتى لا يشتبهَ الناظرُ مَن المرادُ بـ"علي"؟، وربطَ بين ولايةِ الرسول وولايةِ عليٍّ بعدَ أن أقرَّ القومُ بولايتِه عليهم، ثمَّ عقدَ البيعة لعليٍّ في الخيمةِ حيث سلّمَ عليهِ أصحابُ الرسول بالبيعةِ وبما يُقيمُ الحجّة على كلِّ مَن خالفَ هذه البيعة بعد أن مرّرَهُم بخبرةٍ ميدانيّةٍ تفاعلوا فيها مع المعلم وتعلّموا عن طريق الممارسةِ ما يريدُهُ الرسولُ منهُم في المستقبل!

٣- إستخدام حركات الأصابع

وقد أشارَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصابعِهِ إلى الإمام عليٍّ في قولِه: "فمَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداهُ وانصُرْ مَن نصرَه، واخذُلْ من خذلَهُ وأحبَّ مَن أحبَّهُ وأبغِضْ من أبغضَهُ وأدِرِ الحقَّ معَهُ حيثُ دار"، تأكيداً للمدلول اللفظيِّ والحسيِّ للولايةِ الإلهيّةِ المتضمّنةِ في هذا الخطاب.

٤- تعبيرات الوجه

وعندَ التأمّلِ في المشهدِ نُلاحِظُ أنَّ الرسولَ الأكرمَ قد استهلَّ حديثَهُ بكلماتٍ فيها تحذيرٌ وتنبيهٌ لخطورةِ الموقفِ حيث قالَ (صلى الله عليه وآله وسلم): "الحمدُ للهِ ونستعينُهُ ونُؤمنُ بهِ ونتوكّلُ عليهِ ونعُوذُ بهِ من شُرُور أنفُسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، الذي لا هاديَ لِمَن ضلَّ ولا مُضِلَّ لِمَن هدى وأشهدُ أن لا إلهَ إلا هو وأن محمّداً عبدُهُ ورسولُه". وعادةً ما ينعكسُ مثلُ هذا اللحن على وجهِ المخاطَبِ والمستمع معاً، وتكونُ اللحظاتُ حاسمةً يحاولُ فيها المتحدّثُ التأثيرَ باللغتيْن اللفظيّةِ والجسديّةِ على الآخرينَ وهذا ما قامَ بهِ الرسولُ قبلَ إعلانِهِ عن ولايةِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) حيث تابعَ خطابَه: أمّا بعد، أيُّها الناسُ قد نبّأنيَ اللطيفُ الخبيرُ أنّه لم يعمَّرْ نبيٌّ إلا مثلَ نصفِ الذي قبلَهُ، وإنّي أُوشَكُ أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤولٌ وأنتُم مسؤولونَ فماذا أنتُم قائلون؟ قالوا: نشهَدُ أنَّكَ قد بلّغتَ ونصحتَ وجهَدْتَ فجزاكَ اللهُ خيْراً. قال صلّى اللهّ عليه وآله: "ألستُمْ تشهَدونَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ وأنَّ جنّتَهُ حقٌّ وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن في القبور؟" قالوا: بلى نشهدُ بذلك. بعد سماع هذه الكلماتِ الحازمة، والصرامةِ في الموقف، وتعبيراتِ الوجهِ الجادّةِ كان الكلُّ يترقبُ ما هو النبأ الذي يحملُهُ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم!

٥- إستخدام الإشارة

من الوسائلِ التي اعتمدَها النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطابه؛ إقرانُ الإشارةِ بالكلمةِ (فمَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه) لتكونَ أعمقَ دلالةً وتأثيراً على السامع، فلا تحدثُ أيّةُ تأويلاتٍ أو تفسيراتٍ خاطئةٍ لمقاصدِ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وتُبرزُ الأحاديثُ التاليةُ هذه الخاصيّة في الخطابِ النبوي:

عنْ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: نظرَ رسولُ اللهِ

(صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّم) إلى عليٍّ عليهِ السلامُ فقال: "هذا وشيعَتُهُ همُ الفائِزُونَ يومَ القِيامَةِ".

عن أبي هريرةَ قال: تلا رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: "وإنْ تَتَوَلَّوا يستَبْدِلْ قوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يكُونوا أمْثالَكُمْ"، قالوا: يا رسولَ اللهِ ومَن يُستبدلُ بنا؟ فضربَ على منكبِ سلمانَ ثمَّ قال: "هذا وقومُه".

وفي روايةٍ قال (صلى الله عليه وآله): "هذا وأصحابُه، والذي نفسي بيدِهِ لو كانَ الإيمانُ منوطاً بالثريّا لتناولَهُ رجلٌ من فارس"، وأشارَ إلى سلمان. (أخرجه الترمذي)

ولمّا نزلتْ "إنَّما أنتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قوْمٍ هادٍ" وضعَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يدَهُ على صَدْرِه، فقال: أنا المُنذِرُ ولِكُلِّ قوْمٍ هادٍ، وأوْمأَ بيدِهِ على منكبِ عليٍّ، فقال: "أنتَ الهادِي يا عليّ، بِكَ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ من بعْدي".

ويتّضحُ من المواقفِ السابقة أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) استخدمَ لغة الجسدِ لإحداثِ التأثيرِ النفسيِّ المطلوبِ لدى المتلقي عن طريقِ عرضِ الفكرةِ أو الموضوعِ في صورةٍ حسيّةٍ واضِحة، وتحفيزِهِ على التعلّمِ بأسلوبٍ ميسّر، وتدريبِهِ على تمثّلِ القيمةِ أو السلوكِ بواسطةِ التعليمِ بالاقتداء - محاكاةً لسلوكِ الرسولِ في المواقفِ المماثِلة - ومن ثم يمكنُ القولُ إنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قدّمَ أنموذجاً تعليميّاً فعّالاً لتعليمِ الآخرينَ باستخدامِ تقنيّاتِ لغةِ الجسد.

ثالثاً- الوسائل التعليميّة

فضلاً على لغة الجسدِ، وظّفَ الرسولُ الأكرمُ عناصرَ البيئةِ المحليّةِ كالأرضِ والحيوانِ والنارِ في خطابِهِ كموادٍّ تعليميّةٍ مساعِدة؛ يثيرُ بها عواطفَ أصحابِهِ ويُلفتَ انتباهَهُم إلى قضايا في العقيدةِ والأخلاقِ والأحكامِ الإسلاميّة. وفيما يأتي عرضٌ لأمثلةٍ تطبيقيّةٍ في هذا المجال.

١- التراب

فقد رويَ عنهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّهُ ذاتَ يومٍ كانَ جالساً مع أصحابِهِ فرسمَ خطاً مستقيماً على الأرض ثمَّ رسمَ عن يمينِهِ وشمالِهِ خطيْن، وتلا "وأنَّ هذا صِراطي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بِكُمْ عنْ سَبيلِهِ ذلِكُمْ وصَّاكُمْ بِهِ لعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ". (الأنعام، ١٣٥)

٢- النار

في يومٍ من الأيامِ وأثناءَ مرورِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحدِ طرُقِ المدينةِ الضيّقةِ وحولَه حَشْدٌ من أصحابِهِ تصادَفَ وجودُ صبيٍّ صغيرٍ يلعبُ في ذلك الطريق، فلمّا رأتْ أمُّ الصبيِّ القومَ قادمينَ خشِيتْ على ولدِها أن يُوطأ من شدّةِ الزحام، فأقبلتْ إليه تسعَى وتُهرولُ وهي تقول: إبْني إبْني. فلمّا أخذتْهُ وقد رأى الصحابةُ ذلكَ المشهَدَ العاطفيّ قالوا: يا رسولَ الله، ما كانتْ هذه لتُلقيَ ابنَها في النار! فقال لهم النبيُّ (صلى الله عليه وآله) "لا، ولا يُلقي اللهُ حبيبَهُ في النار".

٣- الحيوان

وعن زيدِ بنِ أسلم، قال: كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلمَ في بعضِ أسْفارِه، فأخذَ رجلٌ فرخَ طائر، فجاءَ الطَّائرُ فألقى بنفسِهِ في حِجْرِ الرجلِ مع فرْخِهِ، فأخذَهُ الرجلُ، فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم: "عَجِبْتُمْ لِهذا الطَّائرِ جاءَ، فألقى نفسَهُ في أيديكُمْ رحْمَةً لِوَلَدِهِ، فوَاللهِ، للهُ أرْحَمُ بِعَبْدِهِ المُؤمِنِ من هذا الطائرِ بِفرْخِهِ".

رابعاً- العرض العملي

من وسائلِ الاتصالِ عندَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في التعليمِ؛ عرضُ خطابِهِ مصحوباً بتغييرِ أوضاعِ جلستِه، أو الممارسةُ الفعليّةُ للسلوك، أو الإعراضُ عن الطرَفِ الآخر، أو الرسمُ التوضيحيُّ لفكرةٍ مجرّدة، والمواقفُ الأتية تدلّلُ على هذا المعنى...

١- تغيير الوضع المكاني

فقد رويَ أنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانَ يعدّدُ الكبائرَ وهو مُتّكئ، وحين ذكرَ شهادةَ الزورِ اعتدلَ في جلستِهِ ليشيرَ للمستمعِ إلى خطورةِ هذا المسلكِ على النفسِ والمجتمعِ وينبّهَهُ لأهميّةِ تفادي مثلِ هذا الأمرِ القبيحِ مهما كانتِ الظروفُ أو الدوافعُ الداعيةُ له.

٢- الرسم التوضيحيّ

وروِيَ أن الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جالساً مع أصحابِهِ فخطَّ خطاً مربّعاً وخطَّ خطاً خارجاً منه وخطَّ خطوطاً صغاراً؛ ثمَّ أخبرَ أصحابَهُ بأنَّ الخطَّ المربّعَ هو أجَلُ الإنسانِ المحيطِ به والخطُّ الخارجُ فهو أملُهُ وأما الخطوطُ الصغارُ فهي الأعراضُ إن أخطأهُ هذا نهشَهُ هذا...

٣- البيان العملي

وقد اتفقتْ مصادرُ الجميعِ على أنَّ المسلمينَ سألوا النبيَّ (صلى الله عليه وآله): كيف نُصلّي عليك؟ فأمرَهُم بالصلاةِ عليهِ وعلى آلهِ معاً، وعلّمَهُم صيغتَها! إذ روى البخاري: قيلَ يارسولَ اللهِ أمَّا السلامُ عليكَ فقدْ عرَفناهُ فكيْفَ الصلاةُ عليك؟ قال: "قولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ على محَمَّدٍ وعلى آلِ محَمَّدٍ كما صَلَّيْتَ على آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ. اللَّهُمَّ بارِكْ على محَمَّدٍ وعلى آلِ محَمَّدٍ كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مجيد".

خامساً: مهارات التواصل الاجتماعيّ

كانَ رسولُ اللهِ (صل الله عليه وآله وسلم) يتميّزُ بشخصيّةٍ إنسانيّةٍ تتفجرُ منها ينابيعُ الرحمةِ والعطفِ والمحبّةِ لجميعِ الخلق، وقد جاء في وصفِ القرآنِ الكريمِ له بذلك في قولِهِ تعالى: "فبما رحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فاعْفُ عنهُمْ واستَغْفِرْ لَهُمْ وشاوِرْهُمْ في الأمْرِ فإذا عزَمْتَ فتوَكَّلْ على اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتوَكِّلينَ". (آل عمران، ١٥٩)

وقد حبا اللهُ سبحانَهُ نبيَّهُ عن سائرِ خلقِهِ بصفاتٍ ملكوتيّةٍ مكّنتْهُ من غزوِ قلوبِ الأجيالِ المؤمنةِ به؛ منها ما جعلتْهُ متمكّناً من التواصلِ مع أصحابِهِ كالتبسّم، وإلقاءِ السلام، والمصافحَة، وحُسنِ الإنصات، وحُسنِ الاستقبال، والدعابةِ (الملاطفة)، ومراعاةِ المخاطبِ فضلاً عن الإصغاءِ للاحتياجات.

وورد في كتابِ (أخلاق النبيّ) للسيد سامي

خضرة مجموعة من الأدابِ والسنن في سيرتِهِ العطِرَةِ التي تجسّدُ المهاراتِ الاجتماعيّةِ السابقة.

١ - التبسم

كانَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثرَ الناس تبسّماً، ما لم تجرِ عظةٌ، ما لم يجرِ إلى التطرّق إلى الموعظةِ فلا يناسبُها التبسّم، وكان جلُّ ضحكِهِ التبسم، فلا يُقهْقِهُ ولا يرفعُ صوتَهُ كما يفعلُ أهلُ الغفلةِ وكانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) جميلَ المعاشَرة، بسّاماً من غيرِ ضحِك.

٢ - إلقاء السلام والمصافحة

كانَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يبادرُ من لقيَهُ بالسلام، يُبادِرُ إلى التحيّةِ لأنَّ السلامَ قبلَ الكلام، وهو علامةُ التواضع.. وللبادئ بالسلامِ تسعةٌ وستونَ حسنَة، وللرادِّ واحدة، وكانَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يُسلّمُ على الصغيرِ والكبير. وكان يرقعُ ثوبَه، ويخصفُ نعلَه، ويأكلُ معَ العبد، ويجلسُ على الأرض، ويصافحُ الغنيَّ والفقير.. ولا يحتقِرُ مسكيناً لفقره.. ولا ينزعُ يدَهُ من يدِ أحدٍ حتى ينزعَها هو، ويُسلّمُ على من استقبلَهُ من غنيٍّ وفقير، وكبيرٍ وصغير.

٣ - حسن الإنصات

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا يقطعُ على أحدٍ كلامَهُ حتى يفرغَ منه.

وكان نظرُهُ اللحظَ بعينِه، النظرةُ السريعةُ بطرفِ العين إلى اليمين أو اليسار التي لا تُحرجُ ولا تُخجِلُ الآخرين، وكان يُقسّمُ لحظاتِهِ بين أصحابِه، فينظرُ إلى هذا وينظرُ إلى ذاك بالسوي.

٤ - مراعاة المخاطب

ما كلّمَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) العبادَ بكُنْهِ عقلِهِ أبداً، وقال: "إنّا معاشرُ الأنبياء، أُمِرْنا أن نكلّمَ الناسَ على قدرِ عقولِهم".

ولم يكنْ هذا منهُ إلا لحُسنِ خلُقِهِ وتواضعِهِ ورأفتِهِ بالناس.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يُخاطبُ جلساءَهُ بما يناسب. فعن زيدِ بن ثابت، قال: كنّا إذا جلسْنا إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنْ أخذْنا في حديثٍ في ذكرِ الآخرة، أخذَ معنا. وإنْ أخذْنا في ذكرِ الدنيا، أخذَ معنا. وإنْ أخذْنا في ذكرِ الطعامِ والشرابِ، أخذَ معنا.

٥ - حسن الاستقبال

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم)، يساوي في النظرِ والاستماعِ للناس. وكان ينظرُ في المرآة، ويتمشّط... وربّما نظرَ في الماءِ ليتجمّلَ لأصحابه فضلاً عن تجمّلِهِ لأهلِه، وقال: "إنَّ اللهَ يحبُّ من عبدِهِ إذا خرجَ إلى إخوانِهِ أن يتهيّأ لهُم ويتجمّل".

ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو الجميع بكُناهُم إكراماً لهُم، واستمالةً لقلوبِهم (الأصحاب)، ويكَنّي مَن لا كنيَة له، والنساءَ ذواتَ الولدِ ومَن لم يلِدْن، والصبيانَ ليستلينَ قلوبَهم.

وكانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤثرُ الداخلَ عليهِ بالوسادةِ التي تحتَه، يقدّمُها لهُ إكراماً لضيفِهِ وطمأنةً لنفسِه، فإن أبى أصرَّ عليه حتى يقبَل.

٦- الإصغاء للاحتياجات

كانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: "أبلِغوني حاجة منْ لا يقدرُ على إبلاغ حاجتِه"، حتى لا يكونَ محجوباً عن حاجاتِ الناس، ويقضيَها إن استطاع، وكان يتفقّدُ أصحابَه، مطمَئناً عليهم، ويسألُ الناسَ عمّا في الناس، ليكونَ عارفاً بأحوالِهم وشؤونِهم. وكان إذا سُئلَ شيئاً، فإذا أرادَ أن يفعلَهُ قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعلَ سكَت، ولا يقولُ لشيءٍ لا.

٧- الدعابة (الملاطفة)

وكانتْ في النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مداعبَة، وذلك رأفةً منه لأمّتِه، لكيلا يبلُغ بأحدٍ منهم التعظيمُ له، فلا ينظرُ إليه، حذراً من المبالغةِ في التقديس، فيقولونَ قولاً عظيماً، نعوذ باللهِ تعالى، كما هو شأنُ النصارى في عبدِ الله عيسى ابن مريم. وكان ليُسِرُ الرجلَ من أصحابِهِ إذا رآهُ مغموماً بالمداعبة.

يتضحُ من العرض السابق أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمارسُ المهاراتِ الاجتماعيّةِ في التواصلِ مع الآخرينَ ضمنَ سلوكيّاتِهِ اليوميّةِ في التعاملِ مع أصحابِهِ ومن حولِه، فكانَ خطابُهُ خالياً من التكلّفِ والاصطناع، قادراً على النفاذِ في القلوبِ والعقولِ باختلافِ أصحابِها واختلافِ توجاهاتِهم الاجتماعيّة.

و- أساليب ووسائل التقويم

ويُقصدُ بأساليبِ التقويمِ ووسائلِهِ ما يقومُ به المعلّمُ من إجراءاتٍ وأنشطةٍ لقياسِ التقدّمِ الحاصلِ عندَ المتعلّمِ بأشكالٍ مختلِفة، فتارةً يكونُ شفوياً، وأخرى كتابيّاً، وهناك بما يسمّى بالتقويمِ الفرديِّ أو التقويمِ الجماعيِّ أمّا الوسائلُ فتتنوّعُ كالملاحظة، والاختبار، والاستبيان، والمقابلة وغيرها من الأدواتِ التي تُستخدمُ في قياسِ الجوانبِ المختلفةِ في الشخصيّةِ الإنسانيّة.

وفي الخطابِ النبويِّ نلاحظُ أنَّ عملية التقويمِ مستمرَّةٌ عن طريقِ التكرار، والتأكّدُ من استيعابِ المتلقّي لما يسمعُه أو يؤمَرُ بتنفيذِه، وقد يكونُ التقويمُ للسلوكِ نفسِهِ فيأتي فوريّاً ومحدّداً. ومن أساليبِ التّقويمِ عندَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يأتي على شكلِ تغذيةٍ راجعةٍ بالاستحسانِ أو عدمِ الرضا عن سلوكِ المتعلّم، أو توجيهٍ للمتلقي من إجلِ إجادةِ العمل، أو تقديمِ المساعدةِ للاخرِ في إتمامِ العمل. وأما الوسائلُ المستخدَمةُ عندَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ السّؤال، والمقابلة، والاختبارِ الميدانيّ، والملاحظة، وإنجاز المهمات.

١- تقويم السّلوك عن طريق السّؤال:

إن إثارةَ التّساؤلاتِ حولَ سلوكِ الأشخاصِ لدفعِهم نحوَ التقويمِ الذّاتيِّ من الأساليبِ القرآنيّة. فقد جاء في الكتابِ العزيز "قُلْ أفتعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا ينفَعُكُمْ شيْئاً ولا يضُرُّكُمْ * أُفٍّ لكُمْ ولِما تعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أفلا تعْقِلُونَ". (الأنبياء، ٦٦-٦٧)

وخاطبَ القرآنُ المعاندينَ للخضوعِ للحقِّ في قوله تعالى: "أمَّنْ هذا الذي هُوَ جُنْدٌ لكُمْ يَنصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إنِ الكافِرُونَ إلا فِي غُرُورٍ * أمَّنْ هذا الذي يرْزُقُكُمْ إنْ أمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لجُّوا فِي عُتُوٍّ ونُفُورٍ". (الملك ٢٠-٢١)

وجاءَ في السيرةِ النبويّةِ أنّهُ دخلَ رجلٌ فقيرٌ يلبسُ لباساً رثّاً وأرادَ أن يجلسَ فلم يجدْ مكاناً خالياً إلا بجانبِ ذلك الرجل الغنيّ، فذهبَ وجلسَ مكانَه، وكما كانَ الغنيُّ معتاداً حاولَ أن يبتعِدَ عنهُ قليلاً ويُلملِمَ ثيابَه. إنتبهَ الرسولُ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك وقال: هل خشيتَ أن يأتيَكَ بشيءٍ من فقره؟ قال: لا يارسولَ الله.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هل خشيتَ أن تنتقلَ ثروتُكَ إليه؟ قال: لا يا رسولَ الله.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذاً لِمَ فعلتَ ذلك؟ لم يكنْ عندهُ جوابٌ سوى أن قال: إنّها عادةٌ خاطئةٌ يا رسولَ الله! أنا مستعدٌّ أن أعطيَ أخي المسلمَ نصفَ ثروتي.

قال الرجلُ الفقير: أنا لا أقبل. فقالوا: لماذا؟ قال الفقير: أخافُ إذا قبلتُ أن أصبحَ مثلَهُ يوماً ما، فيأتي رجلٌ فقيرٌ فأتنحّى عنهُ جانباً وأتكبّرُ عنه. (الراشدي، ١٤٢٥هـ، ص ٢٠- ٢١)

لقد وظّفَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموقفِ تقنيّةَ السؤالِ ليكشِفَ لأحدِ أتباعِهِ سلوكَهُ الخاطئَ ويُقوِّمَهُ بطريقةٍ غيرِ مباشَرةٍ عن طريق كشفِ مصدرِ السّلوكِ الخاطئ.

٢ - تقديم التغذية الراجعة عن طريق المحاورة:

من الأساليبِ القرآنيّةِ تقويمُ سلوكِ الآخرينَ عن طريق المحاورةِ فيما جرى بين المؤمنِ والمشركِ من حديثٍ في سورةِ الكهف:

"واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رجُلَيْنِ جعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جنَّتَيْنِ مِنْ أعْنَابٍ وحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زرْعاً * كِلتا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ولَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً * وكانَ لَهُ ثَمَرٌ فقالَ لِصاحِبِهِ وهُوَ يُحاوِرُهُ أنا أكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأعَزُّ نَفَراً * ودخَلَ جَنَّتَهُ وهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هذِهِ أبَداً * وما أظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً ولَئِنْ رُدِدْتُ إلى ربِّي لأَجِدَنَّ خيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً * قالَ لَهُ صاحِبُهُ وهُوَ يُحاوِرُهُ أكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رجُلاً * لكِنَّا هُوَ اللهُ ربِّي ولا أُشْرِكُ بِرَبِّي أحَداً * ولَوْلا إذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلا باللهِ إنْ تَرَنِي أنا أقَلَّ مِنْكَ مالاً وولَداً * فعَسَى ربِّي أنْ يُؤْتِيَنِي خيْراً مِنْ جَنَّتِكَ ويُرْسِلَ عليْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً".

(الكهف، ٣٢-٤٠)

وردَ في كتابِ مكارمِ الأخلاق أن جاءَ الرسولَ بعضُ أصحابِهِ يوماً بفالوذجٍ فأكلَ منهُ وقال: ممَّ يا أبا عبدِ الله؟ فقال: بأبي أنتَ وأمّي نجعلُ السمْنَ والعسلَ في البرمةِ ونضعُها على النارِ ثمَّ نقليهِ ثمَّ نأخذُ مخَّ الحنطةِ إذا طُحِنتْ فنُلقيهِ على السمْنِ والعسلِ ثمَّ نسوطُهُ حتى ينضجَ فيأتي كما ترى. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ هذا طعامٌ طيّب". الطبرسي، ١٣٩٢هـ، ص ٢٨

وهذا من الأساليبِ الحديثةِ في تقييمِ سلوكِ أو أداءِ الفردِ أن تُحاورَهُ وتُبدي استحسانَكَ لعملِهِ أو انتقادِه، ففي الآياتِ السابقةِ كانَ دورُ المؤمنِ ناقداً لسلوكٍ غيرِ أخلاقيّ، بينما قامَ الرسولُ بالثناءِ على عملِ أحدِ أصحابِهِ وهو ما يسمّى بالتغذيةِ الايجابيّةِ وهذا بدورِهِ يحفّزُ الفردَ على تكرارِ السلوك، وقد مارسَ الرّسولُ هذا النمطَ من التقويمِ بطريقةِ المحاورةِ الودّيةِ التي شجّعتْ ذلكَ الصحابيَّ بأنْ يتحدّثَ عن عملِهِ وهو مسرور.

3- إخبار المسلم بنتائج سلوكه عن طريق الملاحظة:

إنَّ التقـــويمَ عن طريق الملاحـــظةِ وردَ في القرآن الكريم في قصةِ النبيِّ شعيبَ (عليه السلام) فقد قال تعالى: (وإلى مدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً قال يا قـــوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لكُمْ مِنْ إلهٍ غيْرُهُ قدْ جاءَتْكُمْ بـــــيِّنَةٌ مِنْ ربِّكُمْ فأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزانَ ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشْياءَهُمْ ولا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ بـعْدَ إصْلاحِها ذلِكُمْ خيْرٌ لكُمْ إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنينَ * ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وتَبْغُونَها عِوَجاً واذْكُرُوا إذْ كُنتُمْ قَليلاً فكَثَّرَكُمْ وانظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ". (الأعراف، ٨٥-٨٦)

لقد أصدرَ نبيُّ اللهِ شُعيبُ توجيهاتِهِ بناءً على مجموعةٍ من المعلوماتِ عن طريق ملاحظةِ سلوكِ قومِهِ وحذّرهُم من عاقبةِ مثل هذا السلوك.

وفي السيرةِ المطهّرةِ كانَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) في السوق ذاتَ يوم، فرأى رجلاً يبيعُ مقداراً من القمح فوضعَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يدَهُ المباركة داخلَ القمح، فشعرَ برطوبةٍ فيه، فقال له: ما هذا؟ قالَ الرجل: لقد أمطرتْ عليه الدّنيا يارسول الله! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "لماذا لم تجعلهُ من الأعلى حتى يراهُ النّاس؟ ثم قـــال: "مَن غشَّنا فليسَ مِنّا".

(الراشدي، ١٤٢٥هـ، ص ٨)

مارس الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموقف دور الملاحظ المراقب لسلوك البائع وعن طريق ملاحظة سلوكه المخالف للشريعة أخبره بطريقةٍ مباشرة أن الغش يخرجه من الإسلام، وهذا ما يسمى في التّربية بالفوريّة في إخبار المتعلم بنتائج سلوكه.

4- إختبار قدرات وكفاءة الفرد عن طريق المهمّات:

إنَّ المهماتِ الصعبة تكشفُ عن قابليّاتِ الأفرادِ ومؤهلاتِهِمُ النفسيّةِ والعقليّة، ويَظهرُ ذلك جليّاً حينَ تكونُ مناظرةٌ بين الفريقيْن، فقد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى براعةِ منطق حبيبِ النجار في محاورتِهِ للمشركينَ وذلك في قولِهِ تعالى: "وجاءَ مِنْ أقْصى المَدينَةِ رجُلٌ يَسْعَى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلينَ * إتَّبِعُوا مَنْ لا يسْأَلُكُمْ أجْراً وهُمْ مُهْتَدُونَ * ومالي لا أعْبُدُ الذي فطَرَني وإليْهِ تُرْجَعُونَ * أأتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عنّي شفَاعَتُهُمْ شيْئاً ولا يُنقِذُونِ * إنّي إذاً لفي ضَلالٍ مُبِينٍ * إنّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلْ الجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ * بِما غفَرَ لي ربِّي وجَعَلَنِي مِنْ المُكْرَمِينَ".

(يس، ٢٠-٢٧)

وردَ في كتابِ "سيرةِ المصطفى" (بعدَ أن قامَ عمرو بنُ العاص بتوزيع الهدايا على البطارقةِ وملكِ الحبشةِ بغيَةَ التأثير عليهم لتسليم جعفرٍ وأصحابه، أرسلَ النجاشيُّ إلى أصحابِ رسولِ اللهِ واستدعاهُم إليه، فلمّا جاءَهُم رسولُهُ اجتمَعوا وقال بعضُهم لبعض: ما تقولونَ للرجلِ إذا جِئتمُوه؟ قالوا نقول: واللهِ ما علِمنا إلا ما أمرَنا بهِ نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كائناً مَن كان. فلمّا دخلوا على النجاشيِّ وكانَ قد جمعَ أساقفتَهُ فنشَروا مصاحِفَهُم حولهُ اتّجهَ إلى المسلمين، وقال: ما هذا الدينُ الذّي فارقتُمْ فيه قومَكُم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين

أحـــــــدٍ من هذه المِلل. وكانَ الذّي تولّى الجوابَ عن المسلمينَ جعفرُ بنُ أبي طالب، فقـــال له أيّها الملك: كنا قـــوماً أهلَ جاهليّةٍ نعبُدُ الأصنام، ونأكلُ الميتة ونأتي الفواحشَ ونقـطعُ الأرحـامَ ونُســيءُ الجوار، ويأكلُ القـــويُّ منّا الضعيفَ فكنّا على ذلك حـــتى بـــعثَ اللهُ إلينا رســولاً مِنّا نعرفُ نســبَهُ وصـدقهُ وأمانـتَهُ وعـفّتَه. فدعانـا إلـى اللهِ لنوحّدَهُ ونخلعَ ما كنّا نعبدُ نحن وآباؤنا من الحجارةِ والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديثِ وأداءِ الأمانةِ وصِلةِ الرحـــــمِ ونهانا عن الفواحِش، وقـول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذفِ المحصَنات، وأن نعبدَ اللهَ وحدَهُ لا نُشركُ بـه شيئاً. ومضى جعفرُ يُحدّثُهُ عن أصول الإسلام وفروعِه.

فلمّا ضيَّقـوا علينا، وعذّبـونا، وقـهَرونا خرجنا إلى بـــــلادِكَ واخترناكَ على مَن ســـواكَ ورغبْنا في جوارك، ورجوْنا ألا نُظلَمَ عندكَ أيّها الملك. فقـالَ لهُ النجاشـيّ: هل معكَ شيءٌ ممّا جاءَ به عن الله، فقالَ له: نعم. قـال: فاقـرَأهُ عليَّ. فقـرأ من ســورةِ الكهف، فبكى النجاشيُّ حتى اخضلّتْ لِحيَتُهُ وبـكى معهُ الأساقـفة...). (الحسـني، ص ١٧٩-١٧٨) لقـد كانَ اختيارُ رســول اللهِ جعفراً ضمنَ هذا الوفدِ اختبـاراً لِلياقـاتِهِ وإظهاراً لبـــــــراعتِه. وكما نعرفُ فإنَّ المتحدّثَ باسمِ القومِ لابدّ أن يكونَ أقواهُم منطقـاً وحـجة، وهو ما يعرفُ باختبـارِ قابـليّاتِ الأفرادِ من خلالِ أداءِ مهامٍ تتطلّبُ مهـاراتٍ متعدّدةً فـي التفكيـرِ والاتصـالِ والقيادة.

٥- إختبار قدرات وكفاءات الأفراد ميدانياً:

في المواقفِ الحرجة، تظهرُ قابليّاتُ وقدراتُ الأفرادِ قوةً وضعفاً وقد جاءَ في القرآن الكريم أمثلةٌ متعدّدةٌ حولَ هذا الموضوع؛ منها:

"يـا أيُّهـا الذيـنَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عـلَيْكُمْ إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا عليْهِمْ ريحـــاً وجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وكـانَ اللهُ بِمـا تـــعْمَلُونَ بَصيـــراً * إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فـوْقِكُمْ ومِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ وإذْ زاغَتِ الأبْصَارُ وبـلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ وتظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونـا * هُنـالِكَ ابْتُلِيَ الـمُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَديداً". (الأحزاب، ٩-١١)

ومنها: "ولمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزابَ قـــالُوا هذا ما وعـدَنَا اللهُ ورَسُولُهُ وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ ومـا زادَهُمْ إلا إيمانـاً وتسْليمـاً * مِن المُؤْمِنيـنَ رجـالٌ صَدَقُوا مـا عـاهَدُوا اللهَ عـلَيْهِ فمِنْهُمْ مَنْ قضَى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً". (الأحزاب ٢٢-٢٣)

إنَّ هذه الآياتِ الكريمةِ تُشيرُ إلى التجربـةِ أو الاختبـارِ الميدانيِّ لتكشـفَ مؤهلاتِ الأفرادِ العقديّةِ والشخصيّةِ فالبعضُ ينهزمُ عند الخطرِ كالمنافقينَ وضِعافِ النفوس أما المؤمنونَ حقاً فيقفونَ ثابتينَ على الحقِّ لا يتزعزعون.

وفي سيرةِ الرسولِ نقرأ: (قـالَ ابـنُ هشـام - يصف معركة خيبر - إنَّ القتالَ بقيَ أيّاماً يشتدّ، والرســولُ كلَّ يومٍ يولّي رجلاً من أصحـــابِهِ ويرجعَ خائبـاً. ومضى يقـولُ ويروي عن ابـن إسحاقَ بسندِهِ إلى أبي سلمَةَ بـنَ عمرو الأكرع أنّهُ قالَ بعثَ رسولُ اللهِ أبا بـكرٍ بـرايتِه، وكانتْ بـيضاء، إلى حصون خيبـرَ فرجعَ ولم يصنعْ شيئاً، ثمَّ بعثَ في اليومِ الثّاني عمرَ بنَ الخطابِ وكان نصيبُهُ نصيبَ صاحبِه.

وفي روايةِ الطّبريِّ عن أبي بريدةَ الأسلمي أنّه لمّا خرجَ عمرُ بنُ الخطابِ بالرايةِ ونهضَ معهُ الناسُ والتقى مع أهلِ خيبرَ انكشفَ عمرُ وأصحابُهُ ورجَعوا إلى رسولِ اللهِ يجبّنُهُ أصحابُهُ ويجبّنُهُم، وظلَّ القتالُ مستمرّاً وكلما أعطى الراية إلى أحدٍ رجعَ خائباً أو فارّاً، ولمّا بلغَ الجهدُ بالمسلمينَ ونفدَ أكثرُ زادِهِم قالَ النبيُّ بصوتٍ مرتفعٍ سمعَهُ أكثرُ المسلمين: واللهِ لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه، فتطاولتْ لها قريشٌ ورجا كلُّ واحدٍ أن يكونَ صاحبَ الراية. (الحسني، ١٣٩٨هـ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠)

لقد أرادَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسِّخَ مبدأً تربويّاً هامّاً في حياةِ الصحابةِ وهو قبولُهُم باختلافِ استعداداتِهم وطاقاتِهم عن طريقِ الاختبارِ الميداني، فكلّفَهُم واحداً تلوَ الآخرَ فلمّا عجَزوا عن ذلك، كلّفَ عليّاً بالقيامِ بالعملِ الذّي عجزَ الآخرونَ عنه وفتحَ اللهُ على يديْهِ حصنَ خيبر، وهذا العملُ شبيهٌ باختبارِ القدراتِ الخاصّةِ أو الذّكاءِ والذي يتميّزُ فيه النّخبةُ ممّن حباهُم اللهُ بنعمةِ الذّكاءِ والتفوّق العقليّ.

لقد اتّضحَ ممّا سبقَ عرضُهُ أنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) مارسَ التقويمَ لسلوكِ أتباعِهِ بوسائلَ مختلفةٍ كالسؤالِ والمحاوَرةِ والملاحظةِ والمهمّاتِ العمليّةِ والاختبارِ الميداني، وأنَّ وظيفةَ التقويمِ بالأساسِ بنائيّةٌ تهدُفُ إلى إصلاحِ نقاطِ الضّعفِ وتنميةِ عناصرِ القوّةِ في الشخصيّةِ الإسلاميّة.

نتائج الدراسة وتوصياتها

وبناءً على ما تمَّ دراستُهُ في الخطابِ النبويِّ توصّلنا إلى النتائجِ الأتية :

إنَّ خطابَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يستمدُّ أصالتَهُ وشرعيّتَهُ من القرآنِ الكريمِ وهو يستندُ في كلِّ توجيهاتِهِ إلى المبادئِ القرآنيّة.

إنَّ خطابَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يتضمّنُ أبعاداً معرفيّةً ووجدانيّةً وسلوكيّةً وأنّهُ يتميّزُ بخصائصَ فريدةٍ عن الخطاباتِ التربويّةِ للمدارسِ الأرضيّة.

إنَّ خطابَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يتضمّنُ منهجاً تربويّاً متكاملاً يشملُ كافةَ الأبعادِ الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والأخلاقيّةِ والاقتصاديّةِ والفكريّةِ في حياةِ الإنسانِ المسلم.

إنَّ الخطابَ النبويَّ التربويّ يتضمّنُ فلسفةً تربويّةً متكاملةً من شأنِها أن تُسهمَ في طرحِ رؤيةٍ جديدةٍ لمفهومِ التربيةِ في عالمِنا المعاصرِ، كما يمكنُ الاستفادةُ منها في تطويرِ المناهجِ وإعدادِ المعلمينَ وإنشاءِ المدارسِ برؤيةٍ إسلاميّةٍ متقدمة.

يمكنُ توظيفُ الخطابِ النبويِّ التربويِّ في مجالاتٍ عديدةٍ في العلومِ التربويّةِ والنفسيّةِ ويمكن أن يساعدَ الباحثينَ في تأسيسِ مدرسةٍ إسلاميّةٍ خاصّةٍ ومستقلةٍ تستطيعُ أن تثري العالمَ بنتاجِها المعرفيِّ الجديد.أمّا بخصوصِ التوصياتِ فنوردُ ما يأتي:

- إجراءُ المزيدِ من البحوثِ والدراساتِ النظريّةِ والتجريبيّةِ في مجالِ التربيةِ والعلومِ الإنسانيّةِ برؤيةٍ علميّةٍ جديدةٍ تستمدُّ أصولَها من القرآنِ والسنةِ النبويّةِ المطهّرة.

- إنشاءُ مراكزَ بحثيّةٍ تُعنى بإجراءِ وتوثيقِ وتمويلِ الدراساتِ الإسلاميّةِ العلميّةِ في التعليمِ والتعلُّم، والمناهجِ، والتقويم، والإدارةِ التربويّة، وإعدادِ المعلمين.

- إصدارُ مجلاتٍ علميّة محكّمَة تهتمُّ بنشرِ البحوثِ والدراساتِ الإسلاميّةِ العلميّةِ المتخصّصةِ في مجالِ التربيةِ والعلومِ الإنسانيّة.

المصـــادر:

١-القرآن الكريم.

٢-أبـــو دف، محـــمود (٢٠٠٨)، جودة الخطاب التّربـويّ في السّنة النّبويّة:دراسة تحليليّة، ورقة مقـدمة لمؤتمر المعلم الفلسـطيني، كليّة التّربـية، جامعة الأقصى، غزة.

٣-الأعلمي، علاء الدّين (٢٠٠٢)، حكم رسول الله، بيروت: مؤسسة الأعلمي.

٤-الأميني، عبـد الحسـين (٢٠٠٨)، موسـوعة الغدير، إيران: مؤسسـة دائرة معارف الفقـه الإسلامي.

٥-الجمل، محـــمّد (٢٠٠٩)، ملامح الخطاب التّربـويّ من خلال الأحـاديث الموجهة للشبـاب وكيفيّة الاسـتفادة منه في تعليمنا الفلسـطيني المعاصر، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كليّة التّربية، جامعة غزة، غزة.

٦-الحراني، الحسن (١٩٩٦)، تحف العقول عن آل الرّسول، ط٦، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٧-الحسـني، هاشـم (١٩٧٨)، سـيرة المصطفى نظرة جديدة، ط٢، بيروت: دار القلم،

٨-الراشـــدي، لطيف (٢٠٠٤)، القـــصص الأخلاقيّة عند الشّهيد دستغيب، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٠-الزين، سميح عاطف (١٩٨٠)، مجمع البيان الحديث، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

١١-الطبرســـي، رضي الدّين (١٩٧٢)، مكارم الأخلاق، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٢-العسقلاني، علي. (١٩٥٨)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

١٣-القائمي، علي (١٩٩٥)، أسس التربية، بيروت: دار البلاء.

١٤-المشيكني، علي (١٩٩١)، مسـلكنا في الأخلاق والأصول والفروع، بيروت: دار الهادي

١٥-الناصري، محمّد (١٩٧٧)، مع الرّسـول الأعظم في حكمه ووصاياه، ط٢، بيروت: دار القلم.

١٦-النجار، هناء (٢٠٠٩)، الخطاب التّربـــــويّ الموجه للمرأة المســـلمة كما جاء في السّنة النّبـــويّة دراسة تحليليّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة التّربية، جامعة غزة، غزة.

١٧-أنيس، إبـــراهيم.، منتصر، عبـــد الحـــليم.، الصّوالحي، عطيّة.، أحمد، محمّد، (١٩٧٣)، المعجم الوسيط، المجلد الأول، بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

١٨-بن كثير، إسماعيل (٢٠٠٢)، تفسير ابن كثير، السعودية: دار طيبة

١٩-عبد الباقي، محمّد (٢٠٠٠)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، قم: منشورات ذوي القربى.

٢٠-غالب، حنا (١٩٧٠)، التّربية المتجددة وأركانها، (ط٢)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

٢١-فرهاديان، محـمّد (١٩٩٧)، أسـس التّربـية والتعليم في القرآن والحديث، قم: مكتب الإعلام الإسلامي.

٢٢-قـــطب، ســـيد (١٩٨٠)، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القاهرة: دار الشروق

٢٣-نجاتي، محـمّد (١٩٨٢)، القـرآن وعلم النّفس، القاهرة: دار الشّروق.

٢٤نصار، أسعد (٢٠١٠)، طرق الاتصال التّربـويّ: دراسـة موضوعيّة في الحديث النّبـويّ، مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونيّة والاقتصاديّة، جامعة دمشق، العدد الثاني، م(٢٦)، ٤٢٥-٤٥٨.

25- Mohammed, A، (2000) ، A Theory of Enactment: The Case of a First-Grade Teacher, Unpublished Doctoral Dissertation, University of Arizona, Arizona, USA.

26- Moore, T، (1987) ، The Nature of Educational Theory، in J، Eggleston (Ed).Theory and Practice of Curriculum Studies (pp.9-18).London: Routledge & kegan.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

القيم الخلقية
القسم الثالث (الأخير)

السيد محمد جواد مرهون – البحرين

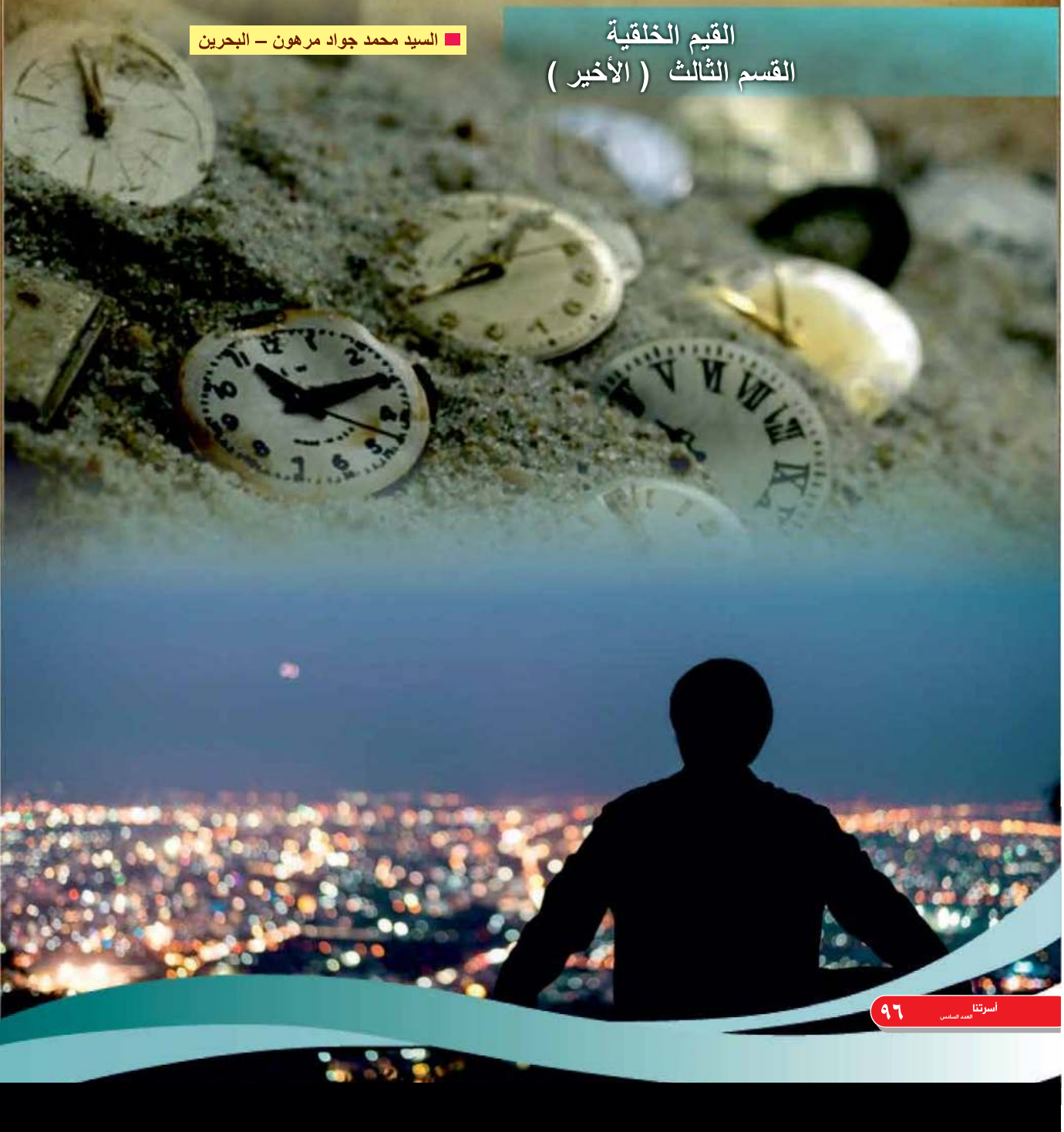

حينما أنظرُ إلى نفسي أجدُها عاجزةً عن أن تكتبَ عن عظمةِ إنسانٍ اصطفاهُ اللهُ تعالى ليكونَ أفضلَ وأشرفَ المخلوقاتِ مزيَّناً بكمالِ الخُلق والخَلق ليُظهرَ قدرتَهُ وعجائبَ خلقتِه... لكن حينَ أنظرُ بساطة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآدابَهُ وسهولة عيشِهِ وحُسنَ معاشرتِهِ وتلطّفَهُ بأتباعِهِ وشفقتِهِ على الجهلاءِ من أمّتِهِ ورحمتِهِ على الضعفاءِ والمساكين وصفحِهِ عن المُخطئين، أتوقُ إلى أن أغرفَ من نهرِ عظمتِهِ شيئاً ممّا يروي ظمأَ نفسي وأوقظَ به غفلة عقلي، ولعلي أجدُ ضائعاً فأهديهِ أو باحثاً فأوفيهِ أو طالباً فأعطيهِ لأنَّ روحي لامستِ الطهرَ وقلبي تمرّغَ بالحبّ، وعقلي أُصيبَ بالاندهاش، وخالطتُ الرحمة النبويّة واللطفَ المحمّديَّ والصفحَ الرساليَّ والأخلاقَ السامية، وتزيّنتُ بالحلمِ وتزوّدتْ بالعلمِ حين عشتُ أجواءَ القربِ من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهنيئاً لمن رآهُ وصاحبَهُ وقبّلَهُ وسمعَهُ وصلّى وراءَهُ وجاهدَ بجانبه.

إعتمدتُ في بحثي على:

١ وصفِ القيمةِ الخلقيّةِ معتمِداً على أقوال الرسول وأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين).

٢ نبذةٍ عن حياةِ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومواقفِهِ التي فيها يبرزُ هذا الخلق.

٣ أن أعكسَ هذه القيمةِ على واقعِنا المجتمعيِّ والأسري لكي نأخذَ منها الدروسَ والعِبَر.

لأكونَ مشاركاً في نُصرةِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) قبالَ مَن يتطاولُ على شخصِهِ الكريمِ من خلال بحوثٍ يشاركُني فيها أحبّة من المتخصصين، كلٌ في مجال تخصّصِه.

وبما أنَّ تخصّصي هو الإرشادُ الإجتماعيُّ والأسريُّ، فقد سلّطتُ الضوءَ على بعض القيَمِ العاليةِ التي تتحلّى بها شخصيّةُ نبيِّ الرحمة، وأجدُها أكثرَ حاجةً لنقتديَ بها ونجعلها حاضرةً في حياتِنا لتنقلنا من الحيْرةِ إلى الرشادِ ومن اليأس إلى الأمل ومن الحقدِ والكراهيّةِ إلى التسامُحِ والمحبّة.

والله وليُّ التوفيق...

الحلم سيد الخلاق

"اللهمَّ اهدِني لأحسَنِ الأعمالِ وأحسَنِ الأخلاق، لا يَهدي أحسَنَها إلا أنت، وقِني سيّئَ الأعمالِ وسيّئَ الأخلاق، لا يقي سيّئَها إلا أنت".

هكذا يدعو الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الممدوحُ بالخلُق العظيم "وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيم"، وإنّنا نقرأ في أحاديثِ السيرة: رجلان آمَنا وهاجَرا ودخَلا الجنّة، فرفعَ أحدُهُما على صاحبِهِ كما ندى الثريّا، فقال: بما فضلتَهُ عليَّ يا رب؟ قال: إنّهُ أحسنُ منكَ خلُقاً.

لهذا أشيدَ بصاحبِ الأخلاق الممدوحةِ؛ "طوبى لمَن حسَّنَ مع الناس خلُقَه". ولما سئل صلى الله عليه وآله عن أكثرِ ما يُدخلُ الجنّة قال: "تقوى اللهِ وحُسنُ الخلُق"، وقال: "إنّكم لن تسَعوا الناسَ بأموالِكم فسَعُوهُم بإخلاقِكم"، وقالَ ينصحُ قومَهُ ويغذّيهم بمعالي القيَم: "إنَّ أقربَكُم مني غداً وأوجبَكُم عليَّ شفاعةً أصدقُكم لساناً، وأدّاكُم للإمانةِ وأحسنُكُم خلُقاً وأقربَكُم من الناس". بل ما من شيءٍ أثقلُ في الميزان من حُسنِ الخلُق، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يردّدُ "أنا أديبُ اللهِ وعليٌّ أديبي"، لذا فلنُصغي إلى أديبِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) في (سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) وهو يقول: "حُسنُ الأخلاق يُدرُّ الأرزاقَ ويُؤنِسُ الرفاق"، و"مَن حَسُنَ خلُقُهُ كثُرَ محبّوهُ وأنِسَتِ النفوسُ به"، وقال أيضاً: "أحسَنُ الحسَنِ الخُلُقُ الحسَن".

ولكن ما هي هذه الأخلاقُ التي استفاضَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهلُ بيتِهِ الكرامُ في الحثِّ عليها وجعلَ اللهُ ثوابَها أثقلُ الأعمالِ في الميزان، إنّها كلُّ فضائلِ الخيرِ من قولٍ وفعل، إنّها التواضعُ والبشاشةُ والابتسامةُ والمودّةُ والتعاونُ والتعاضدُ والكرمُ والإيثارُ والبذلُ والتسامحُ والعفوُ، والقائمةُ تطولُ بالصفاتِ التي تسمو بالنفس ويستحقُّ معتنقُها لقبَ "مسلم".

هنا يتدخلُ مولانا الإمامُ جعفرُ بن محمّدٍ الصادق إذ يخاطبُ أتباعَهُ وشيعتَهُ بالقول "كُونوا زَيْناً لنا"، وكذلك: "عليكُم بمكارمِ الأخلاق فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحبُّها وعليكُم بحُسنِ الخلُق فإنّهُ يبلغُ صاحبَهُ درجةَ الصائمِ القائم"، فقالَ رجلٌ للصادق (عليه السلام): أخبرني بمكارمِ الأخلاق، قال: "العفوُ عمّنْ ظلمَك، وصِلَةُ مَن قطعَك، وإعطاءُ مَن حرمَك، وقولُ الحقِّ ولو على نفسِك". وقال (عليه السلام): "مَن أرادَ أن يُدخلَهُ اللهُ في رحمتِهِ ويُسكنَهُ جنّتَهُ فليُحسِّن خلُقَهُ وليُعطِ النصفَةَ وليرحَمِ الضعيفَ وليتواضعْ للهِ الذي خلقَه".

إذا كانت هذه الأخلاقُ فما هي فضيلةُ سيدِها، حيث يقرّرُ من يقطرُ خُلُقاً والذي يقول: "إنّما بُعِثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق"، إنّه يقدرَ ويقول: "الحلم سيد الأخلاق".

والحِلمُ هو باقةٌ متنوّعةٌ من الأخلاق تتألفُ من الصبرِ وكظمِ الغيظِ والعفوِ والصفحِ والتسامحِ والأناةِ وضبطِ النفسِ والرحمة.

والحلمُ لا يمتلكُهُ إلا راجحُ العقل، وأبدأ بما جاء في قاموس المعاني من تعريف للحِلم.

الحِلم: الأناةُ وضبطُ النفس.

الحِلم: العقل.

ويصرفُهُ البعض: الحِلمُ هو العقلُ وكمالُ

الرأي، المتضمّنُ كمالَ الصبر.
الحِلم: تواضعٌ مع رجاحةِ العقل.
وفي وصفِ الخصالِ العشرةِ للعاقل لرسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يبدأ بالحِلم فيقول: "صفةُ العاقل، أن يحلِمَ عمّنْ جهلَ عليه، ويتجاوزَ عمّنْ ظلمَه".
ويقولُ أميرُ البلاغةِ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام): "الحِلمُ غِطاءٌ ساتِر، العقلُ حُسامٌ باتِر، فاستُرْ خللَ خُلُقِكَ بحِلمِك، وقاتِلْ هواكَ بعَقلِك".
ويقولُ نبيّنا محمّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ موسى لقيَ الخضرَ فقال: أوصِني، فقال: وطِّنْ نفسَكَ على الصبرِ تلقَى الحِلم، وأعرِضْ عن الجُهّال، واحلُمْ عن السفهاء، فإنَّ ذلك فضلُ الحُلَماء، وزيْنُ العُلَماء، وإذا شتمَكَ الجاهلُ فاسكُتْ عنهُ سلماً، وجانِبْهُ حزْماً، فإنَّ ما بقيَ من جهلِهِ عليكَ وشتمِهِ إيّاكَ أكثر. الرجالُ ثلاثة: عاقلٌ وأحمقُ وفاجر، فالعاقلُ الدينُ شريعتُه، والحِلمُ طبيعتُه، والرأيُ سجيّتُه، إن سُئلَ أجاب، وإن تكلّمَ أصاب، وإن سمعَ وعى، وإن حدَّثَ صدَق، وإن اطمَأنَّ أحدٌ إليهِ وفى.[1]
هنا نصلُ إلى النتيجةِ الثانية؛ إنَّ الحِلمَ يعني الصبرَ مع رجاحةِ العقلِ مقابلَ الحماقةِ وغلبةِ الجهل، أي ما يتعرّضُ له الحليمُ من أذى إنّما مصدرُهُ جاهلٌ أحمق، وقالَ أحدُ أصحابِ الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): أوصني، قال: "أوصيكَ بتسعةِ أشياء، ثلاثةٌ في الحِلم، فمَنْ قالَ لكَ إن قلتَ واحدةً سمِعتَ عشراً. فقُلْ إن قلتَ عشراً لم تسمَعْ واحِدة.

ومَن شتمَكَ فقُلْ لهُ إن كُنتَ صادِقاً فيما تقولُ فاسألُ اللهَ أن يغفِرَ لي، وإن كُنتَ كاذِباً فيما تقولُ فاسألُ اللهَ أن يغفِرَ لك. ومَن وعدَكَ بالخَنى (أي الفُحش) فعِدْهُ بالنصيحَةِ والدُّعاء".[2]
وسُئلَ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) عن الخيرِ ما هو؟ فقال: ليسَ الخيرُ أن يكثُرَ مالُكَ وولدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يكثُرَ عِلمُكَ ويعظُمَ حِلمُك".[3]
وقال (عليه السلام): الحِلمُ يغلِبُ الغضَب، والرحمةُ تغلِبُ السخَط، والصدَقةُ تغلِبُ الخَطيئة.
وقال (عليه السلام): "الحِلمُ عشيرة" و"الحِلم عزّ".
وبعد أن يدعوَ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) الناسَ بالتحلّي بالحِلم، يدعو ربه فيقول:
فيا ربِّ زِدْني اليومَ حِلماً فإنّني أرى الحِلمَ لم يندَمْ عليهِ حليم
"لا تُمارِيَنّ حليماً ولا سفيهاً، فإنَّ الحليمَ يغلِبُك، والسفيهَ يُؤْذيك".[4]
وسُئلَ الأحنفُ بنُ قيسٍ الذي لُقّبَ بأحلمِ العربِ عن الحِلم، فقال: أن تصبرَ على ما تكرَهُ قليلاً.
وقالَ أيضاً: ليسَ فضلُ الحِلمِ أن تظلِمَ فتحلِم حتى قدرتَ انتقَمْت، ولكنّهُ إذا ظلمتَ فحلِمتَ ثمَّ قدرتَ فعفَوْت.
ونختمُ بقولِ صاحبِ الخُلقِ العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ قالَ لأشجِّ عبدِ القيس: "إنَّ فيكَ خصلتيْن يحبُّهُما اللهُ ورسولُهُ؛ الحِلمُ والأناة".[5]

الرسول سيد البشر و الحلم سيد الأخلاق

من المعلوم أنَّ الرسولَ الأكرمَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كانَ قبلَ البعثةِ محبوباً في قومِهِ لحسن أخلاقِه وسيادةِ عشيرتِه، بني هاشم، وأنَّ تكليفَهُ بالرسالةِ جاءَ حينَ اكتملَ رُشدُهُ ووعيُهُ، فهو معدٌّ لتبليغ رسالتِه.

هو يعرفُ حقَّ المعرفةِ ماذا تعني رسالتُه، إذ أنّهُ يدعو برسالتِهِ إلى أنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ له، مفنداً دعاوى قومِهِ بتعدّدِ الآلهةِ أو الأصنام، ولابد أن تكون ردّةُ فعلهم غايةً في القسوةِ والطيش، وعليهِ تحمّلَ مسؤوليّة الدعوةِ وتحمّلَ تبعاتِها المتوقعة. وهكذا صبرَ كما صبرَ أولو العزمِ من الرسُل، لكن لا يمكنُ أن نُطلِقَ على صبرِهِ حِلماً، لأنّهُ في الموقفِ الأضعَف، لأنَّ ليسَ في موقفِ القوّةِ التي تؤهّلُهُ للصفح والتجاوُزِ اللذين ينطبقان على الحِلم، حتى صفحه عمّن آذاهُ من قريشٍ يومَ الفتح قائلاً لهم: إذهَبوا فأنتمُ الطلقاء. إنّهُ صفحٌ عظيمٌ وعفوٌ عندَ المقدِرة، وإن كانت هاتان الخصلتان تندرجان تحتَ صفةِ الحِلم. إنَّ الموقفَ الذي أطلقَهُ فيه هو موقفُ الظفَرِ ونشوةِ النصر، لكنَّ المشركينَ في المقابل على خوفِهِمُ الشديدِ وارتباكِهِم في موقفِهِمُ الذليل كانوا يُحسِنونَ الظنَّ بهِ لما ألِفوهُ عنهُ وعرفوهُ واختبَروهُ، فقالوا له: أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم. فقال: إذهَبوا فأنتُمُ الطلقاء.

نماذج من حلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

"واللهُ غفورٌ حليم"، يرى المفسرونَ عندَ عرضهم لمفردةِ الحليم في هذا المقطع من آيةِ سورةِ البقرةِ المباركةِ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى صاحبُ الصفح والأناةِ لا يحبسُ أفعالَهُ وأفضالَهُ عن عبادِهِ لأجلِ ذنوبِهم وعِصيانِهم، وهو الصفوحُ مع القدرَة، المُتأنّي الذي لا يعجَلُ بالعقوبة، ويستعتبُ العبادَ كي يتوبوا، ويُمهلُهم كي يُنيبوا.

يقولُ نبي الرحمة: "هكذا أدَّبَني ربّي فأحسَنَ تأديبي" وحين سُئلتْ زوجُهُ عائشةُ عن خُلُق الرسول الأكرم قالت: (كان خُلُقُهُ القرآن).

وقال ابنُ كثيرٍ رحمَهُ اللهُ في تفسيره: ومعنى هذا أنّهُ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ صارَ امتثالَ القرآن أمراً ونهياً وسجيّةً لهُ وخُلقاً، فمهما أمرَهُ القرآنُ فعلهُ ومهما نهاهُ عنهُ تركَه، هذا ما جبَلَهُ اللهُ عليهِ من الخُلُق العظيمِ من الحياءِ والكرمِ والشجاعةِ والصفحِ والحِلمِ وكلِّ خُلُقٍ جميلٍ وهو القائلُ (صلى الله عليه وآله وسلم) "حُسنُ الخُلُق خُلُقُ اللهِ الأعْظَم"(٦)، لذلك حثَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على التشبّهِ بأخلاق اللهِ تعالى "تخلّقوا بأخلاق الله".

لذلك دعُونا نرى حِلمَ الرسولِ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) المتشبِّهِ بمعنى "الحليم" جلَّ جلالُه.

عادَ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيتِه، وحينما اقتربَ من حُجرتِه، وما يُظنُّ إلا أنه كانَ تعباً بعدَ يومٍ قضاهُ كسائرِ أيامِهِ في دعوتِهِ وإبلاغِ رسالتِه.. عادَ مجهودَ البدن، مجهودَ النفس بعدَ أن بذلَ للناس خُلُقَهُ وفضلَه وبرَّه، عادَ لبيتِهِ وهو أحوجُ ما يكونُ إلى مُستراحِه وأنسِه، ليريحَ نفسَهُ وبدنَه. كانَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يسيرُ وقد ارتدى رداءَ النجرانيّةِ غليظَ

الحاشِيَة، حتى أدركَهُ أعرابيٌّ فجذبَ طرفَ ردائِهِ من خلفِهِ جذبةً شديدةً فاجأتِ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) واختلَّ توازنُهُ على أثرِها وتقهقرَ إلى الخلفِ حتى رجعَ في نحرِ الأعرابي، وكانَ من أثرِ هذهِ الجذبةِ الشديدةِ أن غاصتْ حاشيَةِ الرداءِ في عنقِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلسَ أنسُ ينظرُ في عنقِهِ الشريف. كان عنقُهُ أبيضَ وضاءً كأنّهُ إبريقُ فضةٍ فإذا حاشيَةُ الرداءِ قد أثّرتْ في صفحةِ عنقِهِ من شدّةِ جذبِ الأعرابيّ، لقد كان من المتوقعِ أن يعتذرَ الأعرابيُّ عمّا جرى ويتأسّفُ عمّا حدث، وأن يتلطّفَ للنبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) طالِباً عفوَه، لكنَّ هذا ليسَ الذي جرى، بل بعدَ هذا كلّهِ نادى الأعرابيُّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: يا محمّد، يا محمّد! سبحانَ اللهِ، يا لهُ من نداءٍ جاف.

يقولُ ربُّ العزّة في سورة النور: "لا تجْعَلوا دُعاءَ الرسولِ بينَكُمْ كدُعاءِ بعضِكُمْ بعْضاً"، وهذا الأعرابيُّ يناديهِ باسمِه، ليسَ ذلكَ فحسب بل طلبَ الأعرابيُّ وقال: أعْطِني من مالِ اللهِ الذي عندَك.

إنّهُ عينُ الجفاء، أنظروا يا عبادَ الله، وتفكروا في الإنفعالِ المحتملِ الناجمِ عن مثلِ هذه الأفعال؛ الجذبةُ الشديدةُ أرجعتِ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الوراء، وشقّتِ الرداءَ وأثّرتْ في صفحةِ العنُق الشريف، ثمَّ نداءُ الجفاءِ وطلبٌ بشدّةٍ وحدّة.

فتأمَّلوا وتخيَّلوا أيَّ حريقٍ من الغضبِ يكونُ واحداً منها لاشتعالِهِ في القلبِ فكيفَ بها مجتمِعَة؟!

أمّا نبيُّنا وحبيبنا وقدوتُنا (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كانتْ ردّةُ فعلِهِ يَعجبُ منها حتى العجَب...

خُلُقٌ سما وارتقى إلى أفُق العظمةِ المحمّديّة..

إلتفتَ ولم يُعرِض، ضحِكَ ولم يتهجَّم، أحسنَ ولم يُعاقِب. يقولُ أنسُ (رض) وهو شاهدٌ هذا المشهد: فالتفتَ إليهِ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ضحِكَ ثمَّ أمرَ لهُ بعَطاء.

سبحانَ الله، إنتهى الموقفُ والحدَثُ والحديث، لكنّنا بحاجةٍ إلى أن نعيدَهُ ونكرّرَهُ بصمتٍ وتأمّل، وفكرٍ مستغرقٍ حتى تشربَهُ كلُّ خلايا الجسمِ والوجدان.

وفي حادثةٍ مماثلةٍ أدركَهُ إعرابيٌّ وهو خارجٌ من المسجدِ ليدخلَ بيتَه، فقال: يا محمّد! إحمِلني على بعيريْنِ فإنك لا تحملُني من مالِكَ ولا من مالِ أبيك، وجذبَ بردائِهِ حين أدركَهُ فاحمرّتْ رقبتُه، فقالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): لا وأستغفرُ الله، لا أحمِلُكَ حتى تقيّدُني. قالها ثلاثَ مراتٍ ثمَّ دعا برجلٍ فقالَ له: إحمِلهُ على بعيريْن، على بعيرِ شعيرٍ وعلى بعيرِ تمر. (٧)

إنَّ لهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحِلمِ كما لهُ من كلِّ خُلُقٍ كمالُه، ونجدُ حلمَهُ عجيباً دوماً يفوقُ الحدَّ الذي يتصوّرُهُ الإنسانُ خاصّةً وأنَّ حِلمَهُ مع القدرةِ على العقوبةِ وعلى الردِّ ولكنَّه كانَ يتحمّلُ ويحلمُ حتى أنّكَ تراهُ الحِلمَ مجسَّماً.

وتتوالى الأحداثُ ويتكرّرُ المشهدُ ويستمرُّ الأذى النفسيُّ والجسديُّ وتتنوَّعُ أساليبُ محاولاتِ الاغتيالِ وتصفيةِ نبيِّ الرحمة، ويقفُ الصحابةُ سداً منيعاً لحمايتِهِ والذودُ عنه.

إنَّ ما يتعرّضُ إليهِ من اعتداءاتٍ وتجاوُزات، تُشعلُ نيرانَ الغضبِ في نفسٍ وتُثيرُ ردّةً غاضبةً لكنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتعاملْ مع المثيراتِ بقانون الفيزياء، لكلِّ فعلٍ ردّةُ فعلٍ مساويةٌ لهُ في القوّةِ معاكسةٌ لهُ في الاتجاه، كلا.. تعاملَ بقانونٍ آخر، إنّهُ قانونُ العظمَةِ الإلهيّةِ (وإنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عظيمٍ)، فهو الذي يقول لمَن يستوْصيه: لا تغضب، ويكرّرها له مراراً ويقول: "إنَّما الشديدُ الذي يملكُ نفسَهُ عندَ الغضب".

نعم إنّهُ يُرشِدُ ويطبّق، يدعو إلى الفضائلِ قولاً ويترجمُها عملاً، وإنَّ صحابتَهُ معهُ ملتصِقونَ بهِ يسجّلونَ كلماتِهِ ويرصدونَ حركاتِهِ وسكناتِهِ في دراسةٍ مستفيضَةٍ مستمِرّة، وكلُّ مَن يغيبُ عن دروسِهِ أخذَهُ ممّن حضرَ حتى مدحَ اللهُ جلَّ جلالُهُ أمّتَهُ قائلاً: "كُنتُم خيرَ أمّةٍ أخرجَتْ للناس".

ولاشكَّ أنَّ هذا الدرسَ النبويَّ العظيمَ في ميدان الحِلمِ يُطفئُ نورَ الغضبِ في قلوبنا ويسكبُ معينَ السكينةِ في نفوسِنا ويجعلُ زمامَ انفعالاتِنا بأيدينا بدلَ أن تكونَ أفعالُنا بيدِ أنفعالاتِنا.

التحكّم بالمفاتيح

نجدُ في حديثين للإمامين الصادقيْن (عليهما السلام) عن الغضبِ أحدُهُما يُوصلُنا إلى الجنّةِ والآخرُ إلى النار، إذ قالَ الصادقُ (عليه السلام): "مَن ملكَ نفسَهُ إذا رغِبَ وإذا رهِبَ وإذا غضِبَ وإذا رضِيَ حرّمَ اللهُ جسدَهُ عن النار"، ويقولُ والدُهُ الباقرُ (عليه السلام): "إنَّ الرجلَ ليغضَبُ حتى ما يرضى أبداً ويدخُلَ بذلكَ النار"(٨)

إذا تملّكنا الغضبَ كسبْنا الجنّة، وتملّكُ الغضبِ لأنفسِنا يؤدّي بها إلى النار، فـ"الغضبُ مفتاحُ كلِّ شرّ" وبأيدينا أن نُغلقَ أبوابَ الشر.

العنف الأسري

إنّهُ عنوانٌ يطغى الآنَ على كثيرٍ من الكتبِ والدراساتِ والمقالاتِ والتحقيقاتِ الصحفيّةِ والبرامج الأسريّة، الإذاعيّةِ منها والمرئيّة، وأكثرُ هذه الممارساتِ العنيفةِ يقومُ بها الرجلُ ضدَّ المرأةِ أو الأطفال، وتعدّدُ أسبابِ هذا العنفِ وتنوّعِ أساليبِهِ يُفضي بنا إلى نتيجةٍ مفادُها عدمُ القدرةِ على إغلاقِ بابِ الشرِّ، أي العجزُ عن السيطرةِ على الغضبِ والتحلّي بالصبرِ والحِلمِ وإيجادِ حلولٍ ناجعةٍ لحلِّ المشاكلِ الطارئةِ أو المتراكِمة.

ماذا يحصلُ عندما يتملّكُنا الغضَب؟

١- يُفرزُ المخُّ مادةَ الأورينالين كمحفّزٍ للجهازِ التنشيطيِّ الشبكيّ.

٢- يحثُّ الجهازُ التنشيطيُّ الشبكيُّ الخلايا العصبيّة على العملِ بسرعةٍ أكبرَ مرتيْن أو ثلاثَ مرّاتٍ عن المعدّلِ الطبيعيّ، وعندما يزدادُ نشاطُ المخِّ بهذه الطريقةِ تتسارَعُ أفكارُنا وتزدادُ مدّةُ انفعالاتِنا.

٣- عندما يزيدُ نشاطُ المخِّ بهذه الطريقةِ تتسارعُ أفكارُنا وتصبحُ مشوّشَةً مما ينتجُ عنه ضعفُ الذاكرةِ وضعفُ القدرةِ على التفكيرِ النقدي، ممّا يؤدّي بنا إلى الاندفاعِ أو التهوّرِ واتخاذِ قراراتٍ حمقاء.

٤- إنَّ هذه القـــرارات الحمقـــاءَ المصحوبـة بـالاندفاع والتهوّر تقـودُنا إلى العنفِ النفســيِّ من خلال الألفاظِ القاسيةِ والبذيئةِ أو العنفِ الجسديِّ من خلال الاعتداءِ بالضربِ الجنوني.

وحـــين الغضب، تتكرّرُ موجاتُ المخِّ وتزدادُ وتيرةُ القـــلق، فيرتفعُ ضغطُ الدمِ وتزيدُ ســرعةُ التنفسِّ وتتوترُ العضلات، في علاقةٍ مترابطةٍ بين العقل والجسم، لذلك فإنَّ تعليماتِ الرسـول (صلى الله عليه وآله وسلم) لمقـاومةِ الغضبِ عن طريق تغيير وضعيّةِ الجسمِ حـين يقـول "إذا غضِبَ أحـدُكُم وهو قـائمٌ فليجلِسْ فإن ذهبَ عنهُ الغضبُ وإلا فليضْطَجِع". ويقـول: "يا عليُّ لا تغضَبْ فإن غضِبـتَ فاقـعُدْ وتفكّرْ في قـدرةِ الربِّ على العبـادِ وحِلمِهِ عنهُم، وإذا قـــيلَ لكَ اتقِّ اللهَ فانبذْ غضبَكَ وراجعْ حِلمَك".

ويعرّفُ العنف: إلغاءٌ للعقـــل ورفضُ الحـوار واستبـعادٌ للآخر، وهو ســلوكٌ قسـريٌّ غايتُهُ الحـدُّ أو الوقـوفُ في وجهِ حريّةِ الآخر.

وقـد أظهرتْ دراسـة ميدانيّة أجريتْ في البحـرين عام ٢٠٠٣م على ٦٠٠ سـيدة متزوجة، مايأتي:

- إنَّ ٢٩,٤ % من النســـاءِ المتزوّجاتِ تعرّضنَ للعنفِ من قِبَل أزواجهن.
- إنَّ ٧١ % من أطفال النســـاءِ المتعرّضـاتِ للعنفِ يعانونَ مـن مشاكلَ سلوكيّةٍ مختلِفة.

وحـــين يدرسُ الاختصاصيّونَ الاجتماعيّونَ في المدارس حـــالاتِ الطلبـــةِ المضطربـــينَ ســـلوكيّاً والعدوانيينَ يصلونَ بسهولةٍ إلى أنّهُم معنَّفونَ في أسـرهِم وأنّهُم يمارسـونَ العنفَ انتقاماً من ذويهم.

ويؤدّي العنفُ غالباً إلى الطلاق حـيث وُجِدتِ النسبةُ مقاربة بين نسَبِ العنفِ ونسَبِ الطلاق، وقـد بلغتْ نسبـةُ الطلاق في البحـرين ٣٤% عام ٢٠٠٥م بـــينما تراجعت في عام ٢٠١٢ إلى ٢٧%، وفقا لجريدةِ الوسط.

وتقـولُ الدراســةُ إنَّ ٨٩ % من المطلّقـاتِ تعرّضنَ للعنفِ من قِبَل أزواجهنّ، كما تقـولُ الدراساتُ النفسيّةُ والأسريّةُ

إنَّ أغلبَ المعنَّفينَ أو الذين عاشـوا في أُسـرٍ مضطربـةٍ يعزفونَ عن تكوين أُسـرٍ أو إعادةِ النتائج،نفسـها أي أنَّ الأبـناءَ الذين ينشـأونَ في أُسرٍ معزولةٍ يكونونَ نواةً لأُسرٍ مضطربـةٍ في المستقبل.

إنَّ على الإنسان أن يُعاهدَ اللهَ على القضاءِ على منفذٍ واسعٍ من منافذِ الشـيطان إلى الوجودِ ألا وهو الغضَب.

العنف السياسي

يقالُ إنَّ المُلكَ يستقيمُ مع الكفر ولا يستقيمُ مع الظلم.

الرسالةُ المختصرةُ التي نوجّهُها إلى الحكام في عالمِنا العربيِّ والإسلاميّ هي أنَّ الظلمَ والقهرَ والتمييزَ والاعتقالَ والتفقيرَ والتجهيلَ وغيرَها من أساليبَ وأدواتٍ تمارسونَها ضدَّ الشعوب، فإنّها تولدُ بيئةً حاضنةً للأرهابِ تهدّدُ العالمَ بأسره.

العنف الطائفي

ومن هنا نتوجّهُ إلى مَن يسمَّوْنَ بعلماءِ الأمةِ ومَن لهم حقُّ الفتوى والكلمةُ المتّبَعة من جيلٍ سلبتموهُ الوعيَ والعلمَ والرأيَ ووجّهتموهُ بشكلٍ مباشَرٍ أو غيرِ مباشَرٍ لينهيَ حياتَهُ وحياةَ جمعٍ من المسلمين، ربّما اختلفوا معكُم في بعضِ فروعِ الدينِ الواحدِ المشتركِ الذي يدعو إلى المحبّةِ والتآخي ونشرِ الإسلام.

إنَّ العنفَ الأبويَّ الذي يجعلُ من البيتِ جحيماً، ويجعلُ الأبناءَ يحتمونَ بالشارعِ ملاذاً وعوناً، والسلطاتُ الحاكمةُ التي تُعطي همَّها الأكبرَ للحفاظِ على تميّزها واستئثارها بكلِّ خيراتِ الوطنِ فهي تملكُ العبادَ والبلادَ وتقفُ في وجهِ أيِّ إصلاحٍ يُعيدُ للمواطنِ كرامتَهُ والنزرَ اليسيرَ من حقوقِه، وحينَ يجتمعُ العُنفانِ السلطويّان؛ سلطةُ البيتِ وسلطةُ الحكمِ فإنَّ بعضَ المعنَّفينَ يجدُ في الدينِ خلاصاً وعلاجاً وأملاً، ولكن سرعانَ ما يكونُ بعضُ هؤلاءِ المستجيرينَ بالذنبِ لقمةً سائغةً للمتطرّفينَ ليكونَ مشروعاً انتحارياً تختلطُ أشلاؤهُ بأشلاءِ ضحاياهُ في بيتِ اللهِ راجياً اسقبالَ الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لهُ ليشاركَهُ مائدةَ طعامِهِ في الجنة.

العنف الإعلامي

إنَّ الدراساتِ السابقةِ التي تناولت أثرَ وسائلِ الإعلامِ في بثِّ ثقافةِ العنف، وذلك من خلالِ الأفلامِ والمسلسلاتِ وما تحتويهِ من مقدارِ وكيفيّةِ العنفِ المؤثرِ خصوصاً على الأطفالِ ودراسةِ الساعاتِ التي يقضيها الطفلُ في مشاهدةِ هذه القنوات، وأيضاً من خلالِ نشراتِ الأخبارِ التي تهتمُّ بالحروبِ والمآسي التي تنشترُ في عالمِنا المتأزم، أضف إلى ذلك اليوتيوب والوتس آب والإنترنت والهاتف النقال وهو ينقل فيما ينقل إلينا من مشاهد ربما تأنف القنواتُ التلفزيونيةُ من بثها لكي لا تدمي قلوبَ مشاهديها وتذهلَ عقولُهُم حينما يرونَ مجموعةً من المسلمين تكبرُ وهي تقطعُ رؤوسَ أسراها وضحاياها بالسيوفِ أو تهشّمَ رؤوسَهُم بالفؤوس في منظرٍ تقشعرُّ له الأبدانُ وتصعقُ العقولُ لهولِ الحدَثِ وكآبةِ المنظر.

وتجيء الطامّةُ الكبرى لقنواتٍ تبذلُ الأموالَ الطائلة لنشرِ الكراهيّة والتحريض وتمارسُ الكذبَ والتشويهَ لمذاهبَ تشاركُها الدينَ وتنشرُ من خلالِها إباحةَ القتلِ والإبادة، وهكذا يكون الإسلام مشوهاً منتهجاً للموتِ والدمارِ والهمجية.

ومن خطبةِ الجمعة لسماحة الشيخ حسن الصفار، والتي حملت عنوان: الإعلام الطائفي وتفجير الصراعات، نقطتف فقرتين.

"إنَّ من الظلمِ وصفَ الآخرَ المختلفَ فكرياً، أو المغايرَ دينياً، لما ليس فيه فإذا ما وُصِفَ أحدٌ الآخرينَ المختلفينَ عنهُ في الدين أو المذهبِ أو الفكر أو الانتماءِ بما ليس فيهم، فقد تجنّى عليهم وظلمَهُم، الأمرُ الذي يجرُّهُ بطبيعةِ الحالِ إلى مستنقعِ الكذبِ وفقدانِ المصداقيّةِ في أعينِ الناس، لأنّه خالفَ الحقيقة، كما أنَّ ذلك سيكون سبباً لإغضابِ الطرفِ الآخر، وبالتالي إثارةِ الضغائنِ والأحقادِ بين الناس".

"إنَّ السماحَ بوجودِ هذه المنابرِ الإعلاميّةِ التحريضيّةِ هو الذي يتسبّبُ بالخلافاتِ الطائفيّةِ بين الفينةِ والأخرى، وقد عاشتْ

بلادُنا في الأيامِ الأخيرةِ مشكلةٌ من هذا النوع حيث بثّتْ إحدى القنواتِ الفضائيّةِ المحليّةِ برنامجاً عن طائفةٍ من الطوائفِ الدينيّةِ في المملكة، وهم الأسماعيليونَ في نجرانَ والذين يقاربُ عددُهُم المليونَ نسمةٍ بحسبِ تقديرات، وهم مواطنونَ يشاركونَنا دينَنا ووطنَنا، ويعترضونَ بأركانِ الدين ويختلفونَ في بعضِ الأمورِ العقليّةِ والفقهيّةِ مع السنةِ وكذلك مع الشيعة. وقد عملتْ هذه القنواتُ الفضائيّةُ برنامجاً تجاوزَ العشرينَ حلقةً تعمّدوا خلالَهُ نبشَ الخلافاتِ المذهبيّةِ وتحدّثوا بكلامٍ غيرِ مقبولٍ وقالوا كلاماً فاحشاً ضدَّ هذه الطائفةِ وضدَّ زعيمِها الذي يبلغُ من العمرِ نحوَ تسعينَ عاماً، حيث قالَ أحدُ المتحدثينَ علناً بما مضمونُهُ أن الإسماعيليّة إذا زارَهُم زعيمُهُم الدينيُّ يقدّمونَ له نساءَهم؟ وقد أثارَ هذا غضبَ الأسماعيليّةِ ومن حقّهم ذلك، فهو طعنَ في الكرامةِ والشخصيّةِ.

فهل يمكن أن يجريَ مثلُ ذلكَ المنكرِ المدّعي في ظلِّ حكومةٍ إسلاميّة؟

نصرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

نسمعُ ونرى بين حين وآخر إساءةً من الغربِ إلى الإسلامِ وإلى شخصِ النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيتداعى المسلمونَ لنصرةِ دينِهم ونبيِّهم، وبين الفعلِ من الغربِ وردّةِ الفعلِ من المسلمين، وما يرافقهما من ضجةٍ إعلاميّةٍ نجدُ أنَّ هناك مَن يبحثُ في الغربِ عن الإسلامِ وعن حياةِ الرسول، فينبّهُهُم بقيَمِ الإسلامِ ويعجبونَ بشخصيّةِ الرسول، حتى يتجاوزَ عندَ البعضِ الإعجابَ إلى اعتناقِ الإسلام، بينما يقفُ معظمُ المسلمينَ عندَ ردودِ الفعلِ ذاتها.

من هنا نرى أنّنا بحاجةٍ لتحفيزِ المسلمينَ لقراءةِ شخصيّةِ نبيِّهم، والذين يدافعونَ عنه لكي يأخذوا من حياتِهِ قبساً يُقوّمُ سلوكَهُم ويهذّبُ أخلاقَهُم، وعليهم أن يعرضوا تصرفاتِهم وسلوكَهُم على مرآةِ الإسلامِ ومفاهيمِهِ في كلِّ وقتٍ وحين ليشاهدوا مدى انطباقِها أو افتراقِها عن منهجِ الإسلام.

الرفق مفتاح كل خير

نجدُ الحلَّ في حديثِ الرسولِ الأكرمِ (ص) "إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفق، وإنَّ اللهَ يُعطي على الرفقِ ما لا يُعطي على العنف"(٩).

حيث يعني الرفقُ التأنّيَ في الأمورِ والتدرُّجَ فيها، وضدُّهُ العنفُ الذي هو الأخذُ فيها بشدّةٍ واستعجال.

إن التعاملَ الحسَنَ مع الآخرينَ والرفقَ بهم يضعُ الفردَ على سكّةِ النجاح، وذلك لوجودِ علاقةٍ طرديّةٍ بين النجاحِ الشخصيِّ والرفقِ بالآخرين. قال الإمام الصادق (عليه السلام): "مَن كانَ رفيقاً في أمرِهِ نالَ ما يريدُ من الناس"(١٠)، وقال الإمام علي (عليه السلام): "الرفقُ مفتاحُ النجاح"(١١)، وقال: "الرفقُ يُسيّرُ الصعابَ ويُسهّلُ شديدَ الأسباب"(١٢)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن يُحرَمُ الرفقَ يُحرَمُ الخيرَ كلَّه"(١٣).

والرفقُ في اللغة: لينُ الجانِب، ولطافةُ الفِعل، وإحكامُ العمل والقصدُ في السير. الرفقُ يرادفُهُ الرحمةُ والشفقةُ واللطفُ والعطفُ وتقابلُهُ الشدّةُ والعنفُ والقسوةُ والفظاظة.

إنَّ نظريّة الإسلام في الأخلاق الاجتماعيّةِ تقومُ على الرفقِ واللطفِ والتسامحِ والتجاوزِ من غيرِ ضعفٍ أو مداهنةٍ بل من أجلِ الهدايةِ للرشدِ والتكامل.

إنَّ القرآنَ المجيدَ يعد التخلّقَ باللين ومجانبة الفظاظةِ والغلظةِ من أهمِّ عوامل استقطابِ الناسِ في دربِ الحقّ، ويدعو إلى العفوِ عن المسيءِ والاستقطابِ للمذنب.

وإلى جانبِ ذلكَ، يأمرُ القرآنُ الكريمُ بخفضِ الجناحِ للمؤمنينَ رفقاً بهم وتواضُعاً لهُم وإعزازاً لشخصيّتِهم، ويصفُ عبادَ اللهِ المؤمنينَ بقوله: "وإذا خاطبَهُمُ الجاهِلونَ قالوا سلاماً"، أي لا يُمارونَ بل يُرفقونَ بالآخرينَ ولا يحملونهم فوقَ ما يُطيقون.(١٤)

والخلاصة؛ إذا كان الغضبُ مفتاحَ كلِّ شرٍّ فإنَّ الرفقَ مفتاحُ كلِّ خيرٍ وهنا علاجٌ بالأضداد.

المحبة

آنَ الأوانُ لفتحِ صفحةِ المحبّة، وما أجملَها من كلِمة. فبنطقِها تصفو النفسُ ويسرُّ الخاطرُ وينعشُ القلبُ وتطربُ الروح، فقد جعلَ اللهُ للمحبّةِ سلطاناً على نفوسِ الآدميينَ تؤثّرُ فيهم ويؤثّرونَ بها، إذ إنّها هبةٌ إلهيّةٌ مزروعةٌ في قلوبِ الجميعِ لتشملَ الحبَّ للجميع، وكلّما ازدادَ الفردُ إيماناً ازدادَ حُبّاً. وإنَّ قلبَ المؤمنِ الذي ينبضُ مودّةً وحبّاً تكونُ له قابليّةٌ عظمى ليرى نورَ العظمةِ وجلالَ الخالق، "والذينَ آمَنوا أشدُّ حُبّاً لله"، فالنفسُ المنعَّمةُ في الحبِّ منقادةٌ للمحبوبِ مطيعةٌ له، وإنَّ العقلَ المتعطّشَ للعشقِ يبحثُ عن الطريق الذي يصلُهُ إلى المعشوقِ ويقرّبَهُ إليه، "إن كُنتُم تحِبّونَ اللهَ فاتّبعوني يُحبِبْكُمُ اللهُ ويغفرْ لكُمْ ذنوبَكُمْ"، ثمَّ "وهل الدينُ إلا الحب"، هكذا يصرّحُ صادقُ أهلِ البيتِ، كما صرّحَ جدُّهُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن أحبَّنا كانَ معَنا يومَ القيامَة". وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: مَن كانَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليهِ ممّا سِواهُما، ومَن كانَ يُحِبُّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا لله، ومن كانَ يُلقى في النارِ أحبَّ إليهِ من أن يرجعَ إلى الكُفر بعدَ أن أنقذَهُ اللهُ منه".

"إلهي مَن ذا الذي ذاقَ حلاوةَ محبّتِك فرامَ منكَ بدَلاً، ومَن ذا الذي أنسَ بقربِكَ فابتغى عنكَ حِوَلاً".

"ياغايةَ آمالِ المحبين، أسألُكَ حبَّك، وحبَّ مَن يُحبُّكَ وحبَّ كلِّ عملٍ يوصلُني إلى قربك".

إنَّ أولَ منطلقاتِ الوصولِ وأولَ مسالكِ الحبِّ والوجدِ أن يتّصفَ طالبُ الوصلِ بالصفاتِ التي يحبُّها اللهُ وذكرَها في كتابِهِ العزيز.

"إنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابينَ ويُحِبُّ المُتطهّرين".

" إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنين".

" إنَّ اللهَ يُحِبُّ الصابرين".

" إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتّقين".

" إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقاتِلونَ في صفّهِ كأنَّهُمْ بُنيانٌ مرْصُوص".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدين".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفساد".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلَّ كفّارٍ أثيم".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الظالِمين".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُختالاً فخوراً".

"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ خوّاناً أثيماً".
"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُستكبرين".
"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُسْرِفين".
"إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الجهرَ بالسوءِ من القوْل".

وحبيبُ اللهِ ورسولُهُ يُرشِدُنا فيقول: "إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عملَ أحدُكُمْ عمَلاً أن يُتْقِنَه"، و"الخلقُ عيالُ اللهِ وأحبُّكُمْ إلى اللهِ أنفعُكُمْ لعيالِه".

ووراءَ سلوكِهِ ومواقفِهِ نجدُ الحبّ.
"محمّدٌ" محبٌّ ودودٌ... الحبُّ عندَهُ طبيعةٌ وطرَّةٌ لا غرضَ ولا شهوَة، من أجل هذا كانَ يبدأ حبَّهُ في سخاوةِ نفسٍ نادرةِ النظير.
أحبَّ اللهَ، وأحبَّ الناس، وأحبَّ الزمانَ والمكانَ وأحبَّ كلَّ شيءٍ في كون اللهِ الرحيب، وحينَ نتّبعُ الحبَّ في حياتِهِ وفي أحاديثِهِ نجدُهُ قد اتّسعَ لكلِّ شيءٍ وأحاطَ بكلِّ شيء.
قالَ الإمامُ عليٌّ أميرُ المؤمنين (عليه السلام)

تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حبَّهُ ... هذا لَعمرُكَ في الفعالِ بديع
لو كانَ حبُّكَ صادقاً لأطعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لمَن يُحِبُّ مُطيعُ

نفسُ محبِّ اللهِ نفسٌ ذليلة ... وأيُّ مُحبٍّ لا يكونُ ذليلا
إذا اتَّصلَتْ نفسُ المُحبِّ بربِّهِ ... فإنَّ مَحالاً أن يُريدَ بديلا

يقولونَ لي باللهِ هل أنتَ عاشقٌ ... فقلتُ وهل يوماً خلوتُ من العشقِ
شربتُ بكأسِ الحبِّ في المهدِ شربةً ... حلاوَتُها حتى القيامةِ في حلْقي

ومن محمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) نتعلّمُ الحبَّ كما نتعلّمُ كلَّ فضيلةٍ وكلَّ خُلُقٍ وكلَّ صفةِ خير، فنقتبسُ من كتابِ إنسانيّاتِ محمّد - الفصل الثالث - المعنون (والحبُّ فطرته) بعضَ الفقرات؛ "محمّدٌ" محِبٌّ ودودٌ... أطاعَ اللهَ كثيراً لإنّهُ أحبّهُ كثيراً، وبرَّ الناسَ كثيراً، لإنّهُ يُحِبُّهُم كثيراً، وأقبلَ على الفضائلِ و الواجباتِ جزلانَ مبتهجاً، لأنّهُ أحبَّها وأحبَّ من كلِّ قلبِهِ الطهرَ والنقاء. وهذا هو سرُّ تفوّق عظمةِ محمّدِ (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّهُ أحبَّ عظائمَ الأمورِ ومارسَها في شغفٍ عظيمٍ ممارسة حبٍّ مفطور، لا ممارسة مكلّفٍ مأمور.

"إنَّ أطيبَ شيءٍ في الجنّةِ وألذَّهُ حبُّ اللهِ والحبُّ في اللهِ والحمدُ لله"، وقال عزَّ وجلَّ "وآخِرُ دعْواهُمْ أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين"، فينادونَ حينَ ذلك "أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين".
وقد قالَ اللهُ تعالى لموسى (عليه السلام): "هل عملتَ لي عملاً؟ قال: صلّيْتُ وصُمتُ وتصدّقتُ وذكرتُ لك. قالَ اللهُ تباركَ وتعالى: أمّا الصلاةُ فلكَ برهانٌ والصلاةُ جُنّة، والصدقةُ ظِلّ، والذكرُ فوْز، فأيُّ عملٍ عمِلتَ لي؟ فقالَ موسى دُلّني على العملِ الذي هو لك. قال: يا موسى هل واليتَ لي وليّاً وهل عاديتَ لي عدوّاً قط؟ فعلمَ موسى أنَّ أفضلَ الأعمالِ الحبُّ في اللهِ والبغضُ في الله".

لذا لما جاءَ زيادُ الأحلام، أحدُ أصحابِ الإمام الباقرِ (عليه السلام) وقال: إنّي ربّما خلوْتُ فأتاني الشيطانُ فذكّرَني ما سلفَ من الذنوبِ والمعاصي، فكأنّي آنَس، ثمَّ أذكرُ حبّي لكُم وانقطاعي إليكُم. قال: يا زيادُ وهل الدينُ إلا الحبُّ والبُغض؟

الحبُّ يشملُ كلَّ الوجودِ بلا استثناءٍ بدءاً بالخالقِ وانتهاءً بجميعِ المخلوقات.

(الحبُّ حبّان: حبٌّ يشملُ الحياةَ والأحياءَ جميعاً، وحبٌّ يتبادلُ به الشخصُ مع من يكنُّ لهُ المودّة، ولا قيمة للثاني من دون الأول.

"المحبّةُ فطرةٌ حيناً، وإلهامٌ أحياناً أخرى ويمكنُ غرسُها في القلبِ من جديد".

"لا يكفي أن تُحبَّ نفسَكَ بل لابدّ أن تُحبَّها للناس، ولا يكفي أن تُحبَّ الناسَ للنفس، بل لابدّ أن تُحبَّهُم للهِ تعالى، فإذا أحببْتَ نفسَكَ للناس، وأحببْتَ الناسَ للهِ تعالى كنتَ في دورةِ الصفاءِ وقمّةِ المحبّة".

"المحبّةُ أعظمُ استثماراتِ البشريّةِ على الإطلاق وهي تعودُ بالخيرِ على صاحبها أينما وُضِعتْ وتعودُ بالنفعِ للبشريّةِ أينما كانت".

"لا يجوزُ أن تكونَ عُدوانيّاً كي تكونَ ثائراً، فالثائرُ الحقيقيُّ يثورُ لفيضانِ نبعِ الحبِّ في قلبِه، لا لجريانِ نهرِ الحقد في دمِه")(١٥).

إذا أردْتَ أن يحبَّكَ اللهُ تعالى فخفْهُ واتقِه.

وإذا أردْتَ أن يحبَّكَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهلُ بيتِهِ (عليهم السلام) فتزيّنْ بالأخلاق.

وإذا أردْتَ أن يحبَّكَ الناسُ فاقطعِ الأملَ عمّا في أيديهم.

وإذا أردْتَ أن تكونَ مؤمناً فاحببْ لأخيكَ ماتحبُّهُ لنفسِك.

وإذا أردْتَ أن تكونَ مستكملَ الإيمانِ فداومْ على حبِّ محمّدٍ وآلِ محمد.

رسول المحبّة

يدعو محمّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم)، الناسَ كي يُحبَّ بعضُهُم بعضاً.. بل يجعلُ الحبَّ آيةَ الإيمان فيقول: "والذي نفسي بيدِهِ لا تدخُلوا الجنّة حتى تؤمِنوا، ولا تؤمِنُوا حتى تَحابّوا".

حتى أصبحتِ العلاقةُ بين الرسولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعِهِ علاقةَ حبٍّ متبادَلٍ وأعطى حاجةً كبيرةً لأهلِ بيتِهِ في هذا الحبِّ فنسمعُهُ يقول: "اللهُمَّ إنَّ هؤلاءِ أهلُ بيْتي وخاصّتي وحامَّتي لحمُهُم لحْمي ودمُهُم دمي يؤلِمُني مايؤلِمُهُم ويحزُنُني ما يحزُنُهُم، أنا حربٌ لمن حاربَهُم وسلمٌ لمن سالمَهُم، وعدوٌّ لمَن عاداهُم ومحبٌّ لمَن أحبَّهُم، إنّهُم منّي وأنا مِنهُم فاجعلْ صلواتِكَ وبركاتِكَ ورحمتَكَ وغفرانَكَ ورضوانَكَ عليَّ وعليهم، وأذهِبْ عنهُمُ الرجْسَ وطهِّرهُم تطهيراً"(١٦).

"ولما أُصيبَ زيدُ بنُ حارثة انطلقَ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى منزلِهِ فلمّا رأتْهُ ابنتُهُ جهشَت، فانتحبَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالَ لهُ بعضُ أصحابِهِ ماهذا يا رسولَ الله؟ قال: هذا شوقُ الحبيبِ إلى الحبيب"(١٧)

وقرأ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يوماً قولَ اللهِ في إبراهيم (عليه السلام): "ربِّ إنّهُنَّ أضْلَلْنَ كثيراً منَ الناس فمَن تبِعَني فإنَّهُ مِنّي ومَنْ عَصاني فإنَّكَ غفورٌ رَحيم".

(إبراهيم، ٣٦)

وقرأ قولَهُ تعالى في عيسى (عليه السلام): "إنْ تُعذِّبْهُم فإنَّهُم عِبادُكَ وإنْ تغْفِرْ لهُمْ فإنَّكَ أنتَ العزيزُ الحَكيم". (المائدة، ١١٨)

فبكى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزلَ اللهُ إليهِ جبريل؛ سلْ محمّداً ما الذي يُبكيك؟، (هو أعلم)، فنزلَ جبريلُ وقال: ما يُبكيكَ يا رسولَ الله؟ قال: أمّتي، أمّتي يا جبريل. فصعَدَ جبريلُ إلى الملكِ الجليل، وقال: يبكي على أمّتِهِ والله أعلم، فقالَ لجبريل: إنزلْ إلى محمّدٍ وقل لهُ أنا سأُرضيكَ في أمّتِك"، فبادلهُ الآلَ والصحابة حباً بحبٍّ، وهنا سنعرض ثلاثة مواقف.

الموقف الأول: الإمامُ عليٌّ ابنُ أبي طالبٍ ونومُهُ في فراشِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة أن أرادَ المشركونَ قتلَه.

سُئل عليٌّ ابنُ أبي طالبٍ كيفَ كان حبُّكم لرسولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: "كانَ واللهِ أحبَّ إليْنا من أحوالِنا وأولادِنا وآبائنا وأمَّهاتِنا ومن الماءِ البارِدِ على الظمأ".

الموقف الثاني: قصّةُ قتلِ زيدِ بنِ الدثنة، قالَ ابن إسحاق: إجتمعَ رهطٌ من قريشٍ فيه أبو سفيانَ بنُ حرب، فقالَ لهُ أبو سفيانَ حين قُدمَ ليُقتل: أنشدُكَ اللهَ يا زيد، أتحِبُّ أنَّ محمّداً عندَنا الآنَ في مكانِكَ لضربِ عنقِهِ وأنّكَ في أهلِك؟ فقال: واللهِ ما أحُبُّ أنَّ محمّداً الآنَ في مكانِهِ الذي هو فيهِ تصيبُهُ شوْكةٌ تؤذيه، وأنّي جالسٌ في أهلي.

قال: يقولُ أبو سفيان: ما رأيتُ من الناسِ أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحابِ محمّدٍ محمّداً.

الموقف الثالث: أخرجَ الطبراني وحسّنَهُ عن عائشة قالت: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسولَ اللهِ إنّكَ لأحَبُّ إليَّ من نفسي، وإنّكَ لأحَبُّ إليَّ من وُلْدي وإنّي لأكونُ في البيتِ فأذكرُكَ فما أصبرُ حتى آتي وأنظرُ إليك، وإذا ذكرْتُ موْتي وموْتِكَ عرفتُ أنّكَ إذا دخلتَ الجنّة رُفِعتَ مع النبيّين، وإنّي إذا دخلْتُ الجنّة خشيتُ أن لا أراك، فلم يَرُدَّ عليهِ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً حتى نزلَ جبريلُ بهذه الآية "ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فأولئكَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهِمْ منَ النبيّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالِحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً". (النساء، ٦٩)

إنَّ المحبّة الحقيقيّة هي التي تدعو الإنسانَ لأن يتشبَّهَ بمَن يُحِبُّ، ثمَّ أنَّ أفضلَ هديّةٍ تقدَّمُ للمحبوبِ هي أن تكثُرَ من القلوبِ المُحِبَّةِ له.

تبادل المحبّة

"أحبّوا أقرباءَكُمْ قبلَ أن يمُوتوا، فما الفائدةُ من أن تُحِبَّ عزيزَكَ بعدَ فقدِه؟ وتتَمنّى رجوعَهُ بعدَ غيابِه، وتتودّدَ إليهِ بعدَ وفاتِه؟ إنَّ الحبَّ بعدَ الوفاة مثلَ طيرٍ لا عشَّ له، فهو يطيرُ في كلِّ اتجاه، ولكنّهُ لن يجدَ مكاناً يستقرُّ فيه".

تتطلّبُ المحاضراتُ أو وُرشُ العملِ التي نقدِّمُها في المدارسِ أو المؤسّساتِ الدينيّةِ أو الاجتماعيّةِ أو الثقافيّة أن نتطرّقَ إلى الحُبِّ في الأسرة. لقد دُعيتُ إلى ابتدائيةِ فاطمةِ بنتِ أسدٍ لإلقاءِ محاضرةٍ لأولياءِ أمورِ الطالباتِ عن السلوكِ العدوانيِّ في المدرسة، وحين توجّهتُ للحاضرينَ بأن يُغدّوا أبناءَهُم بالمحبّةِ والحنانِ والعطفِ وأن يُشيعُوا في بيوتِهِمُ السكينةَ والرحمةَ والسعادة، وهذا لن يأتيَ إلا إذا كانوا كأزواجٍ يتبادلونَ رحيقَ الحبّ، ونسماتِ اللطفِ ونفحاتِ الرفق، فتتدفّقُ من قلوبنا التي تحيطُ بأبنائنا رحمةً وشفقةً وطُمأنينةً وأمان، فتسودُ السعادةُ والصفحُ والغُفرانُ والتسامحُ وتختفي الشحناءُ وتتسرّبُ البغضاءُ وتنهزمُ الكراهيّة، فتكونُ بذلكَ نفوسُ الأولادِ شفافةً طاهرةً مستعدّةً لتقبّلِ قيَمِ الخيرِ وفضائلِ الأخلاق.

وكانَ ضمنَ الحضورِ مدرّسةٌ إضطرّتْ للانسحابِ من القاعةِ لتلحَقَ بحصّةٍ دراسيّةٍ حانَ وقتُها، وقبلَ خروجِها همسَتْ قائلة: "هذا في الحُلم"، أي إنَّ ما تقولُهُ غيرُ واقعيّ، وهكذا كانت تجري الأمورُ حين أحاضرُ للنساءِ يقُلْنَ إنّهُنَّ يرَدن أزواجَهُنَّ أن يستمِعوا للمحاضرةِ لكي تتغيّرَ معاملتُهُم لهنَّ، وبالحالةِ نفسها الحالةِ عندما نلتقي الرجالَ ونتطرّقُ إلى فإنَّ كلماتِ الحبِّ هي عطشُهُم، وأمانيَّ أنفسِهم أن تتغنّى بها شفاهُ أزواجِهم، واستكمالاً للموضوعِ وفي ورشةٍ لي عن الضغوطِ النفسيّةِ في إعداديةِ القيروان بمدينةِ (حمد) حيث تخلّلتِ الورشة تمارينُ يقُمْنَ بها حينَ الورشةِ وأخرى بعدَ الورشةِ وتمارينُ للمنزلِ استكمالاً للورشة، أمّا التمرينُ الذي بعدَ الورشةِ مباشرةً فطلبتُ من كلِّ مدرِّسةٍ أن تبعثَ رسالةً إلى زوجِها عبرَ الهاتفِ النقالِ تتضمّنُ كلماتِ حبٍّ وغزلٍ وشوقٍ أو على الأقلِّ كلمة "أحبُّك" فقط وستجدنَ مفعولَها السحريَّ على أزواجِكُن، وفي اليومِ الثاني كانتْ لي ورشةٌ في المدرسةِ نفسها لكنّها موجّهةٌ للطالباتِ وقبلَ دخولي للقاعةِ استوقفَتْني مجموعةٌ من المدرّسات ممّن حضرنَ ورشة أحسنَ وقلنَ لي إنَّ كلَّ ما طلبتَ منّا قد أدّيناهُ باستثناءِ الرسالةِ للزوج، ماذا سيقولُ لنا بعدَ كلِّ هذا العمر؟

ودُعيتُ في مجلسِ إحدى القرى خاصٍ بمثقّفي القريةِ يمتدُّ تاريخُهُ لتسعِ سنواتٍ يُعقدُ كلَّ ليلةِ خميسٍ حيث يجري تفعيلُهُ بالحواراتِ أو بدعوةِ متخصّصٍ لإلقاءِ محاضرةٍ عليهم، وطلبوا مني ورشة "بيتُكَ زيِّنهُ بالحبِّ والحلم"، وحالما أنهيتُ كلامي طلبَ صاحبُ المجلسِ المداخلة ففاجأني قولُهُ وهو المثقف إذ قال: "يا أستاذ! أنا لا أستطيعُ أن أقولَ لزوجَتي إنّي أحبُّك، لإنّي لم أسمعْ في حياتي قطُّ أنَّ أبي قال لأمّي هذه الكلمة، بل لم أسمعْها طوالَ حياتي مع أسرَتي".

وتساءلتُ هل هذا الشعبُ البحرانيُّ المنعوتُ بالطيبةِ وحُسن الخُلق لا يعرفُ أن يُحبّ، وحصلتُ على الإجابةِ من الحوار التالي الذي دارَ بين زوجيْن إذ سألتْ زوجةٌ زوجَها بعدَ تسع سنواتٍ من زواجِهما: تُحبُّني يا ابنَ عمّي؟ وبعدَ لحظاتِ صمت، أجابَ الزوجُ: بعدَ هذا العمرِ الذي عشناهُ معاً تسألينني عن حُبّي لك؟ وظل يعدّدُ المواقفَ التي يُبرهِنُ فيها على حبّه، ولكنّهُ بالطبع لم يرو ظمأها، إنّها تريدُ أن تسمعَ كلمة أحبُّكِ وأخواتِها!

إنَّ الرسولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) يقولُ إذا أحببْتَ شخصاً ما فأخبرْهُ بحبِّكَ له؛ "إذا أحبَّ أحدُكُمْ أخاهُ في الله، فليُعلِمْه، فإنَّهُ أبقى في الألفة، وأثبَتُ في المودَّة".

ومن هذا المفهوم يصدحُ المدرسيُّ بقولِه: "لا قيمة لحبٍّ مدفونٍ في الأعماق، ولا يظهرُ على فلتاتِ اللسان، وقسَماتِ الوجه، وحركةِ اليدين، إنَّ الحبَّ كعودِ الصندل، من دون أن يفوحَ منهُ العِطر، إنّما هو مجرّدُ خشب".(١٨)

علينا أن ننتبهَ على إظهارِ الحبِّ المكنون داخلَ صدورنا بأشكالٍ شتى، وخصوصاً تداوُلُ كلماتِ الحبِّ واللطفِ وإظهارِ الإعجاب وشيوعِ الابتسامة.

حين تغيب شمس المحبة

"لا يمكنُ أن يبقى القلبُ فارغاً، فإمّا أن تملأهُ بالمحبّةِ وإلا فإنّهُ سيمتلئُ بالكراهيّة".(١٩)

المحبّةُ تعني العطفَ والودَّ والحنانَ واللطفَ والرحمَة، إنّها تعني تزويدَ العاطفةِ بأسبابِ الانتِعاش، إنّها الماءُ وقد تسرّبتْ قطراتُهُ إلى الأعماق.

لذلكَ فإنَّ كثيراً من الخيانات الزوجيّةِ وانحرافاتِ الأبناءِ مصدرُها البحثُ عن الحبِّ والعاطفةِ خارجَ البيتِ إذا انعدمَ داخلَه.

نشرتْ جريدةُ الشرق الأوسطِ السعوديّة، تأكيدَ المختصِّ النفسيِّ وليدِ الزهراني في مركز الطبِّ النفسيِّ السلوكيِّ للإرشادِ والعلاج النفسيِّ في الرياض أنَّ ٩٥% من مرتاداتِ العياداتِ النفسيّةِ في السعوديّةِ هنَّ ممّن يُعانينَ الفراغَ العاطفيَّ ويقعنَ تحتَ طائلةِ الاكتئابِ والرهابِ الاجتماعيِّ جرّاءَ علاقاتٍ عاطفيّة.

كما أُجريَتْ دراسةٌ ميدانيّةٌ على النساءِ المحكومِ عليهنَّ بالسجن في السعوديةِ خضعنَ للجريمةِ بدافعِ الحرمانِ العاطفيِّ، إمّا انتقاماً وكراهيّةً للزوج وإمّا بحثاً عن الحبِّ والحنان.

وفي تقريرٍ لمجلةِ "بونته" الألمانيةِ أنَّ ٩٦% من حالاتِ الانفصالِ بسببِ معاناةِ المرأةِ من انعدامِ المشاعرِ وعدمِ تعبيرِ الزوجِ عن عواطفِهِ لها، وعدمِ وجودِ حوارٍ يربطُ بينهما.

ثمار الحب في المجتمع

إذا وُجِدَتِ المحبّة، وُجِدَ حُسنُ الظنّ، وإذا وُجِدَ حُسنُ الظنِّ وُجِدَ التعاونُ بينَ الناس، وإذا وُجِدَ التعاونُ بينَ الناس، لم يكنْ هنالكَ حاجةٌ للشرطةِ والمحاكِمِ والسجون في العالم.

. المحبّةُ تمنعُ صاحبَها من العدوان إن كانتْ صادقة.

. محبّةُ الناس هي الخطوةُ الأولى في طريق حُسنِ التعامُلِ معهُم.

. يتغذّى الحبُّ بالتسامُحِ كما يتغذّى الوردُ بأشعّةِ الشمس.

. في العلاقةِ مع الصالحين، لا يكفي أن تُحبَّهُم، بل لابدّ أن تكونَ معهُم، ولهُم، وبهم، وإليهم، وكلَّ حروفِ الجرّ. فالمحبّةُ التي لا تحملُ على اتّباعِهم في العملِ والدعوةِ إليهم في الناس، والعملِ معهُم في المجتمع، والاقتداءِ بهم في المواقِف، لهيَ محبّةٌ مبتورةُ الجذورِ والأغصان.

للمحبّةِ نفحات، ويكفي أن يتعرّضَ لها الإنسانُ متى تتجلّى له في أبهى مظاهرها، فالمحبَّةُ مرشِدةٌ أمينةٌ لا تدعوكَ إلى ما يضرّ.

بالحبِّ يكونُ المؤمنُ للمؤمن كالبنيان المرصوصِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً.

وذلك قول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "مثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مثَلُ الجسَدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى لهُ سائرُ الجسدِ بالسهر والحمّى". صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

الهوامش

١-البحار، ج ٧٠، ص ٩.
٢-منية المريد، ص ١٤٩.٢-
٣ - نهج البلاغة.
٤- قصار الجمل للمشكيني، ج ١، ص ١٧٥، نقلاً عن تفسير المعين.
٥ - أخرجه مسلم.
٦- المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٩٨.
٧- الرسول، سعيد حوى، ص ١٤٥-١٤٦.
٨- الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٤٥٢.
٩ - رواه مسلم
١٠-الكافي، ج ٢، ص ١٢٠
١١- غرر الحكم.
١٢-غرر الحكم.
١٣- الكافي، ج ١، ص ٢٧.
١٤- فهرس كتاب الرفق في المنظر الإسلامي، الأستاذ أبو زلفى، www.lskan.org
١٥- طرق مختصرة إلى المجد، المحبة والصداقة، الشيخ هادي المدرسي، ط ١.
١٦- حديث الكساء
١٧ - مكارم الأخلاق، ص ٢٣٩.
١٨- المحبّة والصداقة، الشيخ هادي المدرّسي، ص ١٢.
١٩- نفس المصدر

المصادر:

١) التفسير المعني للواعظين والمتعظين، الشيخ محمد هويدي، دار البلاغة، ط١، ٢٠١١م.
٢) الرّسول "صلى الله عليه وسلم"، حوّى، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٧١م.
٣) إسلاميات، خالد محمد خالد، دار الفكر، بغداد.
٤) إسلاميات، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠م.
٥) سلسلة طرق مختصرة إلى المجد (المحبذة والصداقة)، هادي المدرسي، ط١، ٢٠٠٠م.
٦) موقع شبكة السراج في الطريق إلى الجنة، الشيخ حبيب الكاظمي.
٧) موقع "صيد الفوائد" الإلكتروني.
٨) موقع "سلسلة المعارف الإسلامية" الإلكتروني.
٩) تزكية النفس وتهذيب الروح، السيد جعفر رفيعي، ترجمة لجنة الهدى، دار الهادي، ط١/ ٢٠٠١م.
١٠) خطبة الجمعة لآية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، موقع "المجلس العلمائي".
١١) خطبة الجمعة لسماحة الشيخ حسن الصفار، موقع الشيخ حسن الصفار.
١٢) www.iskanorg
١٣) موقع "قصة الإسلام" الإلكتروني.
١٤) موقع "الألوكة الشرعية".

قافلة الشهداء

الشهيد البطل :

حمودي صبيح عبود

اعد اللقاء : السيدة . مروة حسن الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً

صدق الله العلي العظيم

هو كوكب من الكواكب المنيرة في سماء الحشد ، أضاء بنوره ليل الوطن ، روى بدمائه هذه الأرض الطيبة ، فمنذ أن بدأت قافلة الشهداء مسيرتها ، ألتحق مع الركب .. دماؤه مازالت خالدة في ذاكرة الامة ، كوكبنا الراحل هو (حمودي صبيح عبود) من قضاء الهندية ، في محافظة كربلاء ، ولد عام ١٩٧٣ . اتصف بدماثة اخلاقه بين اقرانه وأقربائه ، ابتسامته لا تفارقه مهما عصفت به الحياة ، عرف عنه الشجاعة والبطولة ،شارك في معارك كثيرة ، دافع متطوعا عن مقام السيدة زينب عليها السلام، وعندما افتت المرجعية بالجهاد الكفائي كان من الأوائل الذين لبوا النداء ،التحق بفرقة العباس القتالية، رغم انه قد أصيب في جرف النصر في قدمه ورغم عرجه الشديد الا انه لم تثنيه عن المضي بخطى وعزيمه ثابته، استمر في مسيرته الجهادية رغم اصابته فكان عمله مهندس عبوات ، انقذ حياة الناس في مدينه جرف النصر اذ فكك مايقارب ٢٠٠ عبوة ناسفة ،وليس هذا فحسب بل شارك في تطهير جرف النصر حتى وصل بهم السير الى قضاء سيد غريب في سامراء.

شهيدنا اب لخمسة اطفال ، زهراء ،رقية ،مروة، علي ،عباس هم ايتام شهيدنا الغالي، ام زهراء هي زوجة الشهيد حمودي أسكتت ابنها عباس بقبلة حزينة ثم أخذته بين ذراعيها ،اكملت حديثها معنا عن مسيرة حياة زوجها ، بطرف لسانها تختفي العبرات .....

في صباح ذلك اليوم افاقت ابنتي زهراء تسأل عن والدها لأول مرة ، تصر على سماع صوته ،لكن للأسف ، رقم والدها كان مغلق ..دخل الخوف في قلبي ،،،،،،ساعات فقط اختلط فيها الخوف والامل ،،،حتى جاءني نبأ استشهاده ،،،،،دموعها تغمر وجهها

،،،،استشهد وهو يفك عبوة مزدوجة ،جسده تناثر في الهواء وبعض من اشلاء جسده ملتصق على شباك احد الاضرحة الموجودة في قضاء سامراء ، اطفالي يصرخون لا اعلم كيف كان حالي آنذاك ،،كان عطشا كحال أصحاب الحسين ، يؤلمني انه كان عطشا ؟ شعرت بآلامها ،، الا انها كانت اكثر صلابة مما توقعت ،بعد غياب زوجها ماذا سيكون حالها ،وماذا عن اطفالها ،سرعان ما تكفكف دموعها وتتذكر حال أهل البيت ومصابهم وتواسي ايتامها بأيتام سيدنا الحسين ، ع ،

مضى على سفره الى جنة الخلد تسعة اشهر من تاريخ استشهادة ، رحل شهيدنا إلى جوار ربه تاركا عائلته امانة في اعناقنا ،رحل كعاشق أرهقه ليل الانتظار ،،،،،،فكما قالت زوجته كان يتمنى ان يموت شهيدا في كل معركة يشارك فيها وعندما تنتهي المعركة ويرجع اسفا لماذا لم ينل الشهادة .ها هي الشهادة فتحت احضانها اليه و لبت دعوته وهو الان مع أصحاب الحسين ، ع ،كما قال لعائلته .

في ختام لقائنا ودعت هذه العائلة وسيذكر التاريخ اسمها بأحرف من نور ،،،،شهدائنا بكم نفتخر ،،، انكم سيرة عطرة من سير شهدائنا الأبرار قال تعالى :بسم الله الرحمن الرحيم * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)سورة البقره .

السلام على شهداؤنا الابطال
السلام على احباء الله واحباء رسوله
السلام على من صدقوا ما عاهدوا الله عليه
السلام على من بذلوا أرواحهم الطاهرة المقدسة اشهد انكم في عليين مع خيرة الله من خلقه احياء ترزقون.

الرسول محمد واله سفينة النجاة

من الفساد الأخلاقي

■ د. ريهام حسين محمد

مدخل:

الأخلاق هي المرايا التي تعكس حياة الأمم والشعوب ودرجة تقدمها أو تخلفها، وقد شهد التاريخ اختفاء حضارات وانهيار كثير من الدول والممالك نتيجة فساد الأخلاق وتفسخها، من أجل ذلك كانت الأخلاق والثبات عليها أهدافا رئيسة تنشدها كل المجتمعات الإنسانية، ويتنافس عليها ذوو النفوس الرفيعة، والهمم العالية، ولا ينالها إلا ذو حظ عظيم.

وإذا كان للأخلاق هذا الدور الفريد في تشكيل وجدان الأمم والشعوب، فهذا يعكس الحكمة الإلهية في كون إصلاح المفاسد ودرئها عن الناس وغرس مكارم الأخلاق في النفوس، مقترنا بالدعوة إلى الله تبارك وتعالى، هي مهمة الأنبياء والرسل، وأوكل لكل منهم (عليهم السلام) دعوة أقوام بعينهم، وخص الرسول محمد صلوات الله عليه وعلى اله بدعوة البشرية قاطبة، فهو الرحمة المهداة من رب العالمين لمن في الأرض قاصيها ودانيها (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:]١٠٧.

ونتساءل ما العلاقة بين الدين والأخلاق..؟ .

لعل قوله تعالى في محكم آياته (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) لقلم : ٤

ما يوضح العلاقة الترابطية التكاملية بين الدين والأخلاق، فالأخلاق الفاضلة هي التي تهدي إلى الفعل الحسن والسلوك المستقيم، وتحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة من سمو النفس ويقظة الضمير، ومن دونها يذهب الدين وتسود سياسة الغاب، فينعدم الأمن وتعم الفوضى. كما أن الأخلاق هي أهم نتاجات الدين، فلا أخلاق من دون دين، ولا دين من دون أخلاق. والرسول صلى الله عليه واله صاحب الدين والفضائل الأخلاقية والخصال الحميدة، التي جعلته - وبحق- معلم البشرية، ومخلصها من ظلمات الجهل والضلال، وهو ما يشير إلى أن غاية رسول الإسلام هي مساعدة الناس على بناء أنفسهم وتزكيتها، من خلال إرشادهم وتعليمهم مكارم الأخلاق وفضائلها جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى عبادة الله، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال:(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .١

والآن دعونا نقترب أكثر من الذات المحمدية لنرى عظمة قدرة الخالق الذي ألقى عليها كل جميل من الخصال والصفات الربانية..

لقد اختزل النبي(ص) كل أبعاد الأخلاق في شخصه، فكان إنساناً بكل ما تحمله الكلمة من معنى وتلقيه من ظلال، هو وبحق نبع الرحمة والرأفة والتواضع والرفق (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران:٥٩-١) ، يصل الرحم ويحسن معاملة الناس، دائم الابتسامة متهلّل الوجه، كريماً جوادا شاكراً لنعم الله، لا يردّ محروما ولا سائلا، يحب المساكين، ويكرم اليتيم، وينصر الضعيف .

عن أبي ذر-رضي الله عنه-قال٢:أمرني خليلي- صلى الله عليه واله- بسبع:"أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مُرّاً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش."

واجتمع فيه صلوات الله عليه وعلى اله العفاف والرضا والقناعة والسخاء، والصدق والأمانة حتى عند ألد أعدائه فلقب بالصادق الآمين، كما اجتمعت فيه الشجاعة والمروءة. عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في شجاعة الرسول محمد صلى الله عليه واله في المعارك٣:"إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحُدُق اتقينا برسول الله محمد صلى الله عليه واله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي محمد صلى الله عليه واله وهو أقربنا إلى العدو."

والمتأمل في موقفه سلام الله عليه وعلى اله من المشركين يوم فتح مكة يستنبط عظمة خُلقه في حلمه وعفوه مع من ظلمه وأخرجه من أحب بلاد الله إليه، فعلى الرغم ان الله سبحانه وتعالى مكنه من رقابهم، إلا أنه نادى عليهم وهو واقف على باب الكعبة وخاطبهم قائلاً: يا معشر قريش ويا أهل مكة: ما ترون أني فاعلٌ بكم؟! قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم. فقال لهم:أذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولقد تحمل الآلام والمصاعب وصبر على الأذى في سبيل تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، التي خصه بها رب العالمين(فاصبرْ كما صبَر أولوا العزم من الرسل) (الاحقاف:٣٥).

هكذا كانت صفة الحلم من السمات البارزة في تعامله صلوات الله عليه وعلى اله مع أعدائه وكل من ظلمه، فما بال هؤلاء المتطرفين والجماعات المسلحة، من يدعون التدين وما هم منه في شيء، ينتهكون كل الأخلاقيات النبوية، ويسعون في الأرض بالفساد والإفساد، ويستخدمون العنف والإرهاب ضد الأمنيين من أبناء جلدتهم وغيرهم، ويزهقون الأرواح ويريقون الدماء البريئة. ولا يقتصر أمرهم عند ذلك بل يتعداه إلى الإرهاب الفكري، وتكفير (الآخر) الذي يختلفون معه في الدين أو المعتقد أو القومية أو الذوق أو الرأي السياسي.

والمثير للدهشة والشفقة في آن واحد اعتقاد هؤلاء أنهم يحسنون صنعا ويخدمون الإسلام، وما هم إلا أصحاب عقول متحجرة صلبة وقلوب غليظة عليها أقفالها، لا يعرفون إلا لغة العنف، يقودون المجتمعات الإسلامية إلى التفكك والضعف، ويخدمون الأعداء في تحقيق أهدافهم وفي تشويه الإسلام وأعظم رموزه، وإلصاق جرائم الإرهاب والدموية والهمجية لكل من ينتمي إليه (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف:١٠٣-١٠٤). كل تلك الأفعال والممارسات التي انتهجها هؤلاء حجبت عالمية الإسلام ورسالته الإنسانية عن البشرية، وحقيقة أن المسلمين أصحاب عقيدة ربانية ثابتة وثقافة أصيلة، تمنعهم من انتهاك حقوق الإنسان حتى مع أعدائهم، فكيف إذن يكون تعاملهم مع أبناء قبلتهم والأمنيين من أهل الكتاب وغيرهم. وتحضرني مقولة الإمام علي عليه السلام:(الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)[٤].

وهنا نعرض لبعض الروايات عن ال البيت والعموم في وصف أخلاق رسول الله ..

لتكن البداية مع الإمام علي عليه السلام في وصفه لأخلاق الرسول محمد صلى الله عليه واله، فقد روي أنه قال: "كان أجود الناس كفّاً.. وأجرأ الناس صدراً.. وأصدق الناس لهجة.. وأوفاهم ذمّة.. وألينهم عريكة.. وأكرمهم عشرة.. من رآه بديهة هابه.. ومن خالطه فعرفه أحبّه.. لم أرَ مثله قبله ولا بعده.."[٥].

وفي رواية أخرى أن يهودياً من فصحاء اليهود جاء إلى عمر ابن الخطاب في أيام خلافته فقال: أخبرني عن أخلاق رسولكم. فقال عمر: أطلبه من بلال فهو أعلم به مني، ثم إن بلالاً دلّه على الإمام علي عليه السلام، فلما سأل علياً عنه قال: صف لي متاع الدنيا حتى أصف لك أخلاقه؟.. فقال

الرجل: هذا لا يتيسَّر لي...!!!
فقال الإمام علي عليه السلام:
"عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال: (قل متاع الدنيا قليل) [النساء : ٧٧] فكيف أصف لك أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال: (وإنك لعلى خُلقٍ عظيم) [القلم : ٤]".[٦]
وقد روى الإمام الحسن عن أبيه في مدح رسول الله أنه قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظٍ ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح".[٧]
ولما سُئلت زوج الرسول الأعظم عائشة عن خلقه صلى الله عليه وآله قالت:"كان خلقه القرآن".
وعن السيدة صفية بنت حيي زوج رسول الله قالت:"ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[٨].
كما قال أبو سعيد الخدري:"كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه"[٩].

وها هو المستشرق البريطاني وليم موير في كتابه "حياة محمّد" يقول[١٠]:"امتاز محمد، بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد".

ويقول في موضع أخر في الكتاب نفسه:"كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته في معاملته لأقلِّ تابعيه، فالتواضع، والشفقة، والصبر، والإيثار، والجُود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبَّة جميع من حوله، فلم يُعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنًا، ولا هدية مهما صغرت، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصُّه بإقبال وإن كان حقيرًا، وكان إذا لقي مَنْ يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب والحزين شريكًا شديد العطف، حَسَن المواساة، وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم".

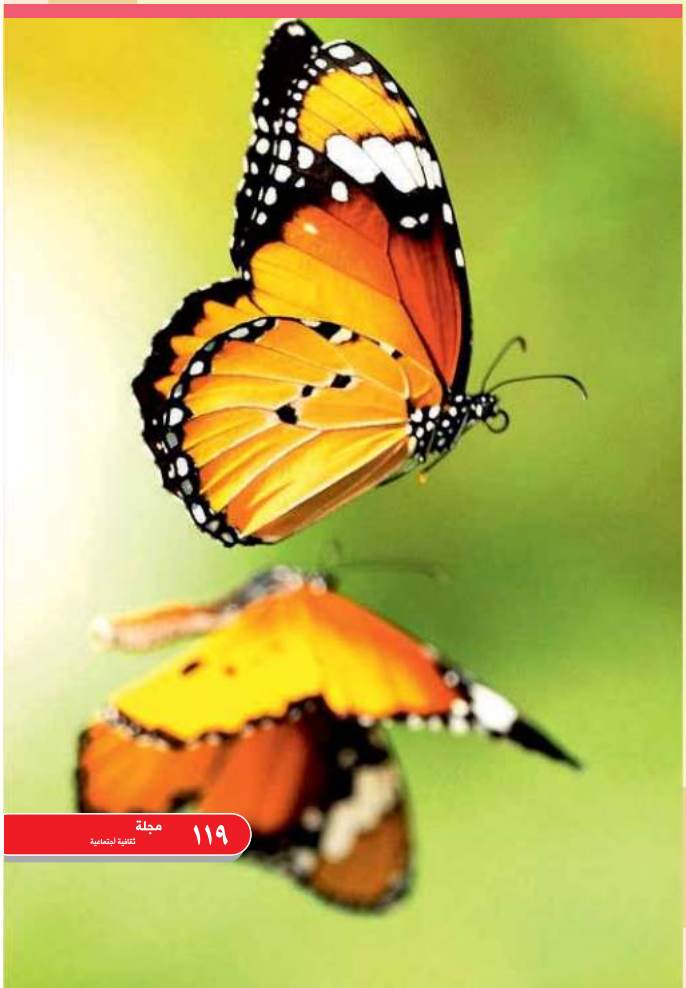

كذلك يصف المستشرق **ستانلي لين بول**[11] الذات المحمدية قائلاً: "إن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يثار بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادرًا عن غير ميل أو هوى، كيف لا وقد احتمل محمد صلى الله عليه وآله عداء أهله أعوامًا، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة، وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلا، وأنه لم يمر بجماعة يومًا، رجالا كانوا أو أطفالا دون أن يقرئهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وفي فيه نغمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعها، وتجذب القلوب إلى صاحبها".

ويقول **وليام جيمس ديورانت**[12] الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي وهو يتحدث عن عظماء التاريخ: "إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا: أن محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - كان من أعظم عظماء التاريخ، فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب، ألقت به في دياجير الهمجية وحرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الهدف نجاحا لم يصل إليه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقل أن نجد إنسانا غيره حقق ما كان يحلم به... وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عددها، متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة، وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينا سهلا واضحا، وصرحا خلقيا".

ويذكر الشيخ علي الكوراني العاملي[13] أن الرسول مهندسٌ رباني، ولكنه مهندس مُدُن ومجتمع ومسيرة تاريخ، وأعماله يجب أن يُنظر إليها بهذا المنظار وهذا المقياس، وأن يسأل الباحث نفسه: ماذا كان سيحدث في ثقافة الناس ومسار التاريخ لو لم يبعث هذا الرسول، وماذا حدث بسبب بعثته وأدائه لرسالته؟ ويسأل: كيف كانت حالة العالم الوثنية اليوم، لو لم يبعث إبراهيم فيرسي أسس التوحيد ويوجه به مسيرة المجتمع الإنساني؟! وكيف كانت حالة البلاد العربية والعالم في عصرنا، لو لم يبعث نبينا فينشئ هذا المد الأخير من التوحيد والحضارة؟..

والسؤال الذي ينبغي أن نوجهه الآن:

هل الخصائص والصفات الأخلاقية وراثية أم مكتسبة؟

لتعلم عزيزي القارئ أن الخصائص والصفات الأخلاقية والسلوكية لها طبيعة خاصة في كونها وراثية ومكتسبة في آن

واحد، فهي من جانب وراثية، حيث تلعب العوامل الوراثية دورا في خلق القابلية والاستعداد في النفس للاتصاف بها، فإذا ما وجدت البيئة المناسبة نمت بالاتجاه المناسب لها.

ويرى الإمام علي[١٤] عليه السلام أنّ الأصل الكريم والعرق الصالح يؤثر تأثيراً واضحاً على الإنسان، فمن كان ينتمي إلى نسب عريق في المكارم والفضائل ستكون المكارم والفضائل صفة ملازمة له في جميع جوانب حياته ، فللوراثة دورها وتأثيرها الواضح في أخلاق وسلوك الإنسان، حيث تخلق في نفسه الاستعداد والقابلية للاتصاف بالمكارم والفضائل إذا كان ينحدر من أصول متصفة بها، وكذا الحال في من ينحدر من أصول تتصف بالرذائل والمفاسد، فانّه يرثها أو يكون قابلاً للاتصاف بها. ويستدل عليه السلام على كرم الأعراق من خلال حسن الأخلاق، فحُسن أخلاق الأبناء كاشف عن حُسن عروقه وأصوله، قال عليه السلام:"حُسن الأخلاق برهان كرم الأعراق".

ويعد ما توصل إليه كلود كلونجر[١٥] في نظريته الأخلاق الوراثية تأكيدا لما ذكره الإمام علي عليه السلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان في أن الوراثة توجه ما سيكون عليه أخلاق الشخص وتدينه.

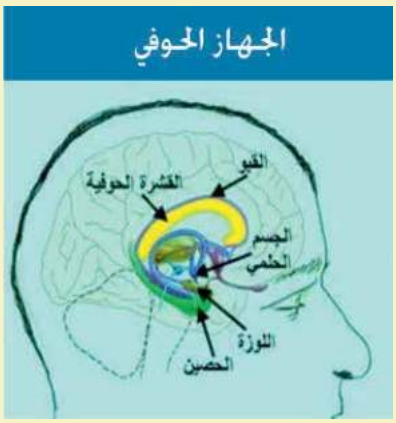

وتقول هذه النظرية أن للإنسان أربعة مزاجات تقع مركزها في مخ الإنسان في الجهاز الحوفي والقشرة المخية البدائية،وهي المناطق المسؤولية عن السلوك الغريزي والعادات والمشاعر. وثلاث مجموعات من الأخلاق الوراثية في جيناتنا يتوارثها الأبناء عن الآباء، وهي كما الأتي١:)مصداقية الذات:هي صفات الشخص وتشمل وضوح الأهداف وكونه أهلا للثقة، ٢)التعاون:وهي صفات تحكم تعامله مع الآخرين وتشمل الاستعداد لمساعدة الاخرين وتحملهم والعزوف عن الانتقام، ٣)تجاوز الذات(السمو النفسي):وهي صفات خاصة بالمفاهيم الروحية وتشمل البعد عن المادية والميل إلى الروحية والإبداع وإنكار الذات وحقيقة أن الخصائص والصفات الأخلاقية تتأثر بالعوامل الوراثية لا ينفي كونها مكتسبة، فالإنسان كائن اجتماعي يكتسب خصائصه وصفاته الأخلاقية من البيئة المحيطة بالتقليد والمحاكاة بشكل مقصود أو غير مقصود، ومن تتابع الخبرات والتجارب التي يمر بها. وتعتبر الأسرة المؤسسة التربوية الرئيسية التي يتعامل معها الفرد منذ صغره وتساهم بشكل أساسي في تشكيل سمات شخصيته، وهي التي توفر الجو الصحي المناسب الذي يساعده على اكتساب القيم والاتجاهات السليمة، وتكوين الصفات الأخلاقية الفاضلة.

ونتساءل من امتلك الاستعداد الوراثي والبيئة الاجتماعية الملائمة ليحمل الخصائص والصفات الأخلاقية للرسول محمد صلى الله عليه واله..؟.

إذا كانت الجينات الوراثية تخلق القابلية والاستعداد لدى الفرد لاكتساب الأخلاقيات من البيئة السليمة، فمن البديهي أن يرث ال بيت رسول الله صلى الله عليه واله صفاته وخصائصه الأخلاقية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تطهيرا)]الأحزاب : ٣٣[، فهم أبناءه يحملون دمه وجيناته الوراثية، وهم العترة الذين لازموه ولازمهم حتى حفظوا عنه كل شيء، وأرسى في نفوسهم الدعائم الأساسية لبناء الشخصية المتكاملة صاحبة الأخلاق والعقل السليم والتفكير السوي المستنير بنور الوحي الرباني العظيم. فكانوا أول من حافظ على سنته، وتخلقوا بأخلاقه، وانتهجوا نهج الرسول الأعظم في تأصيل مكارم الأخلاق .

صدق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين قال بعد حجة الوداع في غدير خم:(إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين:كتاب الله عز وجل، وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني بهما أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)١٦

لقد وضع ال البيت الدعائم الأساسية للرقي والحضارة، والمدنية القائمة على المشاركة والحق والفضيلة والهُدى، في مستوحاه من القرآن الكريم والأخلاق المحمدية، تتسم بالشمولية والعموم فقد شملت علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بكل عناصر الكون ومكوناته، وإحاطتها بكل جوانب الحياة الإنسانية..

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) الأحزاب: ٢١

عزيزي القارئ ألست معي أنه لا سبيل لتقويم الذات الإنسانية، وإصلاحها من براثن الفساد الأخلاقي، الذي أبتلينا به في هذا العصر، إلا

من خلال الاقتداء بخصال أصحاب النفوس الرفيعة وبالصفات الأخلاقية لشخصية عظيمة، كشخصية الرسول محمد صلى الله عليه واله، الذي شهد على عظمة خُلقه رب الأرض والسموات.

إنه هو الرسول الأعظم قبلة كل التواقين لمعرفة كيف يكون سمو النفس ومكارم الأخلاق، وورثة أخلاقة عترته أهل بيته بقية النسل الطاهر

المـــــراجع:

- ميزان الحكمة: ج١، ص٨٠٤، ح١١١١.
٢-أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٦٤ من طريق عبادة بن الصامت.
٣- نهج البلاغة: ٤/٦١، قصار الكلمات: ٢٦١.
٤- بحار الأنوار ج٣٣ ص٦٠٠.
٥- أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني، ص ٨٤.
٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،سورة العلق، قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى..
٧- كتاب الشمائل المحمدية ،باب ما جاء في خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٨- رواه الطبراني في الأوسط.
٩- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه واله وسلم.
١٠- مصطفى السباعي(١٩٩٨): عظماؤنا في التاريخ، القاهرة، دار الوراق ودار السلام، ط١، ص٤٦.
١١- مصطفى السباعي(١٩٩٨): عظماؤنا في التاريخ، المرجع السابق، ص ٤٧.
١٢- الحسيني الحسيني معدي(٢٠٠٦): الرسول -صلى الله عليه وسلم- في عيون غربية منصفة، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط١، ص١٢٨.
١٣- علي الكوراني العاملي(٢٠٠٦): كتاب بشارة النبي (ص) بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام،دار الهدى-قم، ط١،
١٤- السيد شهاب الدين العذاري، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت، ص١٥ – ١٦.
١٥- عمرو شريف(٢٠١٣):العقل ليس ملحداً ولا محايداً..بل مؤمنا، جريدة الرأي، العدد ١٢٥٣.
١٦- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢) عن أبي سعيد الخدري.بلغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما أغنى استطراد مصادره ، فإنه قد رواه الفريقان ، واعترفت به الفرقتان ، وعرفه الخاص والعام، غير أن الرواة اختلفوا في نص هذا الحديث الشريف اختلافا كثيرا ، إلا أن الاختلاف الذي جاء فيه لا يغير مفاده ، ولا يجعل منه منزعا للتأويل الزائغ ومن تلك الروايات:[1] صحيح مسلم - صحيح مسلم - فضائل الصحابة - من فضائل علي بن أبي طالب (ر) - رقم الحديث : (٤٤٢٥).
[2] سنن الترمذي - المناقب عن رسول الله - مناقب أهل بيت النبي (ص) - رقم الحديث : (٣٧١٨ - ٣٧٢٠)،الألباني - كتب تخريج الحديث النبوي الشريف - رقم الحديث : (١٧٦١).

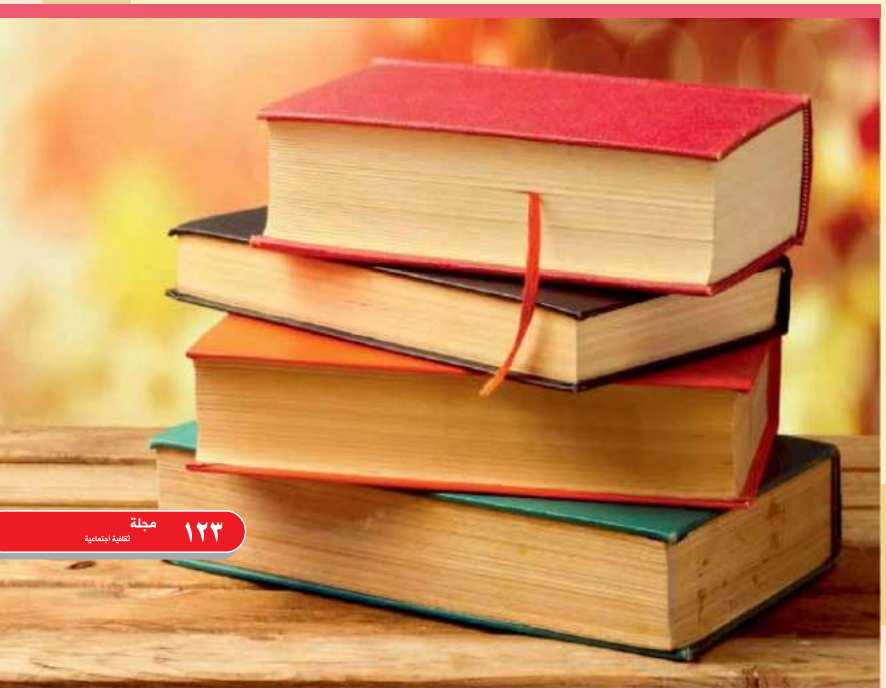

تربية الطفل وقت أمل البيت

عليهم السلام

تبدأ مرحلةُ الطفولةِ المبكّرةِ من عامِ الفطامِ إلى نهايةِ العامِ السادسِ أو السابعِ من عمرِ الطفلِ، وهي من أهمِّ المراحلِ التربويّةِ في نموِّ الطفلِ لغويّاً وعقليّاً واجتماعيّاً، وهي مرحلةُ تشكيلِ البناءِ النفسيِّ الذي تقومُ عليه أعمدةُ الصحةِ النفسيّةِ والخلقيّة، وتتطلبُ هذه المرحلةُ من الأبوين إبداءَ عنايةٍ خاصّةٍ في تربيةِ الأطفالِ وإعدادِهِم ليكونوا عناصرَ فعّالةً في المحيطِ الاجتماعيّ.

تعدُّ الأسرةُ مهدَ التربية، وهي منطلقُ التطبيعِ الاجتماعيّ، وتتضحُ أهميّةُ الأسرةِ وخطرها في تشكيلِ شخصيّةِ الطفلِ إذا ما تذكّرْنا المبدأ البيولوجيَّ الذي يقول "كلّما كان الكائنُ صغيراً كلّما ازدادت القابلية للتشكيل" حيث نجدُ أنَّ لها بالغَ الأثرِ في تشكيلِ شخصيّةِ الطفلِ تشكيلاً يبقى معه بعدَ ذلك بشكلٍ من الأشكال.

ثمَّ أنَّ الأسرةَ هي البيئةُ الاجتماعيّةُ الأولى التي يبدأ فيها الطفلُ بتشكيلِ ذاتِهِ والتعرفِ على نفسِهِ عن طريقِ عمليّةِ الأخذِ والعطاءِ والتعاملِ بينَه وبينَ أعضائها، وفي هذه البيئة يتلقى أولَ إحساسٍ بما يجبُ أو لا يجبُ أن يقومَ به. فهي مصدرُ الطمأنينةِ بالنسبةِ للطفلِ وذلك لسببيْن:

الأول؛ لأنّها مصدرُ خبراتِ الرضا إذ يصلُ الطفلُ من خلالها إلى إشباعِ جميع حاجاتِه.

والثاني؛ لأنّها المظهرُ الأولُ للاستقرارِ والاتصالِ في الحياة. لكن لن ننسى أنَّ لكلِّ واحدٍ من الأبويْن مزاجاً ومستوى في الحياةِ الاجتماعيّةِ والثقافيّة، وسلوكاً خلقيّاً ومواقفَ من المجتمع. والبارزُ عند الأطفال أنّهم يتعلقونَ بآبائهم عن طريقِ المحبّةِ والتعاطفِ والخوفِ أحياناً،

د. إيمان نعمة كاظم الموسوي
مركز الإرشاد الأسري في العتبة الحسينية - كربلاء المقدسة

وقد يكرهونَ آباءَهُم لقسوتِهم أو لتجاهلِهم لهُم، على أنَّه غالباً ما يكونُ هناك فارقٌ بين الفتياتِ والفتيان في المواقفِ وردودِ الفعلِ والتأثيرِ والانفعالِ جراءَ أساليبِ التربيةِ التي يتبعُها معهُم آباؤهُم ولاسيما إذا لم يستطيعوا معاملتَهُم بالمساواةِ والقسط.

هناك نقطةٌ أساسٌ يجب ألا ننساها، ونحن نتحدّثُ عن تربيةِ أطفالنا، وهو أنَّ الطفلَ جيءَ به لهذا العالمِ دون أن يُطلبَ منهُ ذلك، أو دونَ أن يُستشارَ أو يؤخذَ برأيه. وهذا ما جعلَ العالمَ الفرنسيَّ "جيرار مندل" يقترحُ بأن "يُمنحَ الطفلُ حقَّ التصويتِ إبتداءً من السنةِ الثانية عشرةَ حتى يُتاحَ لهم إبداءُ رأيهم في كثيرٍ من القضايا التي تهمّهُم خصوصاً في علاقتِهم بآبائهم".

من زاويةِ القوانين، نجدُ الهيئةَ العامّةَ للأممِ المتحدةِ صادقتْ بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٥٩م على وثيقةِ إعلانِ حقوقِ الطفل. هذه الوثيقةُ التي تصرّحُ في مقدّمتِها بأن "واجبَ الإنسانيّةِ هو أن تمنحَ الطفلَ أحسنَ ماعندَها". كما تنصُّ الموادُّ التاسعةُ والرابعةُ والسابعةُ على ضرورةِ منحِ الطفلِ منذ ولادتِهِ حقَّ الضمانِ الاجتماعيّ، بل وتوفيرِ التغذيةِ الكافيةِ والسكنِ الصحيِّ والمعالجةِ الطبيّةِ له بما يحميهِ من مخاطرِ الأمراضِ والأوبئةِ التي يمكنُ أن تهدّدَ حياتَه، ويبتعدُ به عن كلِّ أشكالِ العنف. إن المتخصّصينَ يتحدّثونَ في قضايا الطفلِ عن حاجاتِهِ من النواحي الجسميّةِ والنفسيّةِ والاجتماعيّة. وهي حاجاتٌ موضوعيّةٌ ينبغي إشباعُها بالنظرِ لتأثيرِها المباشرِ على نموِّ الطفلِ البيولوجيِّ والنفسيِّ والاجتماعيّ. لقد ذهبَ هؤلاءِ المختصّونَ إلى الحديثِ عن مجموعةٍ كبيرةٍ من الحاجاتِ التي تتحوّلُ إلى رغبةٍ نفسيّةٍ يمكنُ أن تحكمَ حياةَ الطفلِ في سنِّ الرشدِ وهنا يمكنُ استحضارَ ما قدّمتهُ عالمةُ النفسِ النمساويّةِ "ميلاني كلاين" التي ذهبتْ في كتابها "الرغبةِ والامتنان" إلى التأكيدِ على أنَّ بين الرغبةِ والحاجةِ تقومُ علاقةٌ تحويليّةٌ تصبحُ فيها الحاجةُ الطبيعيّةُ رغبةً نفسيّةً لا شعوريّةً تحكمُ شخصيّةَ الطفلِ في المستقبل.

وتتحدّدُ معالمُ التربيةِ ضمن المنهجِ التربويِّ الآتي:

أولاً: تعليم الطفل معرفة الله تعالى.

الطفلُ مجبولٌ بفطرتِهِ على الإيمان باللهِ تعالى، حيثُ تبدأ تساؤلاتُهُ عن نشوءِ الكون وعن نشوئهِ ونشوءِ أبويْهِ ونشوءِ مَن يحيطُ به، وأنَّ تفكيرَهُ المحدودَ مهيّأ لقبول فكرةِ الخالق والصانع، فعلى الوالديْن استثمارَ تساؤلاتِهِ لتعريفِهِ باللهِ تعالى الخالق في الحدودِ التي يتقبّلُها تفكيرُهُ المحدود، والإيمانُ باللهِ تعالى كما يؤكّدُهُ العلماءُ سواء كانوا علماءَ دينٍ أو علماءَ نفسٍ. (إنّها من أهمِّ القيَمِ التي يجبُ غرسُها في الطفل... ممّا سوف يُعطيهِ الأملَ في الحياةِ والاعتمادَ على الخالق، ويوجِدَ عندَهُ الوازعَ الدينيَّ الذي يحميهِ من اقترافِ المآثم).

والتربيةُ والتعليمُ في هذه المرحلةِ يُفضّلُ أن تكونَ بالتدريج ضمن منهجٍ متسلسلٍ متناسبٍ مع العمرِ العقليِّ للطفل، ودرجاتِ نضوجِهِ اللغويِّ والعقليّ، وقد حدّدَ الإمامُ محمدُ الباقر (عليه السلام) تسلسلَ المنهجَ قائلاً:

"إذا بلغَ الغلامُ ثلاثة سنينَ يُقال له: قُلْ لا إلهَ إلا اللهُ سبعَ مرّات، ثمَّ يُتركُ حتى تتمَّ لهُ ثلاثةُ سنينَ وسبعة أشهرٍ وعشرونَ يوماً فيُقالُ له: قُلْ محمدٌ رسولُ اللهِ سبعَ مرّات، ويُتركُ حتى يتمَّ لهُ أربعُ سنينَ ثمَّ يُقالُ له: قُلْ سبعَ مرّاتٍ صلى اللهُ على محمدٍ وآلِه، ثمَّ يُتركُ حتى يتمَّ لهُ خمسُ سنينَ ثمَّ يُقالُ له: أيُّهُما يمينُك وأيُّهُما شِمالُك؟ فإذا عرفَ ذلك حوّلَ وجهَهُ إلى القبلةِ ويُقالُ له: أسجُدْ، ثمَّ يُتركُ حتى يتمَّ لهُ سبعُ سنينَ فإذا تمَّ لهُ سبعُ سنينَ قيلَ لهُ اغسِلْ وجهَكَ وكفّيْكَ فإذا غسلَهُما قيلَ لهُ صلِّ ثمَّ يُتركُ حتى يتمَّ لهُ تسعُ سنين، فاذا تمتْ له تسعُ سنينَ عُلّمَ الوضوءَ وضُربَ عليهِ وأُمرَ بالصلاةِ وضُربَ عليها فإذا تعلّمَ الوضوءَ والصلاةَ غفرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ ولوالديْهِ إن شاءَ الله".

وقد أثبتَ علمُ النفس الحديثُ صحّة هذا المنهج؛ فمن ٢ ـ ٣ سنواتٍ يكتسبُ كلامُ الطفل طابعاً مترابطاً ممّا يُتيحُ لهُ إمكانيّة التعبير عن فهمِهِ لكثيرٍ من الأشياءِ والعلاقات، وفي نهايةِ السنةِ الثالثةِ يُصبحُ الطفلُ قادراً على استخدام الكلام وفقَ قواعدَ نحويّةٍ ملحوظةٍ وهذا يمكّنُهُ من صنع جُملٍ أوليّةٍ وصحيحة.

وتعميقُ الإيمان باللهِ ضروريٌّ في تربيةِ الطفل.

والطفلُ في هذه المرحلةِ يكونُ مقلّداً لوالديْهِ في كلِّ شيءٍ بما فيه الإيمانُ باللهِ تعالى. يقولُ الدكتور "سبوك": "إنَّ الأساسَ الذي يؤمنُ به الإبنُ باللهِ وحبّهِ للخالق العظيم هو نفسُ الأساس الذي يحبُّ به الوالدان الله".

ويضيف: "بين العامِ الثالثِ والعامِ السادس يُحاولُ تقليدَ الأبويْن في كلِّ شيءٍ فإذا حدّثاهُ عن اللهِ فإنّهُ يؤمنُ بالصورةِ التي تحدّدُها كلماتُهُما عن اللهِ حرفياً". والطفلُ في هذه المرحلةِ يميلُ دائماً إلى علاقاتِ المحبّةِ والمودّةِ والرقةِ واللين فيُحبُّ أو يُفضّلُ "تأكيدَ الصفاتِ الخاصّةِ بالرحمةِ والحبِّ والمغفرةِ إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ مع التقليل إلى أدنى حدٍّ من صفاتِ العقابِ والانتقام".

فتكونُ الصورةُ التي يحملُها الطفلُ في عقلِهِ عن اللهِ تعالى صورةٌ جميلةٌ محبّبةٌ له فيزدادُ تعلّقُهُ باللهِ تعالى ويرى أنّهُ مانحُ الحبِّ والرحمةِ له.

وإذا أردْنا أن نكوّنَ لـه صـورةً عـن يـوم القـيامةِ فالأفضلُ أن نركّزَ على نعيمِ الجنّةِ بما يتناسبُ مع رغباتِه، من أكلٍ وشربٍ وألعابٍ وغير ذلك، ونركّزُ على أنّهُ سيحصلُ عليها إنْ أصبحَ خلوقاً ملتزماً بالآدابِ الإسلاميّة، ويُحرَمُ منها إنْ لم يلتزم، ويُؤجَّلُ التركيزُ على النارِ والعذابِ إلى مرحلةٍ متقدّمةٍ من عمره.

ثانياً: التركيز على حبّ النبي وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم)

قال رسولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم): "أدّبوا أولادَكُم على ثلاثِ خصال: حبِّ نبيّكُم، وحبِّ أهلِ بيتِه، وقراءةِ القرآن".

في هذهِ المرحلةِ تنمو المشاعرُ والعواطفُ والأحاسيسُ عند الطفل، من حبٍّ وبُغضٍ وانجذابٍ ونفور، واندفاعٍ وانكماش، فيجبُ على الوالديْن استثمارُ حالاتِ الاستعدادِ العاطفيِّ عند الطفل وتنميةِ مشاعرِهِ وعواطفِه، وتوجيهها نحو الارتباطِ بأرقى النماذجِ البشريّةِ والمبادرةِ إلى تركيزِ حبِّ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحبِّ أهلِ البيتِ(عليهم السلام) في خلجاتِ نفسِه، والطريقةُ الأفضلُ في تركيزِ الحبِّ هو إبرازُ مواقفِهم وسلوكِهم في المجتمعِ وخصوصاً فيما يتعلقُ برحمتِهم وعطفِهم وكرمِهم، ومعاناتِهم وما تعرّضوا لهُ من حِرمانٍ واعتداء، يجعلُ الطفلَ متعاطِفاً معهُم مُحِبّاً لهم، مُبغِضاً لمن آذاهُم من مشركينَ ومنحرفين.

والتركيزُ على قراءةِ القرآن الكريمِ في الصغرِ يجعلُ الطفلَ منشدّاً إلى كتابِ الله، متطلّعاً إلى ما جاء فيه خاصةً الآياتِ والسورَ التي يفهمُ الطفلُ معانيها، وقد أثبتَ الواقعُ قدرةَ الطفلِ في هذه المرحلةِ على ترديدِ ما يسمعُهُ، وقدرتَهُ على الحفظ، فينشأ الطفلُ منجذباً وتوّاقاً للقرآن الكريم، وينعكسُ ما فيه من مفاهيمَ وقيَمٍ على عقلِهِ وسلوكِه.

ثالثاً: تربية الطفل على طاعة الوالدين

يلعبُ الوالدان الدورَ الأكبرَ في تربيةِ الأطفال، فالمسؤوليّةُ تقعُ على عاتقِهما أولاً وقبلَ كلِّ شيء، فهما اللذان يحدّدان شخصيّةَ الطفلِ المستقبليّة، وتلعبُ المدرسةُ والمحيطُ الاجتماعيُّ دوراً ثانويّاً في التربية.

والطفلُ اذا لم يتمرّنْ على طاعةِ الوالدين فإنّه لا يتقبّلُ ما يصدرُ منهُما من نصائحَ وإرشاداتٍ وأوامرَ إصلاحيّةٍ وتربويّة، فيخلقُ لنفسِهِ ولهما وللمجتمعِ مشكلاتٍ عديدة، فيكونُ متمرّداً على جميعِ القيَمِ وعلى جميعِ القوانينِ والعاداتِ والتقاليدِ الموضوعةِ من قبلِ الدولةِ ومن قبلِ المجتمع.

قال الإمامُ الحسنُ بنُ عليٍّ العسكريّ (عليه السلام): "جُرأةُ الولدِ على والدِهِ في صغره، تدعو إلى العقوق في كِبَره".

وقال الإمامُ محمدُ بنُ عليٍّ الباقر (عليه السلام): "... شرُّ الأبناءِ من دعاهُ التقصيرُ إلى العقوق".

وتربيةُ الطفلِ على طاعةِ الوالدين تتطلبُ جُهداً مُتواصلاً منهمُا على تمرينِهِ على ذلك؛ لأنَّ

الطفلَ في هذه المرحلةِ يرومُ بناءِ ذاتِهِ ويسعى إلى الاستقلاليّةِ الذاتيّة، فيحتاجُ إلى جهدٍ إضافيٍّ من قبلِ الوالدين، وأفضلُ الوسائلِ في التمرين على الطاعةِ هو إشعارُهُ بالحبِّ والحنان. يقولُ الدكتورُ يُسري عبدُ المحسن: "أهمُّ العواملِ التي تُساعدُ الطفلَ على الطاعة... الحبُّ والحنانُ الذي يشعرُ به الطفلُ من كلِّ أفرادِ الأسرة".

ومن الوسائلِ التي تجعلُهُ مطيعاً هي إشباعُ حاجاتِهِ الأساس وهي (الأمن، والمحبّة، والتقدير، والحريّة، والحاجةُ إلى سلطةٍ ضاغطة).

ويرى الدكتورُ فاخر عاقل هذه الحاجاتِ بالشكلِ الأتي: "الحاجةُ إلى توكيدِ الذات، أو المكانة، أن يُعترَفَ به وبمكانتِه، وأن يُنتبَهَ إليه... والحاجةُ إلى الأمان والحاجةُ إلى المحبّةِ والحاجةُ إلى الاستقلال".

فإذا شعرَ الطفلُ بالحبِّ والحنان والتقدير من قبلِ والديْه، فإنه يُحاولُ المحافظةَ على ذلك بإرضاءِ والديْه، وأهمُّ مصاديقِ الإرضاءِ هو طاعتُهُما.

فالوالدان هما الأساسُ في تربيةِ الطفلِ على الطاعة. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ والديْن أعانا ولدَهُما على برِّهِما". وأسلوبُ الإعانةِ كما حدّدهُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ عبداً أعانَ ولدَهُ على برِّهِ بالإحسانِ إليه، والتألفِ له، وتعليمِهِ وتأديبه".

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ مَن أعانَ ولدَهُ على برِّه، وهو أن يعفوَ عن سيّئتِه، ويدعو له فيما بينَهُ وبينَ الله".

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ مَن أعانَ ولدَهُ على برِّه... يقبلُ ميسورَه، ويتجاوزُ عن معسورِه، لا يُرهقُهُ ولا يخرُقُ به...".

وحبُّ الأطفال للوالديْن ردُّ فعلٍ لحبِّ الوالديْن لهما.

فإذا كان الحبُّ هو السائدُ في العلاقةِ بين الطفلِ ووالديْه، فإنَّ الطاعة لهُما ستكونُ متحققة الوقوع، وعلى الوالديْن أن يُصدِرا الأوامرَ برفقٍ ولينٍ بصورةِ نُصحٍ وإرشادٍ فإنَّ الطفلَ سيستجيبُ لهما، أمّا استخدامُ التأنيبِ والتعنيفِ فإنّهُ سيؤدّي إلى نتائجَ

عكسيّة، ولذا أكّدَ علماءُ النفس والتربيةِ على التقليلِ من التعنيفِ كما جاءَ في قولِ أنور الجندي: "يقتصدُ في التعنيفِ عندَ وقوعِ الذنب، لأنَّ كثرةَ العقابِ تهوّنُ عليه سماعَ الملامَةِ وتخفّفُ وقعَ الكلامِ في نفسه".

وإطاعةُ الأوامرِ لا يجدُ فيها الطفلُ الذي حصلَ على المحبّةِ والتقديرِ أيّة غضاضةٍ على حبّهِ للاستقلال، وبالمحبّةِ التي يستشعرُها تتعمّقُ في نفسِهِ القابليةُ على تقليدِ سلوكِ مَن يُحبُّهُم وهما الوالدان، فينعكسُ سلوكُهُما عليه، ويستجيبُ لهما، فإنّهُ إذا عوملَ كإنسانٍ ناضجٍ وله مكانةٌ فإنّهُ يستريحُ إلى ذلك ويتصرّفُ بنضجٍ وبصورةٍ لا تسيءُ إلى والديْه، فيتمرّنُ على الطاعةِ لهما، ومن ثمَّ الالتزامُ بجميعِ القيَمِ التي يتلقاها منهُما أو من المدرسةِ أو من المجتمع.

رابعاً: الإحسان إلى الطفل وتكريمه

الطفلُ في هذه المرحلةِ بحاجةٍ إلى المحبّةِ والتقديرِ من قبلِ الوالديْن وبحاجةٍ إلى الاعترافِ بهِ وبمكانتِهِ في الأسرةِ وفي المجتمع، وأن يُسلّطَ الضوءُ عليه، وكلّما أحسَّ بأنّهُ محبوب، وأنَّ والديْهِ أو المجتمع يشعرُ بمكانتِهِ وذاتِهِ فإنّهُ سينمو (متكيّفاً تكيّفاً حسَناً، وكينونتُهُ راشداً صالحاً تتوقفُ على ما إذا كانَ الطفلُ محبوباً مقبولاً شاعراً بالاطمئنان في البيت).

والحبُّ والتقديرُ الذي يحسُّ بهما الطفلُ لهما تأثيرٌ كبيرٌ على جميعِ جوانبِ حياتِه، فيكتملُ نموُّهُ اللغويُّ والعقليُّ والعاطفيُّ والاجتماعيّ، والطفلُ يقلّدُ مَن يحبُّه، ويتقبّلُ التعليماتِ والأوامرَ والنصائحَ ممّن يحبُّه، فيتعلمُ قواعدَ السلوكِ الصالحةِ من أبويْهِ وتنعكسُ على سلوكِهِ إذا كان يشعرُ بالمحبّةِ والتقديرِ من قِبلِهما.

وقد وردتْ عدّةُ رواياتٍ تؤكّدُ على ضرورةِ محبّةِ الطفلِ وتكريمه.

قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "أكرموا أولادَكُم وأحسِنوا آدابَهم".

وقال (صلى الله عليهوآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ عبداً أعانَ ولدَهُ على برِّهِ بالإحسانِ إليهِ والتألّفِ لهُ وتعليمِهِ وتأديبه". "نظرُ الوالدِ إلى ولدِهِ حبّاً لهُ عبادة".

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "أحِبّوا الصبيانَ وارحَمُوهُم، فإذا وعدتمُوهُم فوَفّوا لهُم، فإنّهُم لا يرونَ إلا أنّكُم ترزُقونَهُم".

ومن مصاديقِ محبّةِ الطفلِ وإشعارِهِ بمكانتِه، تشجيعُهُ ومدحُهُ على ما يُنجزُهُ من أعمالٍ وإنْ كانتْ يسيرةً والتجاوزُ عن بعضِ الهفوات، وعدمُ تسفيهِ أقوالِهِ أو أعمالِهِ وعدمُ حملِهِ على ما لا يُطيقُ كما جاءَ في قولِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "رَحِمَ اللهُ من أعانَ ولدَهُ على برِّه... يقبلُ ميسورَهُ ويتجاوزُ عن معسورِهِ ولا يُرهِقُهُ ولا يخرقَ به...".

ثمَّ أنَّ تقبيلَ الطفلِ من أفضلِ الوسائلِ لإشعارِهِ بالحبِّ والحنان. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "أكثِروا من قُبلةِ أولادِكُم، فإنَّ لكم بكلِّ قُبلةٍ درجةً في الجنة". "مَن قبّلَ ولدَهُ كان لهُ حسَنة، ومَن فرّحَهُ فرّحَهُ اللهُ يومَ القيامة...".

وقال الإمامُ جعفرٌ الصادق (عليه السلام): "برّوا آباءَكُم يبرُّكُم أبناؤكم".

ومن مصاديق إشعارِ الطفل بأنهُ محبوبٌ إسماعُهُ كلماتِ الحبِّ والودِّ. ففي روايةٍ (جاء الحسنُ والحسينُ يسعيانِ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فأخذَ أحدَهُما فضمَّهُ إلى إبطِهِ، وأخذ الآخر فضمَّهُ إلى إبطِهِ الآخرَ وقال: "هذان ريحانتايَ من الدنيا").

ومن أجلِ إشعارِ الطفلِ بمكانتِهِ الاجتماعيّةِ لتتعمّقَ الثقةُ بنفسِهِ. كان رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يسلّمُ على الصغيرِ والكبيرِ كما جاءَ في الخبرِ إنّه؛ مرَّ على صبيانٍ فسلّمَ عليهم.

وتعاملَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الحسنِ والحسينِ تعاملاً خاصاً، فقد بايعَ الحسنُ والحسينُ وهما صبيّان.

وإشعارُ الطفلِ بالحبِّ والحنانِ من أهمِّ العواملِ التي تساعدُهُ على الطاعةِ والانقيادِ للوالدين.

والأفضلُ أن يكون إشعارُ الطفلِ بأنّهُ محبوبٌ مرافقاً له في كلِّ الأوضاعِ والأحوالِ حتى وإنْ أخطأ أو ارتكبَ ما يوجِبُ التأنيبَ أو العقاب، والأفضلُ أن نجعلَ الطفلَ مميّزاً بين الحبِّ لهُ وعدمِ كراهيّتِهِ في حالةِ خطئِهِ أو ذنبِه. يقول الدكتور سبوك: إنّنا كآباءٍ يجبُ أن لا نجعلَ الطفلَ يشعرُ في أيِّ مرحلةٍ من مراحلِ عمرِهِ بأنّهُ منبوذٌ ولو حتى بمجرّدِ نظرةِ عيْن. إنّ الطفلَ لا يستطيعُ أن يفرّقَ بين كراهيّةِ والديهِ لسلوكِهِ وبينَ كراهيتِهما له.

ولكن بالتدريبِ وتكرارِ العملِ يمكنُنا أن نُقنعَ الطفلَ بأنَّ العملَ الخاطئَ الذي يرتكبُهُ مبغوضاً من قبلِ والديْه، أو من قبلِ المجتمعِ مع بقاءِ المحبوبيّةِ له، ونحاولُ إقناعَهُ بالإقلاعِ عن الأعمالِ الخاطئةِ وإشعارَهِ بأنَّ الحبَّ والحنانَ سيصلُ إلى أعلى درجاتِهِ في هذهِ الحالة.

خامساً: التوازن بين اللين والشدّة

تكريمُ الطفلِ والإحسانُ إليهِ وإشعارُهُ بالحبِّ والحنان وإشعارُهُ بمكانتِهِ الاجتماعيّةِ وبأنّهُ مقبولٌ عند والديْهِ وعند المجتمع، يجبُ أن لا يتعدّى الحدودَ إلى درجةِ الإفراطِ في كلِّ ذلك، وأن لا تُتركَ لهُ الحريّةُ المطلقةُ في أن يعملَ ما يشاء، فلابدّ من وضعِ منهجٍ متوازنٍ في التصرّفِ معه من قبلِ الوالديْن، فلا يتساهلا معَهُ إلى أقصى حدودِ التساهل، ولا أن يُعنّفَ على كلِّ شيءٍ يرتكبُه، فلابدّ أن يكونَ اللينُ وتكونُ الشدّةُ في حدودِهِما، ويكونَ الاعتدالُ بينهُما هو الحاكمُ على الموقفِ منه حتى يجتازَ مرحلةَ الطفولةِ بسلامٍ واطمئنان، يميّزُ بين السلوكِ المحبوبِ والسلوكِ المنبوذ، لأنَّ السنينَ الخمسةَ أو الستةَ الأولى من الحياةِ هي التي تكوّنُ نمطَ شخصيّتِه.

وقد أكدتِ الرواياتُ على الاعتدالِ في التعاملِ مع الطفلِ فلا إفراطَ ولا تفريط. قالَ الإمامُ الباقرُ (عليه السلام): "شرُّ الآباءِ من دعاهُ البرُّ إلى الإفراط...". وفي حالِ ارتكابِ الطفلِ لبعضِ المخالفاتِ السلوكيّة، على الوالدين أن يُشعِرا الطفلَ بأضرارِ هذه المخالفةِ وإقناعِهِ بالإقلاعِ عنها، فإذا لم ينفعِ الإقناعُ واللينُ يأتي دورُ التأنيبِ أو العقابِ المعنويِّ دونَ البدنيّ، والعقوبةُ العاطفيّةُ خيرٌ من العقوبةِ البدنيّةِ كما أجابَ الإمامُ موسى بنُ جعفرٍ الكاظمُ (عليه السلام)

حـــــينما سُئلَ عن كيفيّةِ التعاملِ مع الطفل فقـــال: "لا تضربْهُ واهجُرْه... ولا تُطل".
واضح أنَّ الاعتدال في التعاملِ مع الطفل ونبـــذ الإفراطِ والتفريطِ أمرٌ أكدتْ عليه الروايـات. فالإمـامُ لا يدعـو إلـى اللين والتســـاهل مع الطفل في حـــال تكرار الأخطاء، كما لا يدعو إلى استمرار العقوبةِ العاطفيّةِ وهـي الهجْر، وإنّما يدعـو إلـى الاعتدال والتوازن بين اللين والشدّة.
والإفراطُ أو التفريطُ يؤدّي إلى تأثيراتٍ سلبيّةٍ على الطفل من جميع الجوانبِ العقليّةِ والعاطفيّةِ والخلقيّة.
ويجبُ في ضوءِ المنهج التربويِّ السليم أن يحدثَ التوازنُ بين المدح والتأنيب، فالمدحُ الزائدُ كالتأنيبِ الزائدِ يؤثرُ على التوازن الانفعاليِّ للطفل، ويجعلُهُ مضطرباً قلقاً، فالطفلُ (الناشـــئُ في ظلِّ الرأفةِ الزائدةِ لا يطيقُ المقـاومة أمامَ تقلبـاتِ الحـياة، ولا يستطيعُ الصراعَ معها).
نعم. أكدتِ الرواياتُ على الاعتدال في التعاملِ مع الطفل فلا إفراطَ ولا تفريط.
يتأخرُ النضوجُ العاطفيُّ عند الطفل المدلل وتطولُ مدة الطفولةِ لديهِ فيبقـى محـتاجاً لوالديْهِ في كلِّ المواقـــفِ التي تواجهُهُ وتصاحبُهُ هذه الحالةُ حتى في كِبَره، فنجدُ في واقـعِنا الاجتماعيِّ أطفالاً أو كبـاراً ينتظرونَ من المجتمع أن يلبّيَ مطالبَهُم أو يؤيّدَ آراءَهُم، أو يمدحَهُم ويُثني عليهم، فهم لا يستطيعونَ مواجهة المشكلاتِ التي تقفُ في طريق تلبيةِ طموحاتِهم. الكلام نفسه يأتي في سلوكِ الطفل المنبوذِ أو المتعرّض للإهاناتِ أو التأنيبِ الزائدِ من قبـــل والديْهِ ومحاسبتِهِ على كلِّ شيءٍ يصدرُ منه، كما قالَ أميرُ المؤمنينَ (عليه السـلام): "الإفراطُ في الملامَةِ يُشِبُّ نيرانَ اللجاج".
ولذا نجدُ في المجتمع أنَّ الأحداثَ المنحرفينَ المتصفينَ بـــصفاتٍ عدوانيّةٍ اتجاهَ الآخرينَ كانوا معرَّضينَ للإهاناتِ والعقوبـــاتِ المستمرّة.
وعلى الوالديْن أن يضعا للأطفال بـــرنامجاً يوضّحـــان لهمُ المحبـــوبَ والمذمومَ من الأعمال، ويكونَ المدحُ أو التأنيبُ منصبّاً على العمل المرتكَبِ لكي نزرعَ في قـلوبهم حـبَّ الصالح من الأعمال وبُغضَ الطالح منها، وأن يتمَّ العمل على تقـويةِ الضمير في نفس الطفل في هذه المرحـلةِ حـتى يكونَ صمّاماً لهُ في المستقبل، فنزرعُ في قلبِهِ الخوفَ من ارتكابِ العمل غير الصالح والشـــوقَ إلى العمل الصالح، بدلاً من الخوفِ من العقوبةِ أو الشوق إلى المدح والإطراء.

وعلى الوالدين أن يجعلا المدحَ أو التأنيبَ خالصاً من أجل تربيةِ الأطفال، وأن لا يعكسا أوضاعَهُما النفسيّة في التربية، كمن يواجهُ مشكلة فيصبُّ غضبَهُ على الطفل دونَ أي مبرّر.

في هذا الصدد؛ نهى رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأدبِ عندَ الغضب. هناك بعضُ الحالاتِ يجبُ على الوالدين الانتباهَ إليها كي لا تأتي على عقلِ الطفل وعواطفِهِ بآثارٍ عكسيّة، فمثلاً يقومُ الطفلُ بكسرِ شيءٍ ثمينٍ فيُصيبُهُ الفرحُ لأنّهُ يرى نفسَهُ قد أقدمَ على شيءٍ جميلٍ بأن حوّلَ هذا الشيءَ إلى شيئين عن طريقِ عمليّةِ الكسر، فهو يحتاجُ في نظرهِ إلى مدحٍ وثناء، وهنا تأتي العقوبةُ بدلاً من المدح فيتفاجأ الطفل، وتكونُ للعقوبةِ تأثيراتُها النفسيّةُ عليه.

وفي حالاتٍ أخرى يكونُ الطفلُ بحاجةٍ إلى التأنيبِ أو الذمِّ أو الهجران أو العقوبةِ البدنيّةِ أحياناً كما يقولُ الدكتور سبوك: إنَّ الأطفال في معظمِ الأحوال يفرحونَ لأنَّ الوالدَ قد وضعَ حداً لوقاحتِهم.

والطفلُ في حالةِ مرضِهِ بحاجةٍ إلى رعايةٍ متوازنةٍ فلا إفراطٌ ولا تفريط، فلا اهتمامَ زائداً ولا عدمَ اهتمام، والتوازنُ أفضل، وهو إشعارُهُ بالاهتمامِ في حدودِهِ المعقولةِ لأنَّ (طريقة المبالغةِ التي تتبعُها الأمهاتُ عندما يُصابُ أطفالهنَّ بالمرض تؤثرُ على نفسيّةِ الطفل في الكِبَر... يخلقُ منهُ طفلاً مكتئباً كثيرَ الشكوى سريعَ الانفعال).

ويجبُ مراعاةُ وحدةِ الأسلوبِ التربويِّ من قبلِ الوالدين، والاتفاقُ على منهجٍ واحدٍ من أجلِ أن يتعرّفَ الطفلُ على الصوابِ والخطأ في سلوكِه، فلو استخدمَ الأبُ التأنيبَ مع الطفلِ لخطأ معيّن، فعلى الأمِّ أن لا تُخالفَ الأبَ في ذلك، وكذا الحالُ في المدح لأنَّ (الاضطراباتِ السلوكيّة والأمراضَ النفسيّة التي تُصيبُ الطفلَ في حداثتِهِ والرجلَ في مستقبلِهِ تكونُ نتيجة المعاملةِ الخاطئةِ للأبوين، من قبيلِ تناقضاتِ أسلوبِ المعاملة، كالتذبذبِ بين التسامح والشدّة والتدليل والإهمال، وتكونُ نتيجةُ هذه التطوّراتِ إما خلقُ روح العدوان والجنوح وبرودِ العاطفةِ والإحباطِ والوسواس من ناحيةٍ أو المغالاةِ في الاعتمادِ على الاخرين والسلوكِ المدلّلِ وضعفِ الشخصيّةِ من ناحيةٍ أخرى).

سادساً: العدالة بين الأطفال

الطفلُ الأولُ في الأسرةِ يكونُ موضعَ حبٍّ وحنانٍ وعنايةٍ من قِبلِ والديْهِ لأنّهُ الطفلُ الأولُ والطفلُ الوحيد، فيُمنحُ الاهتمامُ الزائد، والرأفةُ الزائدة، ويلبى كثير من حاجاتِهِ الماديّةِ والنفسيّة، فنجدُ الوالدين يسعيان إلى إرضائهِ بمختلفِ الوسائلِ ويوفرانَ له ما يحتاجُهُ من ملابسَ وألعابٍ وغيرِ ذلك من الحاجات، ويكونُ مصاحِباً لوالديهِ في أغلبِ الأوقاتِ سواءً مع الأمِّ أو مع الأبِ أو مع كليهما، وبعبارةٍ أخرى يلقى دلالاً واهتماماً استثنائياً، ومثلُ هذا الطفلِ وبهذه العنايةِ والاهتمامِ سيواجهُ مشكلة صعبة عليه في حالةِ ولادةِ الطفلِ الثاني، وتبدأ مخاوفُهُ من الطفلِ الثاني، لأنّهُ سيكونُ منافساً له في كلِّ شيء، ينافسُهُ في حبِّ

الوالدين ورعايتهم له، وينافسُهُ في منصبهِ بعدَ ما كان الطفلَ الوحيدَ سابقاً، وينافسُهُ في ألعابه، وتبدأ بوادرُ الغيرةِ عليه منذ أول يوم الولادة، إذ ينشغلُ الوالدان بالوضع الطارئ الجديدِ وسلامةِ الوالدةِ والطفل، فاذا لم ينتبهِ الوالدان إلى هذه الظاهرة، فإنَّ غيرةَ الطفل الأول ستتحولُ بالتدريج إلى عداءٍ وكراهيّةٍ للطفل الجديد، وينعكسُ هذا العداءُ على أوضاعِهِ النفسيّةِ والعاطفيّة، ويزدادُ كلما انصبَّ الاهتمامُ على الطفل الجديدِ وأُخرجَ الطفلُ الأولُ عن دائرةِ الاهتمام، فيجبُ على الوالدين الالتفاتُ إلى ذلك والوقايةُ من هذه الظاهرةِ الجديدة، وإبقاءُ الطفل الأول على التمتع بالاهتمام نفسه وبالرعاية نفسها وإشعارهِ بالحبِّ والحنان، وتحبيبِهِ للطفل الثاني، وإقناعِهِ بأنّهُ سيصبحُ أخاً أو أختاً له يسليهِ ويتعاونُ معه، وأنّهُ ليس منافساً له في الحبِّ والاهتمام، ويجبُ عليهما تصديقُ هذا الإقناع في الواقع بأن تقومَ الأمُّ باحتضانِهِ وتقبيلِهِ ويقومُ الأبُ بتلبيةِ حاجاتِهِ أو شراءُ ألعابٍ جديدةٍ له، إلى غير ذلك من وسائل الاهتمام والرعايةِ الواقعيّة، والحلُ الأمثلُ هو العدالةُ والمساواةُ بين الطفل الأول والثاني فإنّها وقايةٌ وعلاجٌ للغيرةِ والكراهيّةِ والعداء.

وتتأكدُ أهميّةُ العدالةِ والمساواةِ كلما تقدّمَ الطفلان في العمر، إذ تنمو مشاعرُهُما وعواطفُهُما ونضوجُهُما العقليُّ واللغويُّ بالتدريج بما يجعلهُما يفهمان معنى العدالةِ ومعنى المساواة، ويشخّصان مصاديقَها في الواقع العمليّ، وقد وردتِ الرواياتُ المتظافرةُ لتؤكدَ على

إشاعةِ العدالةِ بين الأطفال. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إعدِلوا بينَ أولادِكُم كما تُحبّونَ أن يعدِلوا بينَكُم في البرِّ واللطف".[1]

والعدالةُ بين الأطفال مطلقةٌ وشاملةٌ لكلِّ الجوانبِ الحياتيّةِ التي تحيطُ بالأطفال في جانبها الماديِّ والمعنويّ، أي في إشباع حاجاتِهما الماديّةِ منها والمعنويّةِ للحبِّ والتقدير والاهتمام.

جاء عن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّهُ نظرَ إلى رجلٍ له ابنان فقبّلَ أحدَهُما وتركَ الآخر، فقال له: "فهلاّ ساويتَ بينَهُما".

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ أن تعدِلوا بين أولادِكُم حتى في القُبَل".

وأكد (صلى الله عليه وآله وسلم) على العدالةِ في العطاءِ والهديّةِ سواءً في الأكل والشربِ والثيابِ والألعابِ إلى غير ذلك كما جاء في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ساوُوا بين أولادِكُم في العطيّة، فلو كنتُ مفضّلاً أحداً لفضّلتُ النساء".

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): "إعدِلوا بين أولادِكُم في النّحَل كما تحبّونَ أن يعدِلوا بينَكُم في البرِّ واللطف".

والعدالةُ لا تعني عدمَ التفضيل بين الأطفال، فبعضُ الأطفال يكونونَ أكثر جاذبيّةً من بعض لدى الوالديْن.

فعن رفاعة الأسدي قال: سألتُ أبا الحسن ـ موسى بن جعفر (عليه السلام) ـ عن الرجل يكونُ له بنونَ وأمّهُم ليستْ بواحدة، أيُفضّلُ أحدَهُم على الآخر؟ قال (عليه السلام): "نعم، لا بأسَ به، قد كان أبي عليهِ السلامُ يفضّلُني على أخي عبدِ الله". والتفضيلُ يجبُ أن يكونَ مستوراً لا يُظهرُهُ أمامَهُما ويحتفظُ به في مشاعرِهِ القلبيّة، أمّا في الواقع فلا يعملُ إلا بالعدالةِ والمساواة، كما قال الإمامُ جعفرُ بنُ محمدٍ الصادق (عليه السلام): "قال والدي: واللهِ لأُصانِعُ بعضَ وُلدي وأجلسُهُ على فَخِذي وأكثرُ لهُ المحبّة، وأكثرُ لهُ الشكر، وأنَّ الحقَّ لغيرِهِ من وُلدي، ولكن محافظةً عليه منه ومن غيرِهِ لئلا يصنَعوا به ما فعلَ بيوسفَ إخوتُه" لأنَّ عدمَ العدالةِ له تأثيرُهُ السلبيُّ على نفسيّةِ الأطفال إذ تؤدّي إلى زرع روح الكراهةِ والبغضاءِ بينَهُم وتُفضي بالنتيجةِ إلى عداءٍ مستحكَم، واتخاذِ موقفٍ غيرِ سليمٍ كما فعلَ إخوةُ يوسفَ به حينما ألقوْهُ في البئر.

وقد كانتِ السيرةُ قائمةً على أساس إشاعةِ العدالةِ بين الأطفال سواءً اكانوا إخوةً أو أرام حاماً، فعن عبدِ اللهِ بن عباس قال: كنتُ عندَ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى فخذِهِ الأيسر ابنُهُ إبراهيمُ وعلى فخذِهِ الأيمن الحسينُ بنُ عليّ، وهو تارةً يقبّلُ هذا وتارةً يقبّلُ هذا. فإبراهيمُ ابنُ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسينُ ابنُ بنتِه، ومع كلِّ هذه الاختلافاتِ في الروابطِ فإنّهُ صلى الله عليه وآله وسلم لم يفرّقْ في المعاملةِ بينهما.

وفي رواية؛ كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم

يُصلّي فجاءَ الحسنُ والحسينُ فارتدَفاه، فلما رفعَ رأسَهُ أخذَهُما أخذاً رفيقاً فلمّا عادَ عادا، فلما انصرفَ أجلسَ هذا على فخذِهِ الأيمن وهذا على فخذِهِ الأيسر. وفي أخرى؛ كان رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطبُ على المنبر فجاء الحسنُ والحسينُ يمشيان ويعثران فنزلَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) من المنبر فحملَهُما ووضعَهُما بين يديْه.

ومن مصاديق العدالةِ والمساواة؛ عدمُ إقامةِ المقارنةِ بين الأطفال، في صفاتِهم الجسميّةِ والمعنويّةِ والنفسيّة، فلا يصحُّ أن يُقال فلانٌ أجملُ من فلان، أو أذكى منه أو أكثرُ خُلقاً منه لأنّها سيكونُ منبعاً للحقد، لأنَّ المقارنة بين الأطفال تؤدّي إلى (الغيرةِ من بعضِهم وإلى التنافس).

إنَّ المقارنة تؤدّي إلى فقدان الثقةِ بين الأشقاءِ والعكسُ صحيح. (عدمُ التفرقةِ في المعاملةِ هو أكبرُ دعامةٍ لخلق جوٍّ من الثقةِ المتبادلةِ بينَهُ وبين سائر أفرادِ العائلة).

ونلاحظُ عندَ كثيرٍ من الآباءِ مواقفَ غيرُ مقصودةٍ بأن يقول: إنَّ ابني فلانٌ يشبهُني،

وفلانٌ لا يشبهُني... حتى هذه المقارنة تعملُ عملَها في الغيرةِ والتنازع، والأفضلُ اجتنابُها.

ومن العدالة عدمُ التمييزِ بين الولدِ والبنت، لأنَّ التميّزَ يؤثرُ تأثيراً سلبياً على نفسيّةِ البنت، وعلى زرعِ العداوةِ والحقدِ بين الأختِ وأخيها، وهذه ظاهرةٌ شائعة في أغلبِ البلدان، حيث يميلُ الأبوان إلى الإبن أكثرَ من ميلِهما إلى البنت، ويُلبّيان مطاليبَ الولدِ أكثرَ من مطاليبِ البنت، ولغرض التقليلِ من شأن هذه الظاهرةِ جاءتِ الرواياتُ لتعطيَ للبنتِ عنايةً استثنائيّةً وتمرِّنَ الأبوين عليها كما جاء عن ابن عباسٍ عن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن دخلَ السوقَ فاشترى تُحفة فحملَها إلى عيالِهِ كان كحاملِ صدقةٍ إلى قومٍ محاويج، وليبدأ بالإناثِ قبلَ الذكور...".

والبدءُ بالإناث لا يولّدُ أيَّ تأثيرٍ سلبيٍّ على الطفلِ الإبن، لأنَّهُ يراهُ أمراً طبيعياً فلابدّ من تقديمِ أحدِهِم، وغالباً ما يسكتُ الطفلُ ولا يلتفِتُ إلى التمييزِ إن حصلَ على عطاءِ والديْه، سواءً أكان العطاءُ أولاً أو أم ثانياً.

والعدالةُ بين الأطفال لا تعني أن لا نتّخذَ أسلوباً للتشجيعِ كتخصيصِ هديّةٍ إضافيّةٍ لمَن يعملُ عملاً صالحاً، فإنَّ ذلك ضروريٌّ لتشجيعِ الطفلِ على السلوكِ الصالح، وقد ينفعُ في إقامةِ المنافسةِ المشروعةِ بين الأطفال وبما لا يؤثرُ على نفسياتِهم بصورةٍ سلبيّة، بل يجدونَها أمراً مشروعاً وحقاً طبيعياً. وعلى الوالديْن التعاملُ بحذرٍ في مثلِ هذه الحالةِ بالتعرّفِ على نفسيّةِ أطفالِهم، وابتكارُ الأساليبِ الناجحةِ في التشجيعِ المنسجمةِ مع حالاتِهم النفسيّةِ التي لا تؤدّي إلى الشعورِ بعدمِ العدالة.

ومهما تحققتِ العدالةُ والمساواةُ بين الأطفال فإنّها لا تستطيعُ إنهاءَ بعضِ المظاهرِ السلبيّةِ كالشجارِ والصراعِ بين الأطفال، وهي ظاهرةٌ طبيعيّةٌ تحدثُ بين الأطفالِ في كلِّ أو أغلبِ الأسَر، فتحدثُ

حالاتٌ من النقاشِ الحادِّ أو الاشتباكِ بالأيدي بين الأطفال، ويتهمُ أحدُ الأطفالِ أخاهُ أو أختَهُ بأنّهُ المقصّرُ في حقهِ أو البادئُ في العدوانِ عليه، وفي مثلِ هذه الحالةِ على الوالديْن أن يدرسا المشكلةَ دراسةً موضوعيّةً وأن ينظرا إلى الشجارِ والصراعِ بأنّهُ حالةٌ طبيعيّة، فإذا كان سهلاً وبسيطاً ومحدوداً، فالأفضلُ عدمُ التدخّلِ في إنهائه، وأن يُتركَ الأطفالُ يعالجونَ أمورَهُم بأنفسِهم لإنهاءِ الشجار، وليس صحيحاً أن يدخلَ الوالدانِ أو أحدُهُما كقاضٍ في الحكمِ بينهما، لأنَّ الحكمَ لأحدِ الأطفالِ دون الآخر لا ينسجمُ مع مبدأ تطبيقِ العدالةِ والمساواةِ مع الأطفال، أمّا إذا تكرّرَ الشجارُ والصراعُ عدّةَ مرّاتٍ أو كان مستمرّاً طوالَ النهار، أو كان قاسياً وخطراً على الأطفال، يأتي دورُ الأبوين في التدخّلِ لإنهائه، بإصدارِ الأوامرِ لكليهما بالتوقفِ السريعِ عن الاستمرارِ به، أو إلفاتِ نظرِهم إلى موضوعٍ آخر، وإشغالِهم به، أو التدخلِ لإبعادِ أحدِهِم عن الآخر، وإذا تطلبَّ الأمرُ استخدامَ التأنيبِ أو العقوبةِ المعنويّةِ فالأفضلُ أن تكونَ موجّهةً لكليهما انسجاماً مع تطبيقِ العدالةِ بين الأطفال.

سابعاً: الحرية في اللعب

اللعبُ استعدادٌ فطريٌّ عندَ الطفل يتمُّ من خلالِهِ التخلصُ من الطاقةِ الزائدةِ وهو مقدّمةٌ للعملِ الجدّيِّ الهادِف، وفيه يشعرُ الطفلُ بقدرتِهِ على التعاملِ مع الآخرين، وبمقدرتِهِ اللغويّةِ والعقليّةِ والجسديّة، بل يكتسبُ الطفلُ من خلالِهِ المعرفة الدقيقة بخصائص الأشياءِ التي تُحيط بهِ، فللعبِ فوائدُ متعدّدةٌ للطفلِ وهو ضروريٌّ لهُ في هذه المرحلةِ والمرحلةِ التي تليها، فالطفلُ (يتعلّمُ عن طريقِ اللعبِ عاداتِ التحكّمِ في الذاتِ والتعاونِ والثقةِ بالنفس... الألعابُ تُضفي على نفسيّتِهِ البهجة والسرورَ وتنمّي مواهبَهُ وقدرتَهُ على الخلقِ والإبداع).

ومن خلالِ اللعبِ يتحققُ (النموُّ النفسيُّ والعقليُّ والاجتماعيُّ والانفعاليُّ للطفل. ... ويتعلّمُ الطفلُ من خلالِهِ المعاييرَ الاجتماعيّة، وضبطَ الانفعالاتِ والنظامِ والتعاون... ويُشبعُ حاجاتِ الطفلِ مثل حبِّ التملك... ويُشعرُ الطفلَ بالمتعةِ ويعيشُ طفولتَه).

فاللعبُ حاجةٌ ضروريّةٌ للطفل، فلا يمكنُ أن نتصوّرَ أو نرى طفلاً لا يلعب. حتى الأنبياءَ والصالحينَ مرّوا في مرحلةِ اللعبِ وإن اختلفوا عن الآخرينَ في طريقةِ وأسلوبِ اللعب. ولذا جاءتِ الرواياتُ لتؤكّدَ على إشباعِ هذه الحاجة. قال الإمامُ جعفرٌ الصادق (عليه السلام): "دعْ إبنَكَ يلعبُ سبعَ سنين...".

ووردتْ روايةٌ عن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعبيرٍ آخر "الولدُ سيّدٌ سبعَ سنين...".

وعن أميرِ المؤمنينَ علي (عليه السلام): "يُرخى الصبيُّ سبعاً...".

فالرواياتُ تؤكّدُ على أن مرحلةَ ما قبلَ الثامنة من العمرِ هي مرحلةُ اللعب، وعلى الوالديْن أن يمنحا الطفلَ الحريّة في اللعبِ دون ضغطٍ أو إكراه، باستثناءِ الألعابِ الخطرةِ التي يجبُ إبعادُها عن الطفلِ أو إبعاده عنها.

أمّا نوعُهُ أو أسلوبُه، فمادام اللعبُ لا يُنافي الأخلاقَ العامّة ولا خطورةَ فيهِ على الطفلِ أو على الآخرين، والطفلُ في هذه المرحلةِ لا يحبِّذُ تدخلَ الوالديْن في شؤونِه، ولا يحبِّذُ كثرةَ الأوامرِ الصادرةِ إليه.

وأفضلُ اللعبِ عند الطفلِ هو اللعبُ الذي يختارُه، أو يصنعُهُ بنفسِه، أو يكتشفُ بنفسِهِ طريقةً جديدةً للعب، أو طريقةً خاصّة لاستعمالِ اللعب، ومن الأفضلِ للطفلِ أن يقومَ الوالدانِ بتوفيرِ اللعبةِ التي يحتاجُها الطفل، وتكونُ منسجمةً مع رغباتِه. يقولُ الدكتور سيوك: إنّنا يجبُ أن نتركَ للأطفالِ إدارةَ شؤونِ ألعابِهم حتى يستطيعوا التعلّمَ منها... لابدّ أن نتركَ لهُ قيادةَ الأمرِ بنفسِه، وأن يتبعَ ما يقولُهُ لهُ خيالُه، فحينها فقط تصبحُ اللعبةُ مفيدة. يجبُ أن تكونَ معلّمةً له، ولابدّ أن يُخضِعُها لأفكارِه، وعندما يجدُ نفسَهُ في حاجةٍ إلى مساعدةِ أحدِ الوالديْن لإدارةِ الكميّةِ من المشاكلِ الطارئةِ مع لعبتِه، فلابدّ أن يساعدَهُ الوالدان.

ويؤكدُ علماءِ النفسِ والتربيةِ جميعهم على حريّةِ الأطفالِ في اللعب (إذا حاولَ الأطفالُ رسمَ برنامجٍ خاصٍّ لهم في أعمالِهِمْ فلا تمنعوهُمْ من ذلك، لأنَّ مواصلةَ تطبيقِ خطّةٍ مرسومةٍ دون وقوفِ العوائقِ في

طريق ذلك عاملٌ فعّالٌ في تكوّن الشخصيّةِ عندَهُم.

وكان رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشجّعُ الحسنَ والحسينَ على المصارعة، فقد دخلَ (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاتَ ليلةٍ بيتَ فاطمة (عليها السلام ومعه الحسنُ والحسينُ (عليهما السلام) فقال لهما: "قوما فاصْطرعا...".

وعن صفوان الجمّال قال: ... أقبلَ أبو الحسن موسى، وهو صغيرٌ ومعهُ عناقٌ مكيّة، وهو يقول لها: أسجُدي لربِّك، فأخذَهُ أبو عبدِ الله (عليه السلام) وضمَّهُ إليه...

وكان رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمنحُ الحريّة الكاملة للحسن والحسين في التعامل معه، فكان الحسنُ والحسينُ أحياناً يركبان ظهرَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، ويقولان: حَلْ حَلْ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: "نِعمِ الجمَلُ جملُكما". ومثلُ هذه العمليّةِ تتكرّرُ في علاقةِ الطفل مع أبيهِ إذ يقومُ الأطفالُ بالركوبِ على ظهرِ أحدِ الوالديْن في الصلاة، ولذا يجبُ على الوالديْن عدمُ تعنيفِ الطفل على ذلك وتركُ الحريّةِ له، فإنّهُ سيتركُها بمرورِ الزمن.

وقد يُفهمُ من بعض الرواياتِ أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسهّلُ مثلَ هذه العمليّةِ وإن كانتْ على مرأى المجتمع، فعن عبدِ الله بن الزبير قال: أنا أحدّثكُمْ بأشبهِ أهلِهِ إليه وأحبِّهم إليه الحسن بن عليّ، رأيتُهُ يجيءُ وهو ساجدٌ فيركبُ رقبتَهُ أو ظهرَه، فما يُنزلُهُ حتى يكونَ هو الذي ينزل، ولقد رأيتُهُ يجيءُ وهو راكع، فيُفرجُ له بين رجليْهِ حتى يخرجَ من الجانبِ الآخر.

وكان رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يشاركُ الحسنَ والحسينَ في فعلِهما، ومشاركتُهُ لا تعني التدخّلَ في شؤونِهما، وإنّما يشاركُ متصرِّفاً كأنّهُ أحدُهُما، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يبركُ للحسن والحسين ويُخالِفُ بين أيديهما وأرجلهما، ويقول: "نِعمَ الجمَلُ جملُكما".

ومشاركةُ الوالديْن أو أحدِهما للأطفال في اللعبِ ضرورية جداً وهي من (أهمِّ العواملِ لتنميةِ قدراتِ الطفل، وأهمُّها أن يصبحَ مستقلاً وقويَّ الشخصية).

وأفضلُ طرُقِ المشاركةِ في اللعبِ أن يتكلّمَ الوالدان مع الأطفال بالكلماتِ والعباراتِ التي يفهمونَها والمتناسبةِ مع مستواهمُ اللغويِّ والعقليّ. بمعنى آخرَ أن يتصرّفَ وكأنّهُ طفل، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن كان عندَهُ صبيٌّ فليتَصابَ له".

علماءُ التربيةِ بدورهِمْ أكدوا هذه الحقيقة، إذ يقولُ موريس تي يش: يجبُ أن تسلُكوا مع أولادِكُمْ كأصدقاء، أن تعمَلوا معهُم، أن تشاركوهُم في اللعب... أن تتحدّثُوا معهُم بعباراتِ الودِّ والصداقة... إنَّ الفردَ يجبُ أن يعرفَ كيف يجعلُ نفسَهُ بمستوى الأطفال ويتكلّمُ بلغةٍ يفهمونَها.

واللعبُ مع الأطفال يمنحُهُم الإحساسَ بالمكانةِ المرموقةِ ويُدخِلُ عليهمُ البهجة والسرورَ فيجبُ (على الكبارِ الخضوعَ لرغبةِ الصغار إذا طلبوا منهُمْ اللعبَ معهم).

واللعبُ وسيلةٌ من وسائلِ التربيةِ والإعدادِ للعملِ الجديِّ فهو (وسيلة لفهمِ نفسيّاتِ الأطفال والوقوفِ على استعداداتِهم، ووسيلةٌ لتعليمِهم وتربيتِهم خلُقيّاً واجتماعياً).

يُعد لعبُ الأطفال تعبيراً حقيقيّاً عن سلوكِهمُ السويِّ أو المضطربِ (فالطفلُ أثناءَ لعبهِ يُعبّرُ عن مشكلاتِهِ وصراعاتِهِ التي يُعاني منها، ويُسقِطُ ما بنفسِهِ من انفعالاتٍ تجاهَ الكبار على لعبِه).

من هنا على الوالديْن مراقبةُ الأطفال في لعبهم دون أنْ يشعروا بالمراقبة، عندها سيحصلونَ على معلوماتٍ متكاملةٍ عن جميع جوانبِ الطفل، وسيمكنُهُم ملاحظة التفاعلِ الاجتماعيِّ بينهُم، وملاحظة الأحاديثِ والانفعالاتِ التي تُصاحبُ اللعب، وملاحظة أسلوبِ تعبيرِ الطفل عن رغباتِهِ وحاجاتِهِ ومخاوفِهِ ومشكلاتِه، وخصوصاً في حالةِ التكرارِ المتزايد، وملاحظة سلوكِ الأطفال من حيث اللينُ والعنفُ والاضطراباتُ العاطفيّة، وملاحظةُ رأيهِ بوالديْهِ خاصّةً عندَ تمثيلِ الطفلِ لدورِ الأبِ أو دورِ الأم، ومن خلال المراقبةِ والملاحظةِ يمكنُ التعرّفُ على نموّهِ اللغويِّ والعقليِّ والعاطفيّ، ثمَّ يأتي دورُ الوالديْن بعد المراقبةِ في وضعِ منهجٍ متكاملٍ للتوجيهِ والتربيةِ ينسجمُ مع حالةِ الطفلِ العاطفيّةِ والنفسيّةِ والعقليّة.

والملاحظةُ والمراقبةُ غيرُ المباشرةِ تُجدي

نفعاً أكثرَ من الملاحظةِ والمراقبةِ المباشرةِ عن طريق المشاركةِ في اللعب، لأنَّ الطفلَ في هذه الحالةِ المباشرةِ يخفي كثيراً من عواطفِهِ وآرائِهِ وتصوّراتِهِ خجلاً من والديْهِ أو خوفاً منهم.

ثامناً: التربية الجنسيّة وإبعاد الطفل عن الإثارة

التربيةُ الجنسيّةُ من أصعبِ وأعقدِ أنواعِ التربيةِ، وهي من الظواهرِ التي تسبّبُ إحراجاً للوالديْن.

تتنوّعُ طريقةُ التربيةِ تبعاً للمنهجِ الذي يتبنّاهُ الوالدانِ وتبعاً للعاداتِ والتقاليدِ الحاكمةِ على المجتمع، وتبعاً لدرجةِ الإدراكِ والوعي التي يحملُها الوالدان، ولذا نجدُ إفراطاً أو تفريطاً في كثيرٍ من أساليبِ التربيةِ الجنسيّة، والطفلُ سواءً أكان ذكراً أم أنثى يبدأ بالتساؤلِ عن كثيرٍ من الأمورِ المتعلّقةِ بالجنس، فيتساءلُ عن كيفيّةِ خلقِهِ في بطنِ أمِّه، واختصاصِ الأمِّ بالحملِ دون الأب، وكيفيّةِ الولادة، ويتساءلُ عن عدمِ الحملِ عند الطفلةِ الصغيرةِ أو المرأةِ غيرِ المتزوّجة، ويتساءلُ عن الفرقِ بين الذكرِ والأنثى وعن سببِه، فضلاً على العديدِ من الأسئلة، ومن العقلِ والحصانةِ أن يعدَ الوالدانِ هذه الأسئلةَ اسئلةً طبيعية ، فلا يُظهروا مخاوفَهُم منها، والأفضلُ عدمُ منعِ الطفلِ من هذه الأسئلةِ لأنّهُ سيبحثُ عن الإجابةِ من غيرِ الوالديْنِ فتسبّبُ له أتعاباً وانزعاجاتٍ وقلقاً إن كانت إجاباتٌ غيرُ شافيةٍ أو إجاباتٌ صريحة، فعلى الوالديْنِ أن يكونا على استعدادٍ تامٍّ لمساعدةِ الطفلِ بإجاباتٍ معقولةٍ مريحةٍ تُشبعُ فضولَهُم وتقطعُ تساؤلاتِهم بعدَ الإقناعِ والوثوقِ بها، على أن تكونَ منسجمةً مع فهمِ الطفلِ وإدراكِهِ ودرجةِ تقبّلِه. على سبيلِ المثالِ إن سألَ عن الحملِ فيكونُ الجوابُ (إنَّ اللهَ تعالى يضعُ الطفلَ في بطنِ أمِّه)، وإن سألَ عن الاختلافِ بين الجنسيْنِ يكونُ الجوابُ (أنتَ مثلَ والدِك، وأنتِ مثلَ والدتِك)، أو يُقالُ له: (لقد خلقَ اللهُ الأولادَ مختلفينَ عن البنات)، وأن تكونَ الإجابةُ بشكلٍ طبيعيٍّ بعيداً عن القلقِ والاضطرابِ بل بشكلٍ هادئٍ لا يفهمُ الطفلُ من خلالِها أنَّ سؤالَهُ والجوابَ عنهُ غيرُ طبيعيٍّ لأنّهُ يدفعُهُ للبحثِ بنفسِهِ عن الجواب.

وهناك رغباتٌ عندَ الأطفالِ يجبُ أنْ تُعالجَ بصورةٍ هادئةٍ ومَرنةٍ دون تزمّتٍ باستخدامِ التأنيبِ أو الضرب، ففي المرحلةِ التي تقعُ بين السنةِ الثالثةِ والخامسةِ أو السادسةِ من العمرِ يميلُ الأطفالُ إلى (التلذّذِ بعرضِ أجسامِهم من حينٍ لآخر).

وبعضُ الأطفالِ يعبثونَ باللعبِ بأعضائهم التناسليّة، فعلى الوالديْنِ إبعادُهُم عن ذلك بأسلوبٍ هادئٍ وإشغالِهم بشيءٍ آخر، وعليهمْ أن لا يتعرَّوا أمامَ الأطفال، فإنَّ

معظمَ الأطباءِ النفسيّينَ قرّروا من واقعِ خبراتِهم وتجاربِهم (أنَّ عريَّ الأبويْنِ وكشفَهُم لما يجبُ أن يُستر، أمرٌ مزعجٌ للطفل).

يعلّقُ الدكتور سبوك على ذلك قائلاً: أقترحُ على كلِّ الآباءِ والأمهات، أن يراعوا ذلك ويستروا ما يجبُ أن يُستر إلى الحدِّ المعقولِ في وجودِ الطفلِ دون أن يُحيطوا الأمرَ بهالاتِ الانزعاجِ العفويّةِ التي تحدُثُ في كلِّ أسرة).

وأغلبُ الأطفال في مرحلةِ الطفولةِ المبكرةِ من العامِ الرابع حتى السادس تصبحُ عندهُم (أعضاءُ التناسل منطقةً مولدةً للذّة) ثمَّ تأتي بعدَها مرحلةُ الكمون

ولذا حذّر أهلُ البيتِ (عليهم السلام) من إثارةِ الطفلِ الجنسيّةِ في هذه المرحلة، وأفضلُ طريقةٍ لإبعادِهِم عن الإثارة الجنسيّةِ هو أبعادُهُم عن رؤيةِ المباشَرةِ بين الوالدِ والوالدة. فعن الإمامِ جعفرٍ بن محمّدٍ الصادق (عليه السلام) قال: "قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيدِهِ لو أنَّ رجلاً غشيَ أمرأتَهُ وفي البيتِ صبيٌّ مستيقظٌ يراهُما ويسمعُ كلامَهُما ونَفَسَهُما ما أفلحَ أبداً، إن كان غلاماً كانَ زانياً، أو جاريةً كانت زانية".

وقالَ الإمامُ جعفرُ بنُ محمّدٍ الصادق (عليه السلام): "لا يُجامعُ الرجلُ امرأتَهُ ولا جاريتَه، وفي البيتِ صبيٌّ فإن ذلك ممّا يورّثُ الزنا".

والطفلُ في هذه المرحلةِ يُحاكي سلوكَ أبويْهِ ويقلدُهُما (فيعملُ ما يعملُهُ أبواه)، وبما أنَّ (اللعبة المفضلة في تلك الأعمال هي لعبةُ العريس والعروسةِ) لذا فإنَّ الأطفالَ سيمارسونَ في لعبهم ما شاهدوهُ من ممارساتٍ جنسيّةٍ من قبلِ الوالديْن، وقد يستمرّونَ عليها في مراحلِ العمرِ المتقدّمَة.

فيجبُ على الوالديْن تجنّبَ ذلك، وتجنّبَ مقدّماتِهِ كالتقبيلِ وغيره، ومن الخطأ الفاحش الذي يقومُ بهِ بعضُ الوالديْن هو التحدّثُ عن أمورِ الجنس أمامَ الأطفال في بعض المناسبات، فإنَّ ذلك يدفعُ الأطفالَ إلى زيادةِ فضولِهم، وعلى الوالديْن أن يحتاطوا في إجراءِ المباشرةِ حتى في حالةِ نومِ الطفلِ خوفاً من استيقاظِهِ فجأة، فانَّ ذلك يولّدُ في أعماقِهِ صدمةً نفسيّةً تبقى كامنةً في اللاشعور.

وعلى الوالديْن أن يراقبوا سلوكَ أبنائهم وطريقةَ لعبهم، ولاسيما في أماكنِ اختلائهم ببعضِهِمُ الآخر.

ثمَّ يجبُ على الوالديْن وقايةُ الأطفالِ من الإثارةِ الجنسيّة، وهو التفريقُ بينهُم عندَ المنام، بأن توضعَ فاصلةٌ بينهُم فلا ينامونَ تحتَ غطاءٍ واحدٍ بحيث يحتكُّ جسمُ أحدِهِم بالآخر، وقد وردَتْ عدّةُ رواياتٍ تؤكّدُ هذهِ الوقاية. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "يُفرَّقُ بين الصبيانِ في المضاجعِ لستِّ سنين".

وفي روايةٍ أخرى عنهُ (صلى الله عليه وآله وسلم): "فرّقوا بين أولادِكُم في المضاجع إذا بلغوا سبعَ سنين"، والتفريقُ مطلقٌ بين الذكورِ والذكور، وبين الإناثِ والإناث، وبين الذكورِ والإناث.

وفي وقتِنا الحاضرِ وبعد انتشارِ أجهزةِ السينما والتلفزيون والفيديو، باتت الحاجةُ شديدةً إلى إبعادِ الطفلِ عن الإثارةِ الجنسيّة، ويجبُ على الوالديْن في البلدانِ التي لا تتبنى الإسلامَ منهجاً لها في الحياة، وتعرُضُ الأفلامَ المثيرة، أن يقوما بجهدٍ إضافيٍّ في مراقبةِ الأطفالِ ووقايتِهم من النظرِ إلى هذه الأجهزةِ حذراً من مشاهدةِ الأفلامِ غيرِ المحتشَمَة، وفي الخصوص في

البلدان التي ترى أنَّ أفضلَ أسلوبٍ لتحرير الأطفال من الكبتِ المستقبليِّ هو عرضُ الأفلامِ الجنسيّة، وقد أثبتَ علماءُ النفس والتربيةِ صحّة النظريّةِ الإسلاميّةِ في ذلك، فالدكتور الأميركي سبوك يقول: (إنَّ النسبة المعتدلة من التحريم التي فُرضتْ علينا جميعاً أثناء الطفولةِ والتي نقلناها نحن بدورنا إلى أبنائنا، تلعبُ دوراً إيجابيّاً في تحرير عقل الطفل طوالَ سنواتِ الدراسة للتفرّغ لاهتماماتٍ غير ذاتيّةٍ كالكتابةِ والقراءةِ والحساب).

ولذا نراهُ ينتقدُ الممارساتِ الخاطئةِ في أمريكا وهو عريُّ الرجال وعريُّ النساءِ على الشواطئ الأمريكية.

وخلاصةُ القول إنَّ على الوالديْن أن يُجيبوا على أسئلةِ الأطفال حولَ مسائل الجنس بهدوءٍ لا تزمُّتَ فيه، وأن يُبعِدوهُم عن الإثارةِ الجنسيّةِ بمختلفِ ألوانِها وأشكالِها خصوصاً في عصر السينما والتلفزيون والفيديو.

تاسعاً: تنمية العواطف

العواطفُ من أهمِّ دوافع الإنسان للعمل، وتبدأ العواطفُ كما تقدّمَ منذُ الأيامِ الأولى في مرحلةِ الرضاعةِ ثمَّ تنمو بالتدريج حينما يتقدّمُ الطفلُ في العمر، وحينما يتسعُ محيطُهُ الاجتماعيّ، ويتأثرُ نموُّ العواطفِ وتغيّرُها بالفكر الذي يؤمنُ بهِ الطفلُ في حدودِ إدراكِهِ العقليّ، فحينما يؤمنُ الطفلُ بأنَّ أداءَ العملِ الفلانيِّ يُرضي والديْهِ أو يُرضي اللهَ تعالى فإنّهُ يندفعُ لأدائه، والعكسُ صحيح، ويمكنُ تقسيمُ العواطفِ على أربعةِ أقسام: الفرديّة، والعالية، والاجتماعيّة، والخلقيّة.

نقصدُ بالعواطفِ الفرديّةِ هي العواطفُ التي تتعلّقُ بذاتِ الإنسان كحبِّ التملّكِ وحبِّ الاستقلال وحبِّ التفوّق على الآخرين، وحبِّ المكانةِ الاجتماعيّةِ واحترامِ الآخرينَ له، وهي العواطفُ التي تجلبُ لهُ المنفعة الشخصيّة والذاتيّة.

والعواطفُ العاليةُ هي العواطف التي تسمو بالطفل في حدودِ إدراكِهِ العقليِّ إلى المثلِ الأعلى فتحبّبُ إليه الارتباطَ والتعلّقَ بالمطلق، وهو اللهُ تعالى؛ مصدرُ اللطفِ والإنعامِ والرأفةِ والرحمة، وتحبّبُ إليهِ الحقيقة والخير، وليسَ فيها تحصيلُ المنفعةِ الشخصيّةِ والذاتيّة.

والعواطفُ الاجتماعيّةُ هي العواطفُ التي تدفعُهُ إلى الارتباطِ بالآخرينَ ابتداءً بالوالديْن والإخوةِ والأخواتِ والأقاربِ وانتهاءً بالمجتمع والإنسانيّةِ جمعاء.

والعواطفُ الخلقيّةُ هي التي تتعلّقُ بالممنوع وغير الممنوع من أنواع السلوك، كالتعلّق بالصدق وتركِ الكذب، وسائر الأخلاق الممدوحةِ والمذمومة.

وأفضلُ الطرق والوسائل لتنميةِ العواطفِ عندَ الطفل من قبل الوالديْن، إشعارُهُ بالحبِّ عن طريق إحاطتهِ بالحنان والرأفةِ وإشباع حاجاتِهِ الماديّةِ والروحيّة، فإذا استشعرَ الطفلُ بذلك فإنّهُ يرتبطُ ارتباطاً عاطفيّاً بمصدر الحبِّ والحنان وهما الوالدان فتزدادُ ثقتُهُ بهما وتقليدِهما، والاستجابةِ أو الاقتناع بكلِّ ما يطرحانِهِ عليه من أفكارٍ ومفاهيمَ ومُثُل، ويكونُ مستعدّاً للاستجابةِ لأوامرهِم وتنفيذِ ما يطلبانِهِ منه، فتصبحُ لهما القدرةُ على الهيمنةِ على عواطفِه، وتوجيهها توجيهاً حسناً، ومتابعةِ خبراتِهِ ونشاطاتِهِ ولاسيما أثناءَ اللعب، فيتمُّ لهما العملُ على تنميةِ عواطفِهِ وتهذيبها بالصورةِ المنسجمةِ مع المفاهيم والقيم الصالحةِ وخلق التوازن بين مختلفِ أنواع العواطفِ لديه، وأهمُّ العواطفِ التي يجبُ تنميتُها هي العاطفةُ نحوَ اللهِ تعالى، فتنمو عندَهُ مشاعرُ الحبِّ والثقةِ باللهِ تعالى والتقديس له، حينما يؤمنُ بأنَّ اللهَ تعالى هو مصدرُ الإنعامِ والرحمةِ والمغفرة، وأنّهُ تعالى خلقَ النعيمَ الدائمَ في الجنّةِ للصالحينَ والمطيعين. ويجبُ على الوالديْن تنميةُ عواطفِ الطفلِ اتجاهَ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائرِ الرسلِ والأنبياءِ وأهلِ البيتِ (عليهم السلام)، وأفضلُ طريقةٍ في هذا

المجال هي طريقةُ السردِ القصصيِّ الهادف، والذي يحقّقُ فائدتيْن:

احدهما: تعميقُ حبِّهم في قلبه.

والاخرى: محاولةُ الاقتداءِ بهم بعد التعلّق بسلوكِهم في الحياة.

فتنمو في داخلِهِ العواطفُ المختلفةُ كحبِّ الإخلاص وحبِّ الكرامةِ وحبِّ الشجاعةِ والكرمِ والإيثار وحبِّ القيَمِ والسلوكِ الصالح، والابتعادِ عن كلِّ ما ابتعدُوا عنه، وتنمو عواطفُ البغض والكُرهِ والنفور من الذين خالفوهُم ووقفوا في مواجهتِهم واجتنابِ سلوكِهم في الحاضر أو في المستقبل.

ومن الأساليبِ الأخرى لتنميةِ العواطف؛ الإرشادُ والتوجيهُ المستمرّيْن، حتى يفهمَ الطفلُ المسموحَ والممنوعَ من السلوك، وكذلك التشجيعُ على الارتباطِ والتعلّق بالقيمِ والأعمالِ الصالحة، والتشجيعُ على ممارستِها في الواقع، فحينما يُعطي شيئاً من ألعابِهِ لطفلٍ آخرَ يتمُّ تشجيعُهُ على ذلك بالكلامِ الحسَن، وتعويضُهُ بإهداءِ لعبةٍ أُخرى له، وحينما يصدُقُ في قولِه أو يحترمُ الآخرينَ أو يرأفُ بالفقراءِ أو يساعدُ إخوانَهُ أو والديْهِ في أداءِ بعض الأعمال يُشجَّعُ على ذلك بالمديحِ والثناءِ والإطراءِ أمامَ الأسرةِ وأمامَ أقاربِهِ وأصدقائه.

والتعاملُ مع الطفلِ كصديقٍ يشجّعُهُ على التعبيرِ عن عواطفِهِ ومشاعرِهِ المكبوتة، وهذا التعبيرُ مفيدٌ جداً في تحقيقِ التوازنِ العاطفيّ، وتهذيبِ العواطفِ غيرِ المرضية.

نحن نجدُ من خلال التجربةِ أنَّ الأسلوبَ القصصيَّ من أفضل الأساليبِ في تنميةِ العواطف، ولا سيما الأسلوبَ المنسجمَ مع إدراكِهِ وقدرتِهِ العقليّة، فيمكنُ أن نقصَّ عليه قصصاً عن الطيور والحيواناتِ تتضمّنُ القيَمَ الصالحة والقيمَ الطالحة التي يتخذُها الطيرُ الفلانيُّ أو الحيوانُ الفلانيُّ فتنمو عندَهُ العواطفُ اتجاهَ العدل أو التعاون أو الإيثار أو القيَم الأخلاقيّةِ الأخرى، وتنمو عندَهُ عاطفةُ حبِّ المظلومينَ وبُغض الظالمين.

والقصصُ عن الطيور والحيواناتِ مرغوبةٌ ومحبّبةٌ لدى أطفال هذه المرحلة، فيستمعونَ إليها بشوقٍ وتلهّفٍ أكثرَ من القصص الواقعيّة، وتتضمّنُ أحداثاً كثيرةً تتوقفُ على خيالِ الوالدَيْن في السردِ القصصيّ، وتكونُ شاملةً لإظهار جميع أنواع وأقسامِ العواطف.

عاشراً: الاهتمام بالطفل اليتيم

اليتيمُ بعد فقدِ والدِهِ أو والدتِهِ أو كليهما يشعرُ بحِرمانٍ مطلق، حرمانٍ من إشباعِ حاجاتِهِ العاطفيّةِ والروحيّة، وحرمانٍ من إشباعِ حاجاتِهِ الماديّةِ كالحاجةِ إلى المأكلِ والمشربِ والملبس، فتنتابُهُ الهواجسُ والمخاوف، ويخيّمُ عليه القلقُ والاضطراب، فالشعورُ بالحرمانِ من العطفِ والحنانِ له تأثيراتُهُ السلبيّةُ على كيانِ الطفلِ وعلى بناءِ الشخصيّة، ومن خلالِ متابعةِ الواقعِ الاجتماعيِّ نجدُ أنَّ غالبيّةَ الأيتامِ الذين لم يجدوا العنايةَ والاهتمامَ من قبلِ الآخرينَ كانوا مضطربي الشخصيّةِ تنتابُهُم العقدُ النفسيّةُ وسوءُ التوافقِ مع المجتمعِ الذي حرمَهُم من العنايةِ والاهتمام، لذا أوصى الإسلامُ برعايةِ اليتيمِ رعايةً خاصّةً لا تقلُّ إن لم تَزِدْ على الرعايةِ الممنوحةِ للأطفالِ الآخرين، فأكد على إشباعِ جميعِ حاجاتِهِم الماديّةِ والروحيّة، وكانتِ الآياتُ القرآنيّةُ المختصّةُ برعايةِ الأيتامِ أكثرَ من الآياتِ المختصّةِ بعمومِ الأطفال.

وأولُ الحاجاتِ التي أكدَ الإسلامُ على إشباعِها هي الحاجاتُ الماديّة.

قال سبحانَهُ وتعالى: "ويُطعِمونَ الطعامَ على حبِّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً..."، "... أو إطعامٍ في يومٍ ذي مسغبةٍ يتيماً ذا مقربة". "... وآتى المالَ على حبِّهِ ذوي القُربى واليتامَى والمَساكين".

وجعل اللهُ تعالى لليتيمِ حقاً في أموالِ المسلمين "واعلَموا أنَّما غنِمتُم من شيءٍ فأنَّ للهِ خُمسَهُ وللرسولِ ولذي القُربى واليتامَى والمساكين...". وكذلك: "قُلْ ما أنفقتُمْ من خيرٍ فللوالديْن والأقربينَ واليتامَى والمساكين".

ونهى تعالى عن التصرّفِ بأموالِ اليتيمِ إلا بالصورةِ الأحسنِ التي تُجدي له نفعاً وربحاً "ولا تَقرَبوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلُغَ أشُدَّه".

وقال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "مَن عالَ يتيماً حتى يستَغني، أوجبَ اللهُ لهُ بذلكَ الجنّة". وكذلك: "مَن كفلَ يتيماً من المسلمينَ فأدخلَهُ إلى طعامِهِ وشرابِه، أدخلَهُ اللهُ الجنّةَ البتة، إلا أن يعملَ ذنباً لا يُغفَر". وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: "أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنّةِ كهاتيْن"، وهو يشير بإصبعيْه". وراعى المنهجُ الإسلاميُّ إشباعَ الحاجاتِ المعنويّةِ لليتيمِ كالإحسانِ إليهِ والعدلِ معه.

قال جلَّ وعلا: "وإذ أخذْنا ميثاقَ بني إسرائيلَ لا تعبدونَ إلا اللهَ وبالوالديْن إحساناً وذي القربى واليتامى والمَساكين...". وأيضاً: "... وأنْ تَقوموا لليَتامى بالقِسْط".

وقال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "خيرُ بيتٍ من المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ من المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه".

وأوصى رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بمداراةِ اليتيمِ والرفقِ بهِ وتكريمِهِ إذ قال: "حثَّ اللهُ تعالى على برِّ اليتامى لانقطاعِهِم عن آبائهم، فمَن صانَهُم صانَهُ اللهُ تعالى، ومن أكرمَهُم أكرمَهُ اللهُ تعالى، ومن مسحَ يدَهُ برأسِ يتيمٍ رفقاً بهِ جعلَ اللهُ

تعالى له في الجنّةِ بكلِّ شعرةٍ مرّتْ تحتَ يدِهِ قصْراً أوسعَ من الدنيا وما فيها...".

وشجّعَ الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) على التعامل مع اليتيم بحنانٍ ورحمةٍ فقال: "ما من عبدٍ يمسحُ يدَهُ على رأسِ يتيمٍ ترحّماً له إلا أعطاهُ اللهُ تعالى بكلِّ شعرةٍ نوراً يومَ القيامة".

ومن رعايةِ اليتيمِ معالجةُ المشكلاتِ التي تواجهُهُ والتي تسبّبُ له الألمَ والقلقَ والاضطراب. قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا بكى اليتيمُ اهتزَّ العرشُ على بكائهِ فيقولُ اللهُ تعالى: يا ملائكتي إشهَدوا عليَّ أنَّ من أسكتَهُ واسترْضاهُ أرضيتُهُ في يومِ القيامة".

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا بكى اليتيمُ في الأرض يقولُ اللهُ مَن أبكى عبدي وأنا غيّبتُ أباهُ في التراب؟ فوَعِزّتي وجلالي إنَّ مَن أرضاهُ بشطرِ كلمةٍ أدخلتُهُ الجنّة".

ومن الوصايا بشؤون اليتيم إدخالُ الفرح على قلبِهِ بإشباعِ حاجاتِهِ الماديّةِ أو الروحيّةِ من احترامٍ وتقديرٍ ومحبّةٍ أو مدحٍ وتشجيعٍ إلى غيرِ ذلك.

قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ في الجنّةِ داراً يُقالُ لها دارُ الفرحِ لا يدخلُها إلا مَن فرّحَ يتامى المؤمنين".

ومن الاهتمامِ والعنايةِ باليتيمِ هو القيامُ بتربيتِهِ تربيةً صالحةً وإعدادُهُ لأن يكونَ عنصراً صالحاً في المجتمع. قال أميرُ المؤمنين عليٌّ (عليه السلام): "أدّبِ اليتيمَ بما تؤدِّبُ منهُ وُلدَك...".

فاليتيمُ الذي يحصلُ على العنايةِ والرعايةِ والحبِّ والحنان يشعرُ بالراحةِ والطمأنينةِ ويعيشُ سويّاً في عواطفِهِ وفي شخصيّتِه، أمّا في حالةِ الحرمان فإنّهُ لا يصبحُ سويّاً وقد يلتقطُهُ بعضُ المنحرفينَ فيوجّهُهُ الوجهة غيرَ الصالحةِ فيصبحُ عنصراً ضاراً في المجتمع.

المصادر :

١- قاموس الطفل الطبي: ٢٩٤.
٢- من لا يحضره الفقيه، للصدوق ١: ١٨٢ | ٣ باب الحد الذي يؤخذ فيه الصبيان بالصلاة - دار المعارف للمطبوعات ١٤٠١ هـ.
٣- علم النفس التربوي، للدكتور علي منصور ٢: ١٣٢ - ١٤٠٧ هـ.
٤-مشاكل الاباء في تربية الابناء: ٢٤٨. نقلن المصدر السابق: ٢٥١.
٥-كنز العمال ١٦: ٤٥٦ | ٤٥٤٠٩.
٦-تحف العقول: ٣٦٨.
٧-تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٠.
٨-قاموس الطفل الطبي: ٣٢٨.
٩-علم النفس، لعبدالعزيز القوصي: ٢٦٤.
10-علم النفس التربوي، لفاخر عاقل: ١٠٠ - ١٠١.
11-مستدرك الوسائل ٢: ٦١٨.
١٢-مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٦.
13-عدة الداعي: ٦١
١٤-علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ١١١ - دار العلم للملايين ١٩٨٥ ط ١.
15-مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٥ - ٢: ٦٢٦.
16-مكارم الاخلاق: ٢١٩.
17-الكافي ٦: ٥٠ | ٦ باب بر الوالد.
18-عدّة الداعي: ٧٩.
19-تحف العقول: ٢٦٧.

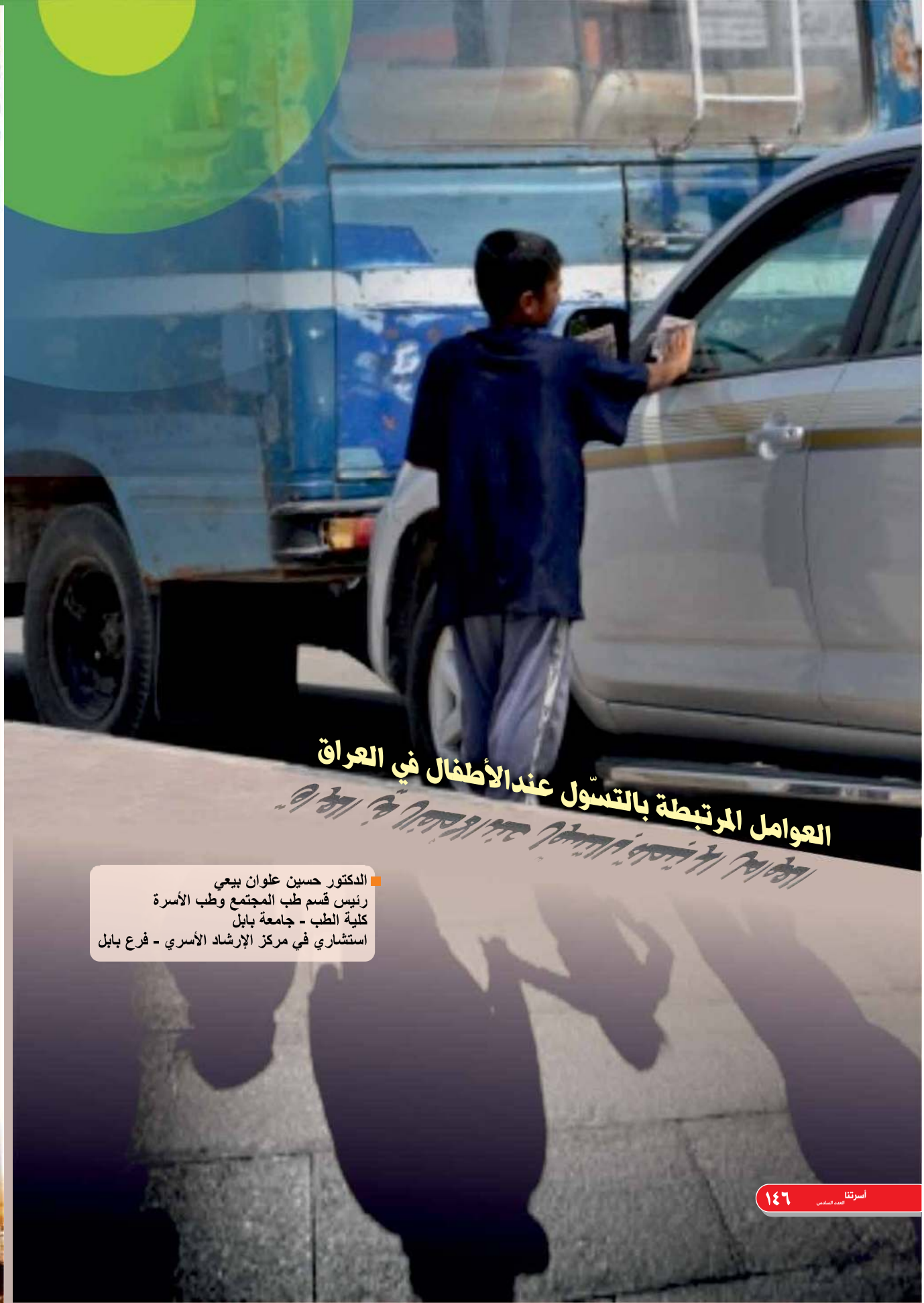

العوامل المرتبطة بالتسوّل عند الأطفال في العراق

الدكتور حسين علوان بيعي
رئيس قسم طب المجتمع وطب الأسرة
كلية الطب - جامعة بابل
استشاري في مركز الإرشاد الأسري - فرع بابل

التسوّل

اصطلاحاً له تعريفات متعددة منها؛ الوقوفُ في الطرقاتِ العامّةِ وطلبُ المساعدةِ الماديّةِ من المارّةِ أو الأماكن العموميّة، أو التظاهرُ بأداءِ الخدمةِ، للاخرين أو القيامُ بعملٍ من الأعمال يتخذُهُ شعاراً لإخباءِ التسوّل، وكذلك استغلالُ العاهاتِ أو اللجوءُ لأيّةٍ من وسائل الغشّ لكسبِ عطفِ الآخرين.

ظاهرةُ التسوّل من الظواهر الاجتماعيّةِ السلبيّةِ المنتشرةِ في كثيرٍ من المجتمعاتِ مع وجودِ فوارقَ في مدى انتشارها وحدّتِها من مجتمعٍ لآخر، والمجتمعُ العراقيُّ من المجتمعاتِ التي بدأت تتفشى فيه هذه المشكلةُ وأصبحتْ تعتمدُ في معظمِ صورِها على التحايل كوضع وصفاتٍ طبيّةٍ أو التظاهر بالعمى أو المرض.

هناك تسوّلٌ بالإعاقةِ والأطفال وتسوّلٌ بالفنِّ وتسوّلٌ بالوقار بل وتسوّلٌ بالعنفِ إضافةً للتسوّل السياسي...إلخ.

وما يلاحظُ في هذه الظاهرةِ الإقبالُ عليها في الوقتِ الحاضر خاصّةً من قبلِ النساءِ والأطفال.

التسوّلُ ظاهرةٌ سيكولوجيّةٌ وسيسيوكولوجيّة، يعاني منها المجتمع، وذمَّها الإسلام، إذ حثَّ ديننا على العملِ والاكتساب، والتعفّفِ عن الناس، حتى بايعَ الرسول الأكرم (صلى اللهُ عليه وآله وسلم) أصحابه، ثمَّ قال: "ولا تسألوا أحداً".

فكان الرجلُ يُسقطُ سوطَهُ فينزلُ ليأخذَهُ بنفسِهِ ولا يسأل أحداً أن يناولهُ إيّاه إذا كان قادراً على ذلك. وقد شخّص (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا المرضَ المجتمعيَّ الخطرَ وعزلَ المتسوّلينَ المقاومينَ للعلاج السلوكيِّ وأوصى بعدمِ قبولِ شهادتِهم ووضعَ لهم برامجَ للدعمِ النفسيِّ الاجتماعيِّ وميزانيةً خاصّةً من أموالِ الزكاة والصدقاتِ العامّةِ وأوصى برصدِهِم ومراقبتِهم بقصدِ الإصلاح.

ركزَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام) على مبدأ العدالةِ الاجتماعيّةِ على مستوى الفردِ والأسرةِ وكان مشاركاً للرعيّة مطّلعاً على أحوالِهم ساعياً لحلِّ مشكلاتِهم مؤكداً أهميّة الرعايةِ الاجتماعيّةِ والضمان الاجتماعيِّ لبناءِ مجتمعٍ قويّ، ولطالما أكدَ على وضعِ خططٍ لمحاربةِ الفقر واجتثاثِه، فقد وصفَ الفقرَ بالموتِ الأكبر، وقال (عليه السلام): "لو كانَ الفقرُ رجلاً لقتلتُه".

وركّزَ (عليه السلام) على أهميّةِ الإرادةِ والإدارةِ والتنظيمِ في صرفِ أموالِ الخراج لتحقيقِ التنميةِ الاجتماعيّةِ وصيانةِ وحفظِ حقوقِ الإنسانِ كقيمةٍ عليا استخلفَهُ اللهُ تعالى في أرضِه.

وقد حرَّمَ الإمامُ الصادقُ (عليه السلام) التسوّل.

من هنا نرى أنَّ التسوّلَ محرّمٌ في الإسلام ومجرَّمٌ في القوانين العربيّةِ والدوليّةِ ومنبوذٌ اجتماعياً لعواقبِهِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والصحيّةِ المجتمعيّةِ الخطرة.

وفي يومِنا هذا وللأسفِ الشديدِ أضحى التسوّلُ حرفة ومهنة وثقافة مقبولة لدى عددٍ غيرِ قليلٍ من الناس، ووسيلة للكسب، وتجارةً رابحة، بل إنَّ بعضهم اتخذَ التسوّلَ كمؤسّسةٍ مدرّةٍ للدخل، يوظّفُ فيها مَن شاءَ من أبناءِ جلدتِهِ ليُعينوهُ في مسألتِه، ويتقاسمونَ معَهُ الدخلَ اليومي.

تشهدُ شوارعُ بغدادَ وشوارعُ المحافظاتِ العراقيّةِ وتقاطعاتِها المروريّة تزايداً ملحوظاً في عددِ المتسوّلينَ من الأطفال.

هؤلاء الأطفال ممّن تتراوحُ أعمارُهُم ما بين السادسةِ والخامسة عشرة، يمارسونَ صوراً مختلفة من التسوّلِ منها ما هو مباشَر، ومنها ما يعتمدُ على بيع بعض الحاجيّاتِ البسيطة، وتنظيفِ زجاجِ السيّاراتِ وبأساليبَ شتى لا تختلفُ عن التسوّلِ المباشَر.

إنَّ فشلَ الطفلِ في التعليم، والفقر، وغيابَ دورِ الأسرةِ وتفكّكِها وما سوى ذلك من العواملِ النفسيّةِ والاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والسياسيّةِ والإداريّةِ فضلا على غيابِ الوعي المجتمعيِّ في تحييدِ هذه المشكلة، حيثُ يعتقدُ كثيرٌ من أبناءِ مجتمعِنا (العاطفيّونَ بطبعِهِم) بأن منحَ المالِ للمتسوّلِ هو شكلٌ من أشكالِ الصدقةِ والعطفِ والرحمةِ وربّما يعتمدُها بعضُهُم مبرِّراً لعدمِ تزكيةِ مالِهِ أو عدمِ أدائهِ فروضَهُ الدينيّة وتهرّبِهِ من دفعِ الضرائبِ أو ارتكابِهِ أو تورّطِهِ في مفاسدَ ماليّةٍ ظنّاً منه أنّها ستخفّفُ من ذنوبِهِ وآثامِه، وهو قد لا يعلمُ أنَّ عملَهُ هذا يدفعُ ويشجّعُ على التسوّلِ الذي يُعد عملاً غيرَ منتِجٍ، وأنَّ هدفَ القائمينَ عليه الحصولُ على المالِ دونَ جهدٍ ممّا يؤدّي إلى انخفاضِ إنتاجيّةِ المجتمعِ ككلٍّ وإعاقةِ التنميةِ الشاملة. كلُّ ما ذُكرَ أسبابٌ جوهريّةٌ تقفُ وراءَ استغلالِ الطفلِ في عمليّةِ التسوّل. إن استغلالَ الأطفالِ بسببِ ظروفِ الفقرِ والعوَزِ لإقحامِهِ في العملِ بالتسوّلِ كحلٍّ لمشاكلِهِم الماديّةِ هو تصرّفٌ غيرُ إنسانيٍّ وغيرُ أخلاقيّ. فحرمانُ الأطفالِ من حقوقِهِم بالتعليمِ والحياةِ الكريمةِ وإدخالُهُم في عالمٍ بعيدٍ عن عالمِهِم كلَّ البعدِ يجعلُهُم يفقدونَ

حسَّهُمُ الطفوليُّ ويكتسبونَ عاداتٍ شاذةً ويتعلّمونَ تصرّفاتٍ لا تنسجمُ مع طفولتِهمُ البريئة، إضطرّوا لتعلّمِها بسببِ الاحتكاكِ اليوميِّ بتلك الشريحةِ التي لا تناسبُ أعمارَهُم ولا عقولَهُم التي لم تنضجْ بعدُ لتميّزَ الصحَّ من الخطأ والجيدَ من الرديء، الأمرُ الذي يصدّرُ لهذا المجتمع جيلاً شاباً أمّياً غيرَ متعلّم وعالةً على هذا المجتمع لا ينتجُ إلا المزيدَ من المشكلاتِ الاجتماعيّةِ لاحقاً.

·أضرارُ تسوّل الأطفال كثيرةٌ وعميقة، فقد يقعونَ في بدايةِ انحدارِهِم فريسةً بيد مَن يزجّهُم في جرائمِ السرقةِ والخطفِ والإرهابِ وغيرها، والإناثُ يُصبنَ بانحرافاتٍ سلوكيّةٍ ويمرُرنَ بمآزقَ وطريقٍ الرذيلة، ويواجهنَ كذلك ألفاظاً بذيئة من الناس الذين ملّوا نتيجة الإلحاح في طلبهنَّ، فيضطرُّ بعض الناس إلى زجرِ المتسوّلينَ ممّا يدفعُهُم إلى الكراهيّةِ والإجرام، ولذلك ينمو هؤلاءِ مليئينَ بالنقمةِ والكراهيّةِ على المجتمع، لا يحبّونَ الحياةَ ولا التعاونَ ويفكّرونَ بالانتحار ويتمنّوْنَ الموتَ بعد الشعورِ بالدونيّةِ وتدنّي الذات. إنَّ ظاهرةً بهذا الحجم هي طارئةٌ على مجتمعِنا، فقد مرَّ الأخيرُ بعقودٍ خاليةٍ من التسوّل (ما بين خمسيناتِ وثمانيناتِ القرن الماضي) لكنَّ الظاهرةَ هذه بدأتْ تعودُ وتنتعشُ بعدَ سوءِ الأوضاعِ الأمنيّةِ والاقتصاديّةِ وتفشّي البطالة.

واضحٌ أنَّ الفشلَ كان حصيلة حملاتِ مكافحةِ ظاهرةِ التسوّل التي استفحلتْ في شوارع العاصمةِ وشوارع المحافظاتِ وباتت تُمارَسُ بصورةٍ فجّة.

لقد تمَّ تنفيذُ بحثٍ وصفيٍّ تحليليٍّ عن هذه الظاهرةِ في محافظةِ بابلَ عام ٢٠١١، وبالتركيزِ على شريحةِ الأطفالِ لكونِهم مستقبلَ البلد، وكان هدفُ البحث؛ تحديدَ العواملِ المرتبطةِ بتسوّلِ الأطفال.

طريقةُ البحثِ وتصميمُ الدراسة: الحالات والشواهد.

مكانُ وزمانُ الدراسة: المجتمعُ الحضريُّ لمدينةِ الحلة بمحافظة بابل، ٢٠٠١.

العيّنةُ وطريقةُ جمعِ البيانات: شاركَ في الدراسةِ ٢٠٠ طفل، (١٠٠) متسوّلٍ كحالات، و(١٠٠) طفلٍ من الأطفالِ العاملينَ في ورشِ عملٍ كعيّنةٍ ضابطةٍ تتراوحُ أعمارُهُم من ٨-١٨ سنةً تمَّ اختيارُ العيّناتِ والشواهدِ بطريقةِ العشوائيّةِ المنظّمةِ من المنطقة نفسها.

صُمّمتْ ورقةُ استبانةٍ لجمعِ البياناتِ باستجوابِ المشاركينَ بالدراسةِ من قبلِ الباحثِ وتمَّ إدخالُ المعلوماتِ لبرنامجِ تحليلٍ إحصائيٍّ لتحديدِ قوّةِ الترابطِ بين المتغيّراتِ إحصائياً.

أمّا النتائج...

أظهرتِ الدراسةُ أنَّ نسبةَ أرجحيّةِ المتغيّراتِ المستقلةِ وارتباطها بالمتغيّرِ المعتمَدِ (التسوّلُ عند الأطفال) هي؛ عاملُ وجودِ التاريخِ العائليِّ للتسوّلِ (٣٠،٠٣ مرّة) مرتبطٌ بحصولِ حالةِ التسوّلِ للطفلِ العراقيّ. واليُتمُ بواقعِ (٣،٤ مرة)، وزيادةُ حجمِ الأسرة (١١،٣٤٥ مرة)، وعدمُ دخولِ المدرسةِ (١٨،٦ مرة) أكثرَ عرضةً للتسوّل. وقد كانت نسبةُ أرجحيّةِ سوءِ استخدامِ الموادِ والتدخينِ والجنوحِ الإجراميِّ (١٦-٥) و(٥،٢٦-) و(٥٧-٤،) على التوالي. ولم تُظهرِ الدراسةُ وجودَ علاقةٍ إحصائيةٍ ذاتَ مغزى معنويٍّ بين تعاطي آباءِ الأطفالِ للكحولِ ووجودِ زوجةٍ ثانيةٍ في المنزلِ وحصولِ العائلةِ على راتبِ إعانةٍ اجتماعيّة.

الاستنتاج: أوضحتِ الدراسةُ أنَّ وجودَ تاريخٍ عائليٍّ للتسوّلِ وعدمَ الدخولِ للمدرسةِ وحجمَ الأسرةِ وعدمَ امتلاكِ المسكنِ له ارتباطٌ إحصائيٌّ مهمٌّ بحصولِ ظاهرةِ التسوّل.

التوصيات: توصي الدراسةُ بضرورةِ تطبيقِ أسلوبِ حلِّ المشكلاتِ من قبلِ فريقٍ متعدّدِ الاختصاصاتِ للحدِّ من هذه المشكلةِ وإنقاذِ الأطفالِ العراقيينَ من براثنِ استغلالِهم والإساءةِ إليهم.

هذا المشروعُ المقترحُ للتصدّي لهذه المشكلة، قابلٌ للتطبيقِ في العراقِ وضمنَ الموارِدِ المتاحةِ لوجودِ تجاربَ ناجحةٍ سابقةٍ في العراقِ لحلِّ مشكلاتٍ صحيّةٍ وتربويّةٍ عند الأطفالِ وفي مناطقَ مختلفةٍ في البلد.

أعتُمدَ هذا الأسلوبُ من قبلِ أربعِ منظّماتٍ عالميّةٍ معنيّةٍ برعايةِ الطفولةِ وطُبّقَ بنجاحٍ بعد تقييمِهِ بشكلٍ مستقلٍ من قبلِ منظمةِ الصحّةِ العالميّةِ في بدايةِ الألفيّةِ الثالثةِ وكانتِ النتائجُ مشجّعة.

إنّ هذا الأسلوبَ يعتمدُ اللامركزيّة والمنهجَ الإداريّ من الأسفل إلى الأعلى وبالتعاون مع المركز.

فوائدُ هذا الأسلوبِ يمكنُ تلخيصُها بالآتي:

١. تنميةُ المهاراتِ الإداريّةِ للعاملينَ من خلال التعلّم بالعمل.

٢. تعزيزُ التعاون والتنسيق بين القطاعاتِ المختلفة.

٣. تفعيلُ مشاركةِ المجتمع في الحلّ.

٤. خلقُ روح المنافسةِ بين الفرَق.

٥. الوصولُ إلى نتائجَ بمدّةٍ قصيرةٍ نسبيّاً.

٦. تعزيزُ مشاركةِ المجتمع المدنيّ في المساهمةِ في التخطيطِ والتنفيذِ والتقويم لمشكلاتٍ مجتمعيّةٍ حقيقيّةٍ وليستِ افتراضيّة.

٧. تعزيزُ ثقافةِ العملِ الفرقيّ الجمعيّ المنظّم، والابتعادُ عن الفردانيّةِ في اتخاذِ وصنعِ القرار وتنفيذِه.

٨. تعزيزُ ثقافةِ التطوّعِ لإنجازِ أعمالٍ مفيدةٍ للمجتمع.

٩. إشاعةُ ثقافةِ البحثِ العلميّ التداخليّ المنتج.

١٠. تعزيزُ العلاقةِ بين الوزاراتِ ودوائرِها في المحافظاتِ وتقويةُ ارتباطِها في المجتمع.

١١. بناءُ قدراتِ العاملينَ الإداريّةِ في كيفيّةِ تحديدِ الأولويّات، جمعُ البياناتِ واستخدامُها، التخطيطُ الميكروي، تحليلُ المشكلاتِ واقتراحُ الحلول ضمنَ الموارد المتاحةِ فضلاً على اكتسابُ مهاراتِ الرصدِ والتقويم.

إنّ تجريبَ هذا المشروعِ وتطبيقَهُ في منطقةٍ محدّدةٍ والتأكدُ من فاعليّتِهِ ودعمِهِ في حالةِ النجاح وعلى المستوياتِ كافةِ بعد التقويم قد يفتحُ بابَ النجاح في حلّ مشكلاتِ الطفولةِ في العراق التي هي مستقبلُهُ الواعدُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

واللهُ يجزي خيراً من أحسنَ عملاً، فكلّناعيالُ اللهِ وأحبُّنا إلى الله أنفعُنا لعيالِه.

رؤية نفس اجتماعية للطلاق

د. محمد عبد الحسن ناصر
باحث في علم الاجتماع

يذهبُ علماءُ الاجتماع إلى أنَّ الطلاقَ مرضٌ اجتماعيٌّ خطرٌ يهدّدُ كيانَ المجتمع والأسرةِ والأفراد، وقد لوحظ أنّهُ كلّما أصبحَ الطلاقُ ميسوراً كلّما زادَ استهتارُ الناس بالزواج كنظامٍ اجتماعي . ومن هنا تزايدتْ معدّلاتُ الطلاق في العالمِ الغربيِّ والعربيِّ نتيجة تخفيفِ القيودِ الزوجيّةِ وتيسيرِ أسبابِ الطلاق، فضلاً عن معرفةِ الناس بالقوانين المتعلقةِ بالطلاق حتى قبلَ إقدامِهم على الزواج.

ولاشك في أنَّ الطلاقَ عمليّةٌ تطوريّة، تبدأ بظهورِ الأسبابِ ثمّ تستمرُّ العمليّةُ إلى ما بعدَ الطلاق، وفي ذلك رأى الباحثون أنَّ الطلاقَ يمرُّ بسبعِ مراحلَ سيكولوجيّةٍ منفصلةٍ لكنّها مترابطةٌ مع بعضِها حيث تؤدّي إحداها إلى الأخرى، وتعد المرحلةُ التاليةُ نتيجةً طبيعيّةً للمرحلةِ السابقةِ عنها ويمرُّ الزوجان بهذه المراحل على حدٍّ سواءٍ حيث يتأثرُ كلٌّ منهما بها، وهي على الترتيب الأتي..(١)

أ. مرحلة الانفصال الفكريّ: إنَّ بداية ظهورِ المشكلاتِ بينَ الزوجيْن واستمراريّتَها كفيلٌ بأن يُحدِثَ إنفصالاً فكريّاً بينهما حيث يفكرُ كلٌّ منهما بطريقةٍ مختلفةٍ عن الآخرِ حولَ هذه المشكلات، بل قد تكونُ مضادةً لها، وعلى النقيضِ منها ممّا يزيدُ من شدّةِ الخلافِ بينهما بما يصعّدُ الخلافاتِ بحيث يصعبُ الالتقاءُ بينهما على فكرةٍ مشتركة. وتمثل هذه الحالةُ البداية للاتجاهِ نحو الطلاق، إذ يؤدّي استمرارُها إلى المرحلةِ الثانيةِ المتمثلةِ في التباعدِ الوجداني.

ب. مرحلة الانفصال الوجدانيّ: مع استمراريّةِ الانفصالِ الفكريِّ بين الزوجيْن واحتفاظِ كلٍّ منهما برأيهِ الخاصِّ المخالفِ والمنفصلِ عن رأي الطرفِ الآخر، يبدأ كلٌّ منهما بممارسةِ سلوكيّاتٍ قد تكونُ غيرَ مرغوبةٍ وغيرَ مقبولةٍ في نطاق الأسرة. هذا الانفصالُ الفكريُّ والسلوكيُّ

يؤدّي إلى انفصالِهما الوجدانيِّ وبـــرودِ المشاعرِ والأحاسيسِ والعواطفِ بينهما.

ج. مرحـــلة الانفصال الجســـديّ: مع استمراريّةِ التباعدِ الوجدانيِّ والعاطفيّ، تبدأ مرحلةٌ جديدةٌ حيث يؤدّي ذلك إلى التباعدِ الحقيقيِّ على المستوى الماديِّ فيصبحُ أداءُ الحقوقِ والواجباتِ الزوجيّةِ بين الزوجيْن عملاً روتينيّاً أشبهَ بأداءِ الواجب، ممّا يزيدُ من كرهِهما لبعضِهما، ومن ثم يعمدُ كلٌّ منهما إلى الإنفصالِ الجسديِّ عن الآخرَ بطريقةٍ عمليّةٍ حيث يستخدمان فراشيْن منفصليْن عن بعضِهما.

د. مرحلة الانفصال الشرعيّ القانونيّ: عندما تصلُ الحالةُ بالزوجيْن إلى الإنفصالِ الماديِّ الجسديّ، لا يكونُ هناك مبررٌ لوجودِهما مع بعضِهما في بيتٍ واحدٍ حيث لا تتحققُ أدنى معاني الحياةِ الزوجيّةِ التي ينشدُها كلٌّ منهما، فيصبحُ الطلاقُ موضعَ تفكيرِ أحدهِما أو كليهما، وقد يتحوّلُ التفكيرُ إلى قرارٍ فعليٍّ حيث تنتهي الحياةُ الزوجيّةُ بالطلاق.

هـ. مرحلة الانفصال الاقتصاديّ الماديّ: يصاحبُ عادةً واقعةَ الطلاقِ إجراءاتٌ اقتصاديّةٌ يحكمُها الشرعُ والقانون، حيث يبدأ كلٌّ من الزوجيْن بدفعِ ما عليه من التزاماتٍ ماديّةٍ وأخذِ ما لهُ منها، وقد تتمُّ التسويةُ الماديّةُ بينهما بالحسنى، وفي جوٍّ من التسامحِ والاحترامِ المتبادلِ للآخر، وقد ترتبطُ هذه المرحلةُ بكثيرٍ من المشكلات، حيث قد يثيرُ أحدُ الطرفيْن أو كلاهما مشكلاتٍ ليس الهدفُ منها إلا التنفيسَ عن مشاعرِ الحقدِ والإنتقامِ وشدّةِ الكراهيّةِ من الطرفِ الذي يثيرُها، وقد يكون ذلك لعدمِ رغبتِهِ في أداءِ التزاماتِه، ممّا يفضي إلى مزيدٍ من الصراعات، فيواجهُ كلٌّ منهما الآخرَ بأسرارِه، وكشفِ عيوبِهِ وتعريةِ ما خفيَ من سلوكيّاتِهِ في ساحاتِ المحاكمِ وأمامَ الأصدقاءِ والأسرة.

و. مرحلة الانفصال الأبويّ: قد يكونُ في الطلاقِ نهايةٌ لبعضِ مشكلاتِ الزوجيْن، لكنّهُ بلاشك سيتسبّبُ في مشكلاتٍ أخرى تؤثرُ تأثيراً مباشراً على أطفالِهما إذا كان لهما أطفال. وقد يتفقُ المطلقانِ بطريقةٍ وديّةٍ متّسمةٍ بالتسامحِ والتفاهمِ على آليّةِ رعايةِ الأطفالِ من حيث توفيرِ المكانِ المناسبِ الذي يأويهم، وتعيينِ شخصٍ مناسبٍ يشرفُ على رعايتِهم، وعلى مصدرِ الإنفاقِ ومقدارِهِ اللازمِ لتغطيةِ مصروفاتِهم ونفقاتِهم، وهكذا طريقةِ لقائهم بأبويهم وغيرها من الأمورِ ممّا ينظمُ علاقةَ المطلقيْنِ ببعضِهما وبأطفالِهما بعد حدوثِ الطلاقِ مباشرةً وخلالَ المدةِ التاليةِ له لأنّها تُعد مرحلةً انفصاليّةً بالنسبةِ لأحدِ الأبويْنِ عن أطفالِهِ لوجودِهِم عند الطرفِ الآخر، أو انفصالِهما معاً عن أطفالِهما لوجودِهِم مع أحدِ الأقاربِ أو في أماكنَ خاصّةٍ تتولى رعايتَهُم والأشرافَ عليهم.

ز. مرحلة الانفصال النفسيّ الإنفعاليّ:

يعتقدُ بعضُ المطلقينَ أنَّ المشكلاتِ تنتهي بالطلاق أو حتى بالقدرةِ على الاتفاق على حلِّ مشكلاتِ الأبناء، إلا أنّه تظهرُ هناك مشكلاتٍ من نوعٍ جديدٍ تمسُّ الجانبَ الشخصيَّ للمطلقينَ والمطلقاتِ وتتعلقُ بالحالةِ النفسيّةِ المضطربةِ لهما، والتي تؤثرُ بالضرورةِ على انفعالاتِهما إذ تضطربُ بصورةٍ ملحوظةٍ وواضحةٍ للجميع.

وتتصفُ مرحلةُ الانفصالِ الانفعاليِّ النفسيِّ التي يمرُّ بها الشخصُ في هذه المرحلةِ بانعزالِهِ عن الناس وتفضيلِهِ الاختلاءَ بنفسِهِ لمراجعةِ حساباتِه، واستعادةِ ذكرياتِهِ بحلوِها ومرِّها مع الطرفِ الآخر، وتقويمِ سلوكيّاتِهِ معه، وتحديدِ إيجابيّاتِهِ وسلبيّاتِه، ومقارنةِ واقعِهِ بعد الطلاق بحالِهِ أثناءَ الزواج، ورسمِ خططِهِ المستقبليّة، والتعرّفِ على إمكانيّاتِهِ وقدراتِهِ ومدى إمكانيّةِ البدءِ من جديدٍ في خطوةٍ أخرى نحو زواجٍ ثان، ومن ثم ينتابُ الشخصَ المطلّقَ عقبَ طلاقِهِ مباشرةً حالةٌ من القلقِ الدائمِ والاكتئابِ المستمرّ، ممّا يجعلُهُ يشرُدُ بذهنِهِ عمّا حوله. وقد يتعثّر المطلّقُ بعد طلاقِهِ مباشرة، فلا يستطيعُ عبورَ مرحلةِ الانفصالِ الانفعاليِّ النفسيّ، ممّا يدفعُهُ لمقاومتِها والتغلبِ عليها بكافةِ الوسائلِ السويّةِ وغيرِ السويّة. فقد يُغرقُ نفسَهُ في أعمالٍ إضافيّةٍ جادّةٍ تُرهقُ أعصابَهُ وتوتّرُها، أو في أعمالٍ ترفيهيّةٍ تبعدُهُ عن واقعِه، فيصبحُ على هامشِ الحياةِ لا نفعَ منه ولا قيمة. ويشيرُ عمر ٢((١٩٩٢)) إلى تأكيدِ الدراساتِ السيكولوجيّةِ على الآثارِ السلبيّةِ للطلاق حيث تفيدُ بأنَّ نسبةً كبيرةً من المطلقينَ والمطلقاتِ يعانونَ من تنوّعٍ في الاضطراباتِ الانفعاليّةِ الحادّةِ والأمراضِ النفسيّةِ الشديدةِ ومنها الشعورُ بالقلقِ والاكتئابِ والصراعِ وعقدةِ الذنب، وتأنيبِ الضميرِ وإيلامِ الذاتِ وكرهِها والاضطراباتِ السيكوجنسيّة، والإصابةِ بالإحباطِ ومشاعرِ الحرمانِ والظلمِ والقهرِ والتوتّر، وتتسلطُ عليهم أفكارُ العداوةِ والتشاؤمِ والانهزاميّة، وكلّها مشاعرُ وأفكارٌ سيئةٌ ترتبطُ بقائمةٍ طويلةٍ من الأمراضِ السيكوسوماتيةِ والعاداتِ السلوكيّةِ كتعاطي المخدراتِ وإدمانِ الكحول.

حجم مشكلة الطلاق ومعدلاته

تختلفُ معدلاتُ الطلاقِ من مجتمعٍ لآخرَ تبعاً لمتغيراتِ اجتماعيّةٍ وثقافيّةٍ وظروفٍ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ متعددة .

ويشيرُ غالب ١٩٨٥() إلى أنَّ حوادثَ الطلاق قد تزايدتْ منذ النصفِ الثاني من القرنِ الماضي، وهي نسبةٌ آخذةٌ في الزيادةِ خصوصاً في المدنِ الصناعيّةِ وذلك نتيجةً لتلازمِ التغيّرِ الاقتصاديِّ والصناعي بكثيرٍ من العواملِ المساعدةِ على التفكّكِ الأسري.(٣)

ويشيرُ الشعراويُّ (1993) إلى أنَّ نسبةَ الطلاقِ ترتفعُ في المجتمعاتِ الصناعيّةِ بمرورِ الوقت، فقد سجلتِ الإحصاءاتُ في عامِ 1988 أعلى نسبةِ طلاقٍ لصالحِ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيّة، حيث بلغتْ حالاتُ الطلاق 246 حالةً لكلِّ 1000 حالةِ زواج، تليها السويدُ حيث بلغتْ 175 حالةَ طلاقٍ لكلِّ 1000 حالةِ زواج، ثمّ

فرنسا 100 حالة، ثمّ أستراليا 90 حالة، تليها ألمانيا 89 حالة، وأخيراً إنجلترا 74 حالة طلاقٍ لكلّ 1000 حالةِ زواج للعام نفسه.

وعلى صعيدِ العالمِ العربيّ، يذكرُ كيال (1986) أنَّ نسبة الطلاق في المجتمع المصريّ ٣٠حالة لكلّ 1000 حالةِ زواج، بمعنى أنَّ حالاتِ الطلاق تصلُ إلى 60 ألفَ حالةِ طلاقٍ سنوياً.(٤)

أما في الكويتِ فيشيرُ الثاقب (1999) إلى أنها بلغت 154 حالة طلاق تقريباً لكلّ 1000 حالةِ زواج (٥)

وفي المملكةِ العربيّةِ السعوديّة، تشيرُ إحصاءاتُ وزارةِ العدل المبنيّةِ على ما صدرَ من المحاكم إلى تدرّج حالاتِ الطلاق بين 18 - 24 % من حالاتِ الزواج خلالَ عشرِ سنواتِ (1410 - 1420). ففي مكة المكرّمةِ تشيرُ إحصائيّةُ الأحوالِ المدنيّةِ عام 1422 إلى أنَّ عددَ حالاتِ الطلاق بلغَ 228 حالة لكلِّ 1000 حالةِ زواج. وبطبيعة الحال فإن النسبَ السابقة تقدّمُ مؤشراً على اتجاهِ نسبةِ الطلاق نحو الارتفاع وبدرجةٍ توجبُ على مراكز البحوثِ والباحثينَ التصدّي لها بالبحث، كما توجبُ على المؤسساتِ الاجتماعيّةِ الإهتمام بمعالجةِ أسبابها للتخفيفِ من حدّتِها وضبطِ ارتفاعِها المستمر.(٦)

أمّا في العراق فلحدِّ الآنَ لا توجدُ إحصاءاتٌ واضحةٌ ودقيقةٌ عن هذه الظاهرة، بيدَ أنَّ أكثرَ من قاضٍ عراقيٍّ قد صرّحَ بوجودِ ٨ حالاتِ طلاقٍ لكل ١٠ حالاتِ زواج، وهذه النسبةُ قد تكونُ - إذا ما كانتْ صحيحة - من بين أكثرِ نسبِ الطلاق في العالم. وبالتأكيدِ فإنَّ تأثيراتِ الواقعِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ الذي أسفرَ عن وجودِ الاحتلال كان له دورٌ كبيرٌ في زيادةِ نسبةِ الطلاق، والتفكّكِ الأسريِّ وانعدامِ الاستقرارِ الاجتماعيّ، فضلاً عن الأمنِ الاجتماعيِّ بصورة عامة...(٧)

أسبـــاب الطـــلاق

إنَّ تأسيسَ السببيّةِ بالنسبـةِ للطلاق مازال أمراً صعبـاً، إذ تعتمدُ الدراســاتُ على التفسـيراتِ البـــديهيّةِ أكثرَ من التفســـيراتِ النظريّة، فالنظريّةُ مازالتْ جزءاً متخلفاً في بحـــوثِ الطلاق. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر هناك صعوبـةٌ في حصرِ أسبـابِهِ نظراً لوجودِ عددٍ كبـــيرٍ من العواملِ المتداخلةِ والمختلفةِ التي يمكـنُ أن تـؤدّيَ إليـه، فالـطلاقُ لا ينتـجُ فـي الغالبِ عن حـادثٍ وحـيدٍ بـل هو نتيجةٌ لعدّةِ عواملَ متعدّدةٍ ومتداخلةٍ متصلةٍ بـــوظائفِ الحـياةِ الأسـريّة، حـيث تتفاعلُ وتتداخلُ مع بعضِها البعض مفضيةً في نهايةِ المطافِ إلى الطلاق. وبطبـيعةِ الحـالِ فإنَّ الأسبـابَ قـد تختلفُ نسبـــياً من مجتمعٍ لآخر، فما يؤدّي للطلاقِ في المدن قد لا يكونُ سبباً كافياً ومقنعاً له في الأرياف، كما تختلفُ الأسبابُ من أسرةٍ إلى أسرةٍ حسبَ تبـاينِها الثقـافيِّ والاجتماعيِّ والاقتصاديّ، بل داخلَ الأسرةِ الواحـدةِ من جيلٍ لآخر. وفي اتفاقٍ مع ما سبـــقَ ذكرُهُ من دراساتٍ عراقيّةٍ وغربيّةٍ أظهرتِ اختلافاً في أسبـابِ الطلاق، استدلَّ الثاقـبُ (1999) بدراسةِ وايت التي ربطتِ الطلاقَ بعواملَ من قبيلِ ترتيبِ الزواج، وطلاق الوالدين، والعمرِ عندَ الزواج، والحملِ والإنجابِ قبلَ الزواج أو أثنـاءَ الـزواج، والعمـرِ ومـدّةِ الـزواج، والعنصر. كما تبـينَ أنَّ انخفاضَ نسبـةِ الإناثِ والسـنَّ المتأخّرَ للزواج يؤدّيان إلى انخفاضِ معدّلاتِ الطلاق. الدراســةُ أظهرتْ أيضاً أنَّ التنمية الاجتماعيّة والاقـــتصاديّة وعمالة المرأةِ لها علاقةٌ ذاتَ دلالةٍ إحصائيّةٍ بارتفاع بارتفاعِ معدّلاتِ الطلاق. ويشيرُ الثاقبُ (1999) أيضاً إلى اختلافِ الأسبـابِ مستدلاً بـنتائجَ دراساتٍ أجريتْ في المجتمعاتِ النامية.

وفي العالمِ العربـــــيِّ نجدُ أنَّ المتوفرَ من الدراسـاتِ يناقشُ أيضاً العديدَ من الأسبـابِ المختلفةِ للطلاق وذلك بـــاختلافِ الثقـــافةِ والمجتمعات، ففي دراســـةٍ بســـيوني (1967) لمشـــكلةِ الطلاق على عيّنةٍ مصريّةٍ تبيّنَ أنَّ للطلاق العديدَ من الأسبـابِ متعددة الممكن تلخيصُها في..(٨)

١- نشـأةُ المطلّقـاتِ خلالَ طفولتِهنَّ في أسَرٍ تتسمُ بالتفكك.

٢- تدخّلُ الأهل في الزواج سواءً قبلَهُ أو بعدَهُ وسماحُ الزوج بهذا التدخّل.

٣- الجهلُ بـــالأمورِ الجنســيّةِ لكلٍّ من الزوجيْن.

٤- عدمُ الكفاءةِ من الناحـــيةِ الاجتماعيّةِ والتعليميّةِ بين الزوجيْن وما ينشأ عنهما من اختلافٍ في العاداتِ والتقاليدِ والبيئة.

٥- عدمُ تأهيلِ كلٍّ من الزوجيْن لحـــياةِ الزوجيّةِ عن طريقِ التوعيةِ والتعليم في المدارسِ والمعاهدِ بواجبـاتِ الأســـرةِ وحقـــوقِها على كلٍّ من الزوجيْن وكيفيّةِ حلِّ مشكلاتِها.

٦- ضعفُ المرأةِ في غالبـيةِ الأحـيان، وعدمُ مشـاركتِها في الحياةِ والمسـؤوليّةِ مشاركةً إيجابيّة.

٧- الفرقُ في السـنِّ بـين الزوجيْن، كأن يكبـرُ الزوجُ زوجتَهُ بعشـرينَ سـنةٍ فلا تلبـثُ الغيرةُ أن تدبَّ في قـلبِ الزوج، وكثيراً ما تنحـرفُ الزوجةُ وتخرجُ عن عن تقاليدِ الأسرة.

8. عقمُ أحدِ الزوجيْن أيضاً من الأسبابِ الهامّة.

9. سهولةُ الطلاق وإباحتُهُ جعلَ الأمرَ هيّناً وبسيطاً، فأيُّ خلافٍ يقعُ بين الزوجيْن يؤدّي إلى الطلاق أو الاختلافِ داخلَ الأسرة.

١٠. خروجُ الزوج من البيتِ وغيابُهُ لمدةٍ طويلةٍ وميلُهُ للحريّةِ التي كان يتمتعُ بها قبلَ الزواج، وقد تخرجُ الزوجةُ هي الأخرى تاركةً مسؤوليّاتِها ممّا يؤدّي إلى تفكّكِ الأسرةِ وانحلال روابطِها من تعاونٍ ومشاركة، وهذا يحدثُ في المدينةِ بنسبةٍ أعلى من القرية.

وفي دراسةِ برهوم (1977) على عيّنةٍ من الأردن تبيّنَ أنَّ أسبابَ الطلاق ترجعُ بصفةٍ عامّةٍ إلى تدخّلِ أسرتي الزوجيْن في المشكلاتِ الخاصّةِ بهما، ووجودِ نساءٍ أخرياتٍ في حياةِ الزوج، والعقم، والمشكلاتِ الجنسيّة، ووجودِ مشكلاتٍ اقتصادية.

كما أرجعتْ دراسةُ الجابر (1996) على عيّنةٍ قطريّةٍ أسبابَ الطلاق إلى عددٍ من العوامل شملتِ التقاليدَ الموروثة بما تمثّلُهُ من عدمِ الرؤيةِ قبلَ عقدِ الزواج، وتدخّلَ الأهل في اختيارِ الزوجِ أو الزوجة، و فارقَ السنِّ الكبيرَ بين الزوجيْن، وزواجَ البدل، ونظرةَ الرجلِ إلى الزوجةِ نظرةً دونيّةً بحيث لا ترى المرأةَ فيها إلا مربيةً لأطفالِهِ وراعيةً لبيتِهِ دونَ مراعاةٍ لمشاعرها كإنسانٍ وزوجة، والجهلَ وعدمَ الفهمِ السليمِ لأحكامِ الشريعةِ الخاصّةِ ببناءِ الأسرة، وما فرضَ اللهُ على كلٍّ من الزوجيْن من حقوقٍ نحوَ الآخر، وما أمرَ به عند حدوثِ نشوزٍ أو إعراضٍ من الزوجيْن وما وضعَهُ من قيودٍ على الطلاق وجعلَهُ في أضيقِ الحدودِ أو عندَ الضرورة، وفسادَ الأخلاق، والسعيَ وراءَ الشهوات، وتبديدَ الأموالِ في المحرّماتِ وسوءَ التربيةِ مع انتشارِ مظاهرِ الترفِ الاقتصاديِّ التي تدفعُ إلى التسابقِ في شكليّاتٍ ترهقُ الزوجَ ماديّاً وتدفعُهُ في النهايةِ إلى الطلاق.(٩)

من اللازمِ هنا توضيحُ نقطةٍ في غايةِ الأهميّةِ وهي أنَّ التغييراتِ الاجتماعيّة التي شهدَها العراق بعد عام ٢٠٠٣ كان لها دورٌ كبيرٌ في إحداثِ تحوّلاتٍ وانقلاباتٍ مهمّةٍ وخطرةٍ في البنيةِ الاجتماعيّةِ للمجتمعِ العراقيِّ وكذلك في منظومتِهِ القيميّة، فضلاً عمّا يمكنُ تأشيرُهُ من تحوّلاتٍ في التراتبيةِ الاجتماعيّةِ بصورةٍ دراماتيكيّة، وصعودِ فئاتٍ اجتماعيّة وأفرادٍ ما كان لهم في يومٍ من الأيامِ التفكيرُ في تسنّمِ مراكزَ وأدوارٍ اجتماعيّةٍ لولا التغيّرُ الذي حدثَ بعد الاحتلال، كلُّ ذلك وغيرُهُ تركَ اثارَهُ العميقةَ على النظامِ الأسَريّ، والعلاقةُ الاجتماعيّةُ داخلَ هذه المؤسّسة، وجعلُهُ من السهلِ واليسيرِ أن تفكَّ عرى العلاقةِ الزوجية، ومن ثمّ الوصولُ إلى حالِ الطلاق بين الزوجيْن على الرغم من كلِّ ما يمكنُ أن يسفرَ عنه من مشكلاتٍ وأزماتٍ على صعيدِ الأفرادِ أصحابِ العلاقةِ والجماعاتِ الاجتماعيّةِ التي يتصلونَ بها كالعائلةِ والأقارب، وصولاً الى المجتمعِ الكبير..

الهوامش

١- - عمر، ماهر محمود، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص٢٣.

٢- عمر، ماهر محمود . مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

٣- - غالب، مصطفى (١٩٨٥) الحياة الزوجية وعلم النفس، بيروت، دار مكتبة الهلال.

٤ - الشعراوي، زيلعي علي (١٩٩٣)، أثر الصناعة في الأسرة دراسة في مدينة الدمامن حلب، دار الصابوني.

٥ - الثاقب، فهد ثاقب (١٩٩٩) المرأة والطلاق في المجتمع الكويتي، الأبعاد النفسية والاجتماعية والاقتصادية، الكويت، مجلس النشر العلمي.

٦ - وزارة العدل (١٤٢٠)، الكتاب الإحصائي السنوي، الرياض.

٧- تصريح للقاضي رحيم العكيلي، وغيره من القضاة العراقيين في اكثر من مناسبة واكثر من مرة وخاصة على قناة الحرة عراق الفضائية... التاريخ والوقت غير متوفر.

٨- بسيوني، أميرة عبد المنعم، الأسرة المصرية، القاهرة، دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٩٦٧.

٩- الجابر، أمينة (١٩٩٦)، ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري وعلاجها في ضوء التشريع الإسلامي، دراسات الخليج والجزيرة العربية، ٢٠٢- ١٧٥ - ٧٢.

جمل لغة

أجمل لغة

بقلم : السيد / خالد غانم الطائي

تعرف اللغة على انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وقيل هي صورة من صور التخاطب سواء كان لفظيا ام غير لفظي . وهي متنوعة ومتعددة جدا في شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها. قال تعالى (ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم) (الروم/٢٢) . وهي من مظاهر قدرة الله سبحانه المطلقة الا ان هنالك لغة واحدة يفهمها كل بنو ادم وتستريح لها النفس وتستانس بها فهي محبوبة انها لغة الابتسامة ويقول اهل الاختصاص انها تكلف المرء تقليص ١٧ عضلة في وجهه (بينما حالة الغضب تقلص ٢٠ عضلة . والابتسامة دلالة على الانشراح وقبول الاخرين واستحصال البشاشة واشاعة روح السلام وقد حثنا الحديث النبوي الشريف على ذلك بقول المصطفى (صلى الله عليه واله) او من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طليق . يا حبذا لو اشاعت هذه اللغة الرائعة وذاعت وانتشرت لما فيها من تقريب بين النفوس ومجانبة السخيمة والبغضاء والنفور وكذلك تعزيز اواصر اللحمة الاجتماعية ابتداء من اللبنة الاولى في المجتمع وهي الاسرة فيحاول الاب وهو بمثابة ربان السفينة ان يتعامل بلطف وابتسام مع زوجته فقد ورد عن النبي الاكرم عليه الصلاة والسلام قوله (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي) وكذلك لابد للزوجة ان تبادله الشئ نفسه فينعكس ويشع الجو الهادئ واللطيف والشفاف على باقي افراد الاسرة ثم يمتد الى المجتمع علما ان الابتسامة حالة نفسية معدية فاذا ما صادفنا شخصا فسرعان مانبادله الابتسامة ولابد من الاشارة الى ان بعض الرجال يكون خارج بيته متبسما ضاحكا مفكها مرنا الا انه بمجرد دخوله لبيته فأنه يعمد الى تغيير سلوكه فيدخل غاضبا كئيباً صعب المراس لا يعجبه أي شئ ويعترض على كل شئ وقد يخدع نفسه او يخادعها ان الرجل لابد ان يكون كذلك حتى تبقى له الهيبه ويقدم له الاحترام كونه سيد البيت (فهو مستأسد) مما يتولد من جراء ذلك جو مشحون متوتر ويخاف الاولاد وامهم من سطوة هذا الاسد ويلتزمون الصمت احيانا ويتقيدون في فعلهم وسلوكهم ايما تقييد تحاشيا لردود فعل (اسد البيت) الذي قد يعنّفهم ويوبخَهم على كل شئ بوجه حق ومن دون وجه حق وقد ورد عن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله) قوله: (اسوء خلق الرجال مع عياله يوجب عذاب القبر) ومعلوم ان السكن مشتق من سكن الروح والبدن الا انه سيصبح وحال الرجال هكذا هياج الروح والبدن مما يلقي بظلاله على الجانب النفسي لكل افراد العائلة وقد يكتسب بعضهم هذا الطبع متحولا الى قنبلة غضب قابلة للانفجار في اي اوقت وقد جاء في الحديث النبوي الشريف (المؤمن دعب لعب والمنافق قطب غضب). فما أجمل ان يكون المرء باعثا للسرور والبشاشة والانبساط والابتسامة مع بث اريج الكلمة الطيبة وهي صدقة ميسورة البذل مع افراد الاسرة ومع الناس في الشارع والسوق وفي مكان العمل وفي المدرسة والجامعة والجامع وفي المحافل الاجتماعية ومن شاشة التلفاز وحيثما حلَ المرء لكي ينتشر ذلك العبق الفواح في كل مكان حتى تذوب النفوس في بودقة الوئام والانسجام ويتحقق تقاربها وطيبها ليطرح رائحة الكرة والشحناء والبغضاء والعداوة والنفور وتكون الابتسامة بحق أجمل لغة .

القصة
وتأثيرها في التربية

المهندسة ندى الجليحاوي

للقصة تأثير فعّال في روح الطفل وتجعله يعيش وكأنه أحد أبطالها لان في روح الطفل التقليد والمحاكاة وبذلك تتحول القصة الى واقع يعيشه وتترسخ في ذهنه فبذلك تصبح القصة واحدة من وسائل التربية من خلال سرد القصص التي تساعد على ترسيخ المفاهيم الأنسانية وتزرع الفضائل الأخلاقية لدى الطفل كإختيار قصص العدالة والايمان والعقيدة والاستقامة .

وبما أن الطفل يُلازم أمّه أكثر من غيرها فيقتبس منها المفاهيم الدينية والاخلاقية ويجعلها قدوة في حياته ولهذا فان تربية الطفل الدينية والاخلاقية من أولى واجباتها فتستطيع بذلك ان تغرس هذه المفاهيم في ذهنه عن طريق القصة المناسبة له.

أن الطفل ينجذب الى أمه عند سردها القصص الجميلة ، حيث تسيطر على فكره بشكل ينسى معه لعبه ليصغي اليها وبالاخص اذا كانت هذه الحكاية تقوي البنية الاخلاقية والايمانية عنده .

وفي الوقت نفسه ممكن ان تلعب القصة دوراً هاماً بدلاً من ان تكون للبناء وذلك من خلال حكاية القصص الخرافية للاطفال التي ليس لها وجود والتي تبعث في نفس الطفل الرعب وتقطع شهيته عن الطعام لانها لا تناسبه كما وأن القصص الحزينه تصيب الاطفال بالكآبة والملل وتخلق عندهم قساوة في القلب لذا يجب على الام ان تختار القصص المفيدة لطفلها التي

١- تقوي الثقة بالنفس وتمنحه الطمأنينة والهدوء النفسي .

٢- تقوي روح الابداع وتقتل في نفسه الأنانية وروح العداء والكراهية .

٣- تعلمه دروس الأخلاق وتهديه طريق الإنسانية .

٤- تهذب الطفل وتعلمه السلوك الصحيح .

٥- سرد قصص الشجاعة للاطفال الجبناء .

٦- ان تكون فيها الاهداف الانسانية والدينية والتي تعلم الانسان الحياة الشريفة النزيهة .

٧- سرد القصص التي تزرع الامل والنشاط وكذلك القصص التي فيها صراع بين الحق والباطل والتي ينتصر فيه الحق .

كما وتستطيع الام ان تؤلف القصة المناسبة لطفلها وتحكيها له حسب حاجته لها فمثلا تسرد القصص التي تحكي عن الشجاعة للاطفال الجبناء والقصص التي تهذب الطفل وتعلمه السلوك الصحيح للأطفال المنحرفين وليس من الضروري أن تكون القصة جاهزة وأيضا يشكل وقت النوم أفضل الاوقات لحكاية القصة .

انتبهي طفلكِ يدخن

بقلم مروة حسن الجبوري

غرفة مليئة بدخان السجائر، بالكاد ترى إنارة الضوء، دخان يتسرب في كل مكان، شفاه تميل إلى السواد، أسنان صفراء، رائحة الدخان تنبعث من ثيابه، لا يتجاوز العاشرة من عمره، فوجئت الأم به يدخن سيجارة؟ وما ان رآها حتى ألقى بالسيجارة من يده، وأسرع بفتح النافذة والمروحة، تلفتت الأم في أرجاء الغرفة بذهول عميق، لا تدري ماذا تفعل؟ وماذا تقول، ابنها يدخن؟ وهل تخبر أحدا بفعلته أم تكتفي بعقوبته؟.

الأم التي ترى طفلها يدخن؟ عليها اولا ان تبحث عن الأسباب التي دفعت بالابن الى التدخين، اسباب كثيرة ذكرها أخصائيو علم النفس من ضمنها، غياب الام والاب والعنف الأسري، غياب التربية الصحيحة، ومن ناحية أخرى فإن الأطفال عادة ما يقلدون الكبار في سلوكهم، وتصرفاتهم،، فإذا كان الأب يدخن داخل البيت وفي وجود الأبناء، والمعلم يدخن أمام الطلاب، فهم القدوة في تربية الاولاد.

لذا فالأبناء يفكرون في أول الأمر بالتدخين، عند استنشاق هواء الحجرة المملوء بالدخان، ثم يبدأ الطفل يقلد السيجارة بوضع القلم في فمه ويبدأ يأخذ دوره، كما فعل أبوه، إن غياب الابن المراهق المتكرر عن البيت، يجعله اكثر عرضة للتدخين، لذا فهو يبحث عن رفاهية وأمان خاص به بعيدًا عن البيت، فيصبح التدخين في هذه الحالة جزءاً من شخصيته، فيلجأ لأخذ السجائر من علبة أبيه، أو أخذها من قرين له، أو شراءها من مصروفه الخاص.

مسؤولية الأسرة ودورها في إيقاف التدخين سوف يكون محاولة صعبة جدا، وذلك لأن الأسباب التي دفعت بالطفل للتدخين مازالت موجودة، والعلاج الفعال يكمن في التعامل مع قضية التدخين كقضية صحية بعيدا عن العيب والحرام، سواء كانت من داخل الأسرة ام في خارجها، فإذا قامت الأسرة بدورها وحققت الرعاية المناسبة لأطفالها، فسوف تحميهم من التدخين الذي يدمر مستقبلهم، وذلك لأن التدخين هو الخطوة الأولى في طريق الإدمان.

فالتدخين لا يحدث فجأة، وانما عن طريق الاختيار، فأين كانت الأسرة طوال هذه المدة؟ إننا عندما نتحدث عن مشكلة التدخين عند اكتشافها تكون قد تحولت إلى عادة، ولكن الأخطر من العادة هو أن هذا الشاب قد اعتاد على أخذ السجائر، إن هذا الشاب يحتاج إلى من يقترب منه ويعرف مشاكله، ويشعره بقيمة صحته، ويتعامل معه باحترام وتقدير، ويحسن الإصغاء إليه، وعندما يشعر الشاب بالثقة بكل ما تقوله، سيكون لديه استعداد لأن يسمع ويدرك؛ لأنه يشعر أن من يتحدث إليه يشعر به ويحس بمشاعره ويقدرها؛ ولذا يكون على استعداد للقيام بأي شيء حتى ولو كان ترك التدخين، ولكن إذا ما كان الحديث عن التدخين حديث الوعظ والإرشاد الجاف، واحيانا الضرب، والعقوبة القاسية والاتهام بالتسيب،فإن ذلك يجعله اكثر ادمانا، فإذا تمكنت من أن تعيد جسر التواصل بينك وبين ابنك، واستطاعت الأسرة أن تفعل ذلك فسيكون عندها التدخين هو أبسط الأمور التي يمكنك مناقشته معه.

الأسباب التي دفعت ابنك للتدخين هي:

١- انغماس الآباء في مثل هذه العادات السيئة امام الابناء.

٢- حب التجريب وإظهار الشخصية الذكورية امام الأصدقاء أو الصديقات، والظهور بمظهر المتمرد وعدم الخوف.

٣- تقليد الأصدقاء.

٤- توفر السجائر في المحلات وفي الاسواق وفي الشوارع.

٥-توفر المصروف الزائد عن الحاجة ما يدفع بالمراهق للتجريب والاستمرار بذلك.

السرطان يتحالف مع التدخين

ازدياد نسبة الإصابات بسرطان الرئة بازدياد عدد السجائر المستهلكة.

التدخين قد يعرض ابنك المراهق لأمراض الرئة المزمنة، التي تنشأ بعد تدخينه من ٥ إلى ١٠ سجائر يوميًا، ولمدة عام أو عامين.

إمكانية الإصابة بتقلص في شرايين القلب، وهذا بدوره يسبب الذبحة الصدرية؛ فمادة النيكوتين تذوب في اللعاب وتُمتص بواسطة الدم، وتسبب تقلصًا واضحًا في شرايين القلب وباقي شرايين الجسم. إمكانية الإصابة بالصلع، فالدراسات تشير الى أن ٧٥% من الرجال المصابين بالصلع تتراوح أعمارهم بين ٢١ و٢٢ عامًا كانوا من المدخنين.

نصائح هامة

عندما تفكرون كيف تمنعون ابناءكم عن التدخين قوموا بما يأتي:

١- رفض فكرة التدخين، قل له في كل مرة يطرح فيها موضوع التدخين بأنك غير موافق على مبدأ التدخين وبأن التدخين غير مسموح به. رأيك قد يجعله يفكر

بالأمر، فإن المراهقين الذين امتنعوا عن التدخين قالوا بأن آبائهم اخبروهم بأنه غير مسموح ومرفوض بصورة غير مباشرة ومن دون تجريح.

٢- كن قدوة ومثالا له ولا تقل لا تدخن بينما أنت تحمل علبة سجائر بيدك، كن مثالا يحتذى به.

٣- التدخين يسبب مشاكل صحية عديدة، منها رائحة الفم الكريهة، اصفرار الأسنان، رائحة الثياب، مشاكل تنفسية، وتجاعيد مبكرة على البشرة.

هل تحب ان تبدو كعجوز في سن المراهقة؟ اذكر مساوئ التدخين ودعهم يفكرون بمظهرهم.

٤- أكثر المراهقين يعتقدونَ بأنّهم يمكن أن يتركوا التدخين في أي وقت يريدون. لكن المراهقين يصبحون مدمنين على النيكوتين، وعندما يعلق سيكون من الصعب أن يتخلى عن هذه العادة السيئة.

٥- توقع ضغوط رفاق السوء، يجب أن تعلمهم كيف يرفضوا العروض المقدمة لهم بتناول السيجارة.

٦- تجنب التهديدات والإنذارات، بدلاً من ذلك، يمكن مساعدة المراهق على التخلص من الإدمان على التدخين من خلال اصطحاب المراهق إلى حملات التوعية من التدخين، ومراكز مكافحة التدخين. اكتب لوحة في غرفته، التدخين ممنوع، ابدأ حديثك معه بهدوء، فالسلبية لن تعكس إلا طاقات سلبية، اهدي له كتابا عن التدخين واضراره، تحدث عنه امام الاقارب بتصرفاته الايجابية، فبهذه الاعمال تزرع الثقة في داخله

إضاءات على مفهوم

حسن التبعل

■ السيدة إيمان شبلي*

جهادُ المرأةِ حسنُ التبعّل..

عبارةٌ كثيراً ما تطرقُ أسماعَنا، حتى بتْنا نحفظُها عن ظهر قلب، إلا أنّها تثيرُ فينا عدّةَ تساؤلات:

-ماذا يعني حسنُ التبعّل؟

-وما هي صورُهُ وأشكالُه؟

-هل ينحصرُ جهادُ المرأةِ بحسن التبعّل؟ وهل يتعارضُ مع دورها الاجتماعيِّ والثقافيّ؟

للإجابةِ عن هذه التساؤلاتِ سنسلّطُ الضوءَ على كلامِ الإمامِ عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام): "جهادُ المرأةِ حسنُ التبعّل"، لنرى ما يمكنُ أن نستفادهُ من هذا الحديثِ المباركِ في توضيحِ هذا المفهوم.

تمهيد:

قال اللهُ تباركَ وتعالى في كتابِهِ الكريم "يا أيّها الناسُ إنّا خلقناكُمْ من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شعُوباً وقبائلَ لِتعارَفوا إنَّ أكرمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم". سورة الحجرات، ١٣.

تؤكدُ هذه الآيةُ المباركةُ أنَّ التقوى هي معيارُ التفاضلِ بين الناسِ ذكوراً وإناثاً، شعوباً وقبائل، ومن خلالِها تتحدّدُ الأكرميّة عند اللهِ تباركَ وتعالى.

والتقوى كما فسّرَها الإمام الصادق (عليه السلام): "أن لا يفقدُكَ اللهُ حيث أمرَكَ ولا يراكَ حيث نهاك".(١)

ومعناه؛ أداءُ التكليفِ والالتزامُ بما أمرَ بهِ اللهُ عزَّ وجلَّ والاجتنابُ عمّا نهى عنه.

وعلى ضوءِ هذا انصبّتِ التكاليفُ على الإنسان، فاشتركَ كلٌّ من الرجلِ والمرأةِ في بعضِها وانفردَ كلٌّ منهُما في بعضِها الآخر، واختصَّ كلٌّ منهُما بواجباتٍ ومسؤوليّات، هي في حقيقتِها سبلٌ مفتوحةٌ أمامَهُما؛ للوصولِ إلى الهدفِ المنشود، وهو تحصيلُ التقوى، ونيلُ المقامِ المحمودِ عند اللهِ تعالى.

من هذه السبلِ ما هو موجودٌ ضمنَ إطارِ العلاقةِ الزوجيّة، وعبرَ الحياةِ الأسريّة.

هذه الخليّةُ التي إن أحسنَ الزوجان بناءَها على قاعدةٍ إسلاميّةٍ متينةٍ سمَت بهما في مدارجِ الكمالِ والرضا الإلهي.

من هنا جاءَت عبارةُ "جهادُ المرأةِ حسنُ التبعّل"،(٢) على لسانِ الإمامِ (عليه السلام) في حديثِهِ المبارك، والذي يحوي مضامينَ ومفاهيمَ متعددة، نقفُ عند بعضِها عبرَ النقاطِ الآتية:

كيف يكون حسن التبعّل؟

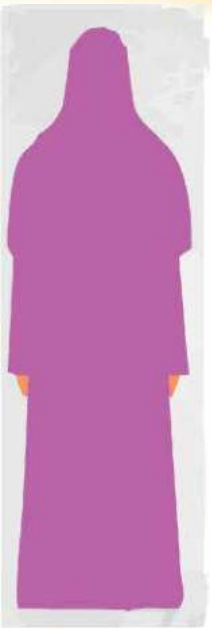

الحديثُ المباركُ يثيرُ سؤالَيْن؛ **الأول:** ما المقصودُ من حسن التبعّل؟ **والثاني:** ما هي أشكالُ حسن التبعّل وصورَه؟

والإجابةُ عن كلا السؤالَيْن تستدعي قراءةً شاملةً للقرآن الكريم ولأحاديثِ رسولِ اللهِ وأهلِ بيتِهِ (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ لأنّها تكشفُ التفاصيلَ الدقيقةَ في هذه العلاقةِ المقدسة.

ما يمكن الخروجُ به من مجموع النصوص الشرعيّةِ بهذا الشأن، هو ما يلي:

أولاً: إنَّ حسنَ التبعّل يعني أن تمتلكَ المرأةُ القدرةَ على استخدامِ الأسلوبِ الحسَن، وإبدائهِ لزوجِها تعاملاً وتصرّفاً، وحواراً في أيِّ ظرفٍ كان، فتمتلكُ السياسة الواعية التي تسيِّرُ أمورَ حياتِها الأسريّة،وتُشيعُ بذلك أجواءَ المحبّةِ والألفةِ والاحترامِ بين أفرادِها؛ لتغدوَ سكناً ومستقراً لزوجِها، يستأنسُ به، وملجأً يلجأُ إليه، وتكونَ بذلك مصداقاً لقوله تعالى: **"هوَ الذي خلقكُم من نفسٍ واحِدةٍ وجعلَ منها زوجَها ليسْكُنَ إليْها"**. سورة الأعراف، ١٨٩. وأيّما امرأةٍ لم تكن لزوجِها قراراً ومستودَعاً وسكَناً، تكونُ قد ضيّعتْ أثمنَ وأغلى فرصةٍ أُتيحَتْ لها؛ لتنالَ مرضاةَ اللهِ عزَّ وجلّ.

ثانياً: إنَّ حسنَ التبعّل يُترجَمُ بأشكالٍ وصورٍ عديدة، تندرجُ تحت معرفةِ حقِّ الزوج، وإعطاءِ هذا الحقِّ من غير مِنّةٍ أو تفضّلٍ أو أذيّة.

وهنا تبرزُ أهميّةُ معرفةِ كلِّ امرأةٍ حقَّ زوجِها عليها؛ لتقومَ بهذا الجهادِ على أكملِ وجهٍ وأحسن صورة، ولتكونَ مثالَ الزوجةِ الصالحةِ التي قال عنها الإمامُ عليُّ بنُ موسى الرضا (عليه السلام): **"ما أفادَ عبدٌ فائدةً خيراً من زوجةٍ صالحة، إذا رآها سرّتْه، وإذا غابَ عنها حفِظتْهُ في نفسِها ومالِه"**.(٣)

وقبلَ استعراضِ جملةٍ من الحقوق التي لابدّ أن تراعيها الزوجةُ تجاهَ زوجِها، ينبغي أن تعرفَ المرأةُ أنَّ أعظمَ الناسِ حقاً عليها هو زوجُها، كما قال رسولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) لامرأةٍ سألتْه: يا رسولَ الله، مَن أعظمُ الناسِ حقاً على المرأة؟ فقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): **"زوجُها"**.(٤)

فإنَّ أيّة أذيّةٍ للزوج تستوجبُ غضبَ اللهِ وعقابه، وأيَّ إرضاءٍ لهُ ثمرتُهُ رضا اللهِ تعالى وثوابُه، لكنَّ هذا يدورُ مدارَ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق.

أنَّ تضحيةَ الزوجةِ برغبتِها، وإن كانتْ في أمرٍ مهمٍّ أحياناً، كما في الرواية؛ إرضاءً لزوجِها، لها وزنُها الكبيرُ عندَ اللهِ تعالى، وتترتّبُ عليها آثارٌ دنيويّةٌ وأخرويّة، لا تطالُها هي فحسبُ بل ووالدها أيضاً يستفيدان من بركاتِ هذه التضحية التي تمثلُ في حقيقتِها طاعةً للهِ تعالى قبلَ أن تكونَ طاعةً لزوجِها.

وعن عليٍّ بن جعفرٍ في كتابهِ عن أخيه، قال: سألتُهُ عن المرأةِ المغاضبةِ زوجَها، هل لها صلاةٌ أو ما حالُها؟ قال: **"لاتزالُ عاصيةً حتى يرضى عنها"**.(٥)

أما حق الزوج على زوجته، يمكن تلخيصه على الشكل التالي:

١- من حقِّ الزوج على زوجتِهِ أن تمكّنَهُ من نفسِها، والتبرّجُ والتطيّب، وإظهارُ الودِّ له، وإذا خلا بها تبذلُ نفسَها له، كما عبّرَ رسولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم). فعن أبي جعفرٍ (عليه السلام) قال: **جاءتِ امرأةٌ إلى النبيِّ** (صلّى الله عليه وآله وسلم) **فقالت: يا رسولَ الله، ما حقُّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعَهُ ولا تعْصيه، ولا تصدَّقَ من بيتِهِ إلا بإذنِه، ولا تصومَ تطوّعاً إلا بإذنِه، ولا تمنعَهُ نفسَها، وإن كانتْ على ظهرِ قَتَب"**.(٦)

٢- أن لا تخرجَ من بيتِهِ إلا بإذنِهِ وعلمِهِ ورضاه، وأن لا تتصدّقَ من مالِهِ إلا بإذنِه، وهذا ما صرّحَ به رسولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) حين قال: **"ليسَ لها أن تصومَ إلا بإذنِه، يعني تطوّعاً، ولا تخرجَ من بيتِها بغير إذنِه**.(٧) لكن تجدرُ الإشارةُ إلى عدمِ صحةِ واعتبارِ تلك الروايةِ التي رُويتْ عن امرأةٍ في عهدِ رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد خرجَ زوجُها من المدينةِ في سفَر، وعهدَ إليها أن لا تخرجَ من بيتِهِ حتى يقدِم، فمرضَ أبوها، فبعثتْ إلى رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) تستأذنُهُ أن تعودَه، فقالَ لها (صلّى الله عليه وآله): **"لا، إجلسي في بيتِكِ وأطيعي زوجَك"**.

فأرسلتْ إليه ثانياً بعدَ أن اشتدَّ مرضُ والدِها، فقال: **"إجلسي في بيتِكِ وأطيعي زوجَك"**.

إلى أن ماتَ أبوها، فبعثتْ إليه (صلّى الله عليه وآله وسلم): إنَّ أبي قد ماتَ فتأمرُني أن أصليَ عليه؟ فقال: **"لا، إجلسي في بيتِكِ وأطيعي زوجَك"**. فدُفِنَ والدُها ولم تحضرْ جنازتَه، فبعثَ إليها رسولُ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) **"إنَّ اللهَ قد غفرَ لكِ ولأبيكِ بطاعتِكِ لزوجِك"**.(٨)

هذه الروايةُ ضعيفةُ السندِ بالطريق الذي ذكرَهُ صاحبُ الوسائل، حيث وردَ في سندِها شخصُ عبدِ اللهِ بن القاسمِ الحضرميّ، وهو مضعَّفٌ في كتبِ الرجال.(٩) لكن إذا صحَّتْ عن طريقٍ آخر، تُناقشُ من حيث؛ هل يجوزُ للرجلِ أن يمنعَ زوجتَهُ عن زيارةِ والديْها، خاصةً أنّ زيارتَهُما صلةُ رحمٍ وبرٌّ واجبٌ، وإذا كانتِ القاعدةُ في تعاملِ الإنسان مع الآخرَ هي **"لا طاعة لمخلوق في معصيةِ الخالق"** وجبَ أن تكونَ هذه القاعدةُ حاكمةً على تصرّفِ الزوج وتعاملِهِ مع زوجتِه، كما يحدّدُ تعاملَها معه أيضاً.

أن تعاشرَهُ بالمعروف، وتعاملَهُ بالأخلاق الحميدةِ الفاضلة، فلا تؤذيهِ بكلامِها أو فعلِها، وتخففُ من همومِهِ وغمومِهِ بحسن حديثِها ولباقتِها وأدبها، تفرحُ لفرحِهِ وتحزنُ لحزنِه، وتخدمُهُ وتساعدُه، وتعينُهُ على مصاعبِ الحياةِ وقساوةِ العيش، فلا تكلّفُهُ ما لا طاقة لهُ به.

وفي هذا المجال حديثٌ لطيفٌ لأمير المؤمنينَ عليٍّ (عليه السلام) يقول فيه: **"ما من امرأةٍ تسقي زوجَها شربةً من ماء؛ إلا كانَ لها خيراً من عبادةِ سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، ويبني اللهُ لها بكلّ شربةٍ تسقي زوجَها، مدينةً في الجنّة، وغفرَ لها ستينَ خطيئة".**(١٠)

ويقول (عليه السلام) أيضاً: **"المرأةُ الصالحةُ خيرٌ من ألفِ رجلٍ غير صالح، وأيّما امرأةٍ خدمَتْ زوجَها سبعةَ أيام، أغلقَ اللهُ عنها سبعةَ أبوابِ النار، وفتحَ لها ثمانيةَ أبوابِ الجنّة، تدخلُ من أيِّها شاءت".**(١١) ولا تقتصرُ هذه الخدمةُ على المشربِ والمأكل والملبس، بل تشملُ الجانبَ المعنويَّ في تخفيفِ همومِه، ومساعدتِهِ على نوائبِ الدهر، وتلقّيه بالبشر. كما في الحديثِ عندما جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقال: **"إنّ لي زوجةً إذا دخلتُ تلقّتْني، وإذا خرجتُ شيّعتْني، وإذا رأتني مهموماً، قالتْ لي: ما يهمُّك؟ إن كنتَ تهتمُّ لرزقِكَ فقد تكفّلَ لكَ به غيرُك، وإن كنتَ تهتمُّ بأمرِ آخرتِكَ فزادَكَ اللهُ همّاً. فقالَ رسولُ اللهِ** (صلّى الله عليه وآله وسلم): **"إنَّ للهِ عمّالاً، وهذه من عمّالِه، لها نصفُ أجرِ الشهيد".**(١٢)

تعبير الجهاد على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)

إنّ تعبيرَ الجهادِ الذي استخدمَهُ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ (عليه السلام) عندما أرادَ وصفَ حسنَ التبعّل، يدلُّ على أنَّ حسنَ التبعّلِ نوعٌ من أنواع الجهاد، فكما أنَّ الجهادَ يستلزمُ بذلَ الجهدِ والمشقة، ويستوجبُ الصبرَ وقوّةَ الإرادةِ والتحمّل، كذلك حسنُ التبعّل يحتاجُ إلى كلِّ ذلك؛ لأنَّ هذا النوعَ من الجهادِ قد يتعارضُ مع راحة

المرأةِ ورغباتِها، ويتطلّبُ الصبرَ وتحمّلَ التعبِ فوقَ التعب، هذا من ناحيةٍ. ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ اختلافَ الآراءِ والتوجّهاتِ بين الزوج والزوجة، قد يولّدُ بعضَ المشكلاتِ والمشاحناتِ بينهما، ممّا يستدعي علاجُها بالصبرِ ومحاولةِ الاستيعابِ والتفهّمِ للطرفِ الآخر، وهذا يحتاجُ إلى قوّةِ إرادة، وتحمّلٍ وحِنكةٍ وحسن تدبير. من هنا كانَ حسنُ التبعّلِ جهاداً بما للكلمةِ من معنى. لكن لابدّ من الإشارةِ إلى أنَّ الواجبَ المنصبَّ على المرأةِ قد يتحوّلُ من جهادٍ شاقٍّ إلى خُلقٍ رفيع، تتحلّى به المرأةُ الزوجة، وعادةٍ حميدةٍ تعتادُها، ذلك حين تدركُ أنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنة، فتحَهُ اللهُ لخاصّةِ أوليائه، فتستثمرُ هذه الفرصة، وتدخلُ من هذا الباب، وتجاهدُ في حياتِها الزوجيّةِ متقرّبةً إلى اللهِ تعالى، راغبةً في ثوابِهِ وجزيلِ إحسانِه، وناظرةً لما ينتظرُها خلفَ هذا البابِ من نعيمِ اللهِ وجنّتِه، ومن سعادتِها في الدنيا والآخِرة.

هل يتعارض حسن التبعل مع دور المرأة الاجتماعي؟

إنّ قولَ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام): "جهادُ المرأةِ حُسنُ التبعّل"، يشيرُ إلى أهمِّ سبلِ الجهادِ وأوّلِها بالنسبةِ للمرأةِ كزوجة، ويقدّمُ لها نموذجاً من نماذجِه، تستطيعُ من خلالِهِ كلُّ امرأةٍ أن تسلكَ إلى اللهِ تعالى مهما كانت مؤهّلاتُها، وقدراتُها ومهما بلغَ رصيدُها العلميّ، والثقافيّ، والاجتماعيّ.

لكنَّ هذا لا يعني أنَّ المرأةَ ليستْ مسؤولةً عن شيءٍ خارجَ حياتِها الزوجيّة، فحُسنُ تبعّلها لا يُلغي دورَها في الحياةِ الاجتماعيّة، ولا سيما إذا كانت تمتلكُ مؤهلاتٍ وطاقاتٍ تمكّنُها من التأثيرِ إيجاباً في مجتمعِها.

وهذا ما يمكنُ استنتاجُهُ من خلالِ التأمّلِ في الخطابِ القرآنيِّ الموجَّهِ للإنسان، سواءً أكانَ رجلاً أم امرأة، إذ أنّهُ لا يخصُّ الرجلَ دونَ المرأةِ بأيِّ شكلٍ من أشكالِ المسؤوليّة، أو الواجباتِ الاجتماعيّة، أو الثقافيّة، أو حتى السياسيّة. فالخطابُ القرآنيُّ موجّهٌ للرجلِ والمرأةِ على حدٍّ سواءٍ كمسؤوليّةِ إقامةِ شعائرِ الله، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، ومحاربةِ الظلم، والإصلاحِ بين الناس، والدعوةِ إلى دينِ الله... فكلُّ هذه المسؤوليّاتِ يتشاركُ فيها الرجلُ والمرأة، وهي ملقاةٌ على عاتقِهما، وبابٌ من أبوابِ الجهادِ المفتوحةِ أمامَهُما، وتستطيعُ المرأةُ بحسنِ إرادتِها وفطنتِها أن توفّقَ بين كونِها زوجةً محسنةً وامرأةً فاعلةً في مجتمعِها، ولو تعسّرَ عليها التوفيق، فالأولى الاقتصارُ على الجهادِ ضمنَ إطارِ الحياةِ الزوجيّة.

في الختام، بقيَ أن نقول: إنَّ حُسنَ التبعّلِ يتطلّبُ عزيمةً كبيرةً وتضحيةً عاليةً من جانبِ المرأة، وهذه التضحيةُ والإرادةُ والعزيمةُ لا توفّقُ لها إلا مَن أخلصتْ للهِ تعالى في مسيرتِها، وتوجّهتْ إلى بارئها وتوكّلتْ عليه، وسألتْهُ العونَ والمدد، فإنَّ رضا اللهِ تعالى لا يُنالُ بالراحةِ والاسترخاءِ وحبِّ النفس، إنّما طريقُهُ جهادُ النفس، وهذا قد يتحقّقُ عبرَ حُسنِ التبعّل، والإحسانِ إلى الزوج.

يقولُ المولى جلَّ وعلا: "والّذينَ جاهَدوا فينا لَنهدِيَنّهم سبُلَنا وإنَّ اللهَ لمعَ المحسنين". سورة العنكبوت، ٦٩.

الهوامش

١- المجلسي، محمد باقر (العلامة)، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٨٥، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

٢-المصدر نفسه، ج ١٠٠، ص ٢٥٢.

٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ١، ج ٢٠، ص ٣٩، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٢ هـ.

٤- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ١، ج ٢٠، ص ١٥٨، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٢ هـ

٥ - نفس المصدر، ج ٢٠، ص ١٦٢.

٦- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ١، ج ٢٠، ص ١٥٨، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٢ هـ. القَتَب: رحل صغير على قدر السنام.

نفس المصدر، ج ٢٠، ص ١٥٨,٧-

- نفس المصدر، ج ٢٠، ص ١٧٥٨

٩- كذاب، غالٍ، يروي عن الغلاة، لا خير فيه، ولا يعتد بروايته"، النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي (أحد الأصول الرجالية)، ط ١، ج ٢٠، ص ٣٠، الرقم ٥٩٢، تحقيق محمد جواد النائيني، دار الأضواء، بيروت، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٠- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ١، ج ٢٠، ص ١٧٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٢ هـ.

١١- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ١، ج ٢٠، ص ١٧٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم،

١٤١٢ هـ

١٢ - نفس المصدر، ص ٣٢.

نصائح في تربية الاطفال

الدكتور عبد الكريم زاير الموزاني

- غضب الاطفال .
- كيف تتعاملي مع طفلك عندما يغضب ، ؟

كل طفل يُصاب بنوبـــات الغضب من حـــين لآخر ومهمة الأباء التغلب والسيطرة عليها ومنع حدوثها مرة أخرى .
ولن يحـــدث ذلك بـــالتصرف بـــعنف مع الأطفال أو حـــتى اصدار الأوامر الرافضة لرغبـــتهم فلن يتجاوز الطفل عن تصرفاته بل سينصرف لبعض الوقت ثم يعود لعنادة من جديد لذلك أعددنا لكم نصائح للتعامل مع الطفل عنـد الغضب وكذلك كيفية منعه من الوصول لمرحـــلة الغضب مرة أخرى تعرفي عليها .

نصائح عامة : ابقي الأشياء الخطرة أو المعرضة للكسر بعيداً عن متناول الأطفال .

نظمي مواعيد يوم طفلك.. مثلاً موعدا محـــــدد للقيلولة وموعداً محدداً للغذاء .

راقبي طفلك وإذا لاحظتي أنه بدأ يدخل في مرحلة الإحبـاط فعليكي التدخل حـتى لا يصل لمرحـلة الغضب .

وفري فرصاً لطفلك للتفريج عما بدأخلة كالركض في الفناءمثلاً فذلك يزيد من قدرات عقلة . اعطي طفلك بعض التحكم والإختيار في ملابسه وطعامه وألعابـه .. لا تفرضي عليه رأيك كلياً . اسـتخدمي الملهيات وتعمدي التغيير كشـراء لعبـه جديدة أو إحداث نشاط جديد في حياته

. وعندما يصل طفلك إلى سـن دخول المدرسـة تحدثي معة واخبريه كيف تريدي أن يكون سلوكه في مواقـف مختلفة والزميه بقـوانين صارمة وواضحة .

عند حدوث نوبات الغضب: حـتي بعد أخذ كل تلك الاحـتياطات قـد يصاب الطفل بنوبـات الغضب النوبات الطفيفة.. حـاولي تجاهلها والذهاب لغرفة أخرى مثلاً او إكمال مهامك المنزلية وكأن شـئ لا يحدث أما بالنسبة لنوبات الغضب الجامحـة فيجب أخذ بعض الإحـتياطات : تحـدثي بـهدوء واخبـريه أنك بجانبه ولن تتركيه يؤذي نفسة .

امسكيه بقوه وانظري في عينيه وانت تتحـدثين . واحـياناً قـد تضطري لاجتياز العاصفه حـتي يهدأ الطفل من تلقاء نفسه .

واذا وجدت انه لا يهدأ فيجـب عليك وضـع الطفل في مكان آمن ومملل ككرســي الاطفال مثلا لعدة دقائق .أفضل النصائح للتخلص من نوبات غضب الأطفال : استهدفي الأوقات السعيدة لطفلك وخصصي وقـتاً يومياً للاسـترخاء أو قـراءة قصة أو حـتي التنزه في الهواء الطلق . كوني قدوة لطفلك بـأن تبقـي هادئة حـتى في أصعب الاوقـــات فهذا يشـــجع طفلك على الهدوء .

تخلصي من السلبـــــيات.. فمثلاً كلمة " لا " للطفل في نوبـات الغضب سـتزيد من نوبـته يمكنك استبدالها بـ" لاحقاً " أو " وقت آخر" .

كوني واعية للضغوط الجديدة التـي يتعـرض لها الطفل على ذهابـه لاول مرة للحـضانة أو تعليمه عن الاستغناء عن الحـفاضات.. فالطفل يحتاج لبعض التعاطف .

احـترمي مشـاعر طفلك.. فشـعور الطفل بـأنه مفهوم يقلل من نوبـات غضبـه مثلاً يمكنك أن تقـولي له " أعلم أن هذا يزعجك أو أعلم أنك لا تحـب فعل هذا " فسيشـعر الطفل أن لمشـاعر أهمية ولاحقـاً يمكنه الاسـتعاضة بـكلمة أنا متضايق بدلاً من نوبات الغضب .

كافئي الطفل على الســـلوكيات الجيدة التي يفعلها وحاولي تجاهل السلوكيات السيئة

.تجنبـي العقـاب القاسـي فالصياح والضرب يزيد من نوبات غضب الطفل.

استخدمي روح الدعابـه لخداع طفلك والتغلب على نوبـــات الغضب مثلاً يمكنك غناء أغنية هزلية أو الضحك أو تمثيل لعبة بأصابع اليد

. غالبـاً يسـتغني الطفل عن نوبـات الغضب عندما يستطيع أن يعبر عما في داخله بالنطق.. ولكن الطريقـة التي تعاملينه بـها في السـنين الأولى مهمة فاذا عاملت طفلك بطريقـه قاسية كالصياح والسب والضرب أو حـتى تجاهلتِ مشاعر طفلك فسيسوء الوضع ويتدهور .

وافضل حل لك سيدتي هو الهدوء ،،،،

دور الأسرة تجاه الأطفال

من ذوي الاحتياجات الخاصة

د. عماد حسين عبيد المرشدي/علم النفس التربوي

أولا: واجب الوالدين والمعلمين تجاه الأطفال من الخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة .

١ـ الاقتناع بأن عليهم واجباً تجاه المعاق يبدأ بالابتسامة الدافئة والحماية المطمئنة وينتهي بتعليمه ما باستطاعته ليخدم نفسه والآخرين.

٢ـ بذل أقصى ما يستطيعون من جهد في تدريبه على أسس الحياة اليومية ومبادئها العملية كتناول الطعام وارتداء الملابس والمشاركة في الأعمال المنزلية البسيطة.

٣ـ الإحساس بوجوده والاعتراف بإمكانياته على ضآلتها وتعزيزه عند كل نجاح مما يولد لديه مشاعر القدرة والثقة بالنفس.

٤ـ عدم السخرية منه أو الاستهزاء به أو تذكيره بما هو فيه حتى وإن كان عن طريق المزاح والمداعبة.

٥ـ الابتعاد عن أسلوب المقارنة بأخوته بغية إثارته وخلق الحماس عنده حرصاً على ألا تتفجر لديه روح الحسد والغيرة.

٦ـ عدم عزله عن المجتمع وعن المشاركة ولاسيما خلال حياته الاجتماعية داخل الأسرة لأنه بالمعايشة يكتسب المبادئ القيم الدينية والاجتماعية والخلقية الصحيحة.

٧ـ التعرف على واقع الإعاقة بكل وجوهها ومضاعفاتها حتى يستطيعوا مساعدته في التغلب عليها وفي وضع برنامج عملي لها.

٨ـ إخضاعه للمعالجة الطبية والتأهيل الاجتماعي بالتعاون مع المؤسسة المتخصصة

١٠ـ عدم تكليفه بأعمال تفوق قدرته حتى لا يصاب بالإحباط أو تعزيز صور القصور والعجز لديه.

١١ـ عدم توقع الكثير منه وعدم اللجوء إلى عقابه أو إلى التعامل معه بقسوة حتى إذا أخطأ.

١٢ـ تجنب الحماية الزائدة والخوف المفرط لأن ذلك يحرمه من إمكانيات التعلم والانخراط والمواجهة والاستقلالية.

١٣ـ عدم الانصياع وراء ما يقترحه الأصدقاء وأدعياء المعرفة بل التمسك بإرشادات الطبيب والمعالج المختص وإبقاء الاتصال مستمراً معهما وإعلامهما بكل ما يستجد في هذا الواقع.

١٤- أتباع أسلوب متوازن في المعاملة أي عدم الإفراط في التدليل بوصفه عاجزاً وعدم القسوة نتيجة اليأس ونفاذ الصبر مما يعني ضرورة الأخذ في الاعتبار أن واقعه ليس مؤقتاً كما أنه ليس كسائر الناس.

١٥- العمل على منع تكرار حدوث الإعاقة وذلك عن طريق إتباع الإجراءات الوقائية المعروفة.

١٦- التواصل مع الأسر الأخرى التي لديها أطفال معاقين لتبادل الخبرات وتبادل الدعم ثم لتنظيم الجهود.

ثانيا: واجب الوالدين تجاه الطفل المعاق سمعياً

١- فحص سمع الطفل عند طبيب مختص.

٢- تشجيع الطفل على إصدار أي أصوات فهذا يقوي صوته تمهيداً لكلام محتمل.

٣- العمل على استغلال البقايا السمعية الموجودة مهما كانت هذه البقايا.

٤- تمكين الطفل من سماع صوته والتمييز بينه وبين أصوات الآخرين.

٥- التحدث بجمل قصيرة والتقليل قدر الإمكان من استعمال كلمات لا داعي لها.

٦- تعاون الأهل مع المدرسة وهذا يشمل الزيارات والاطلاع على البرامج المقدمة لطفلهم.

أما بالنسبة للأطفال الصم فيأتي دور الوالدين هنا في إيجاد فرص للالتحاق بمدرسة خاصة بالصم ومساعدة الطفل على فهم الخيارات المطروحة أمامه وأخذ رأيه فيما يراه الأفضل وعدم معاملة الطفل عندما يكبر على أنه مازال طفلاً.

ثالثا: واجب الوالدين والمعلمين تجاه الطفل المعاق عقلياً

١- التحلي بالصبر الطويل لأن الطفل يحتاج إلى إعادة وتكرار قبل أن ينجح في أداء عمله.

٢- عدم تكليف الطفل المعاق عقلياً بأداء أكثر من عمل واحد في الوقت الواحد.

٣- تدريبه على المهارات الاستقلالية الأساسية واللازمة للعناية الذاتية والاعتماد على النفس في الملبس والمأكل وقضاء الحاجة والنظافة الشخصية.

٤- إظهار البشاشة والسرور حين يبذل ابنهم جهداً فينجح.

رابـــــــعا: واجب الوالدين تجاه الاطفال ذوي صعوبات التعلم .

١- إظهار المحبة والفهم والتقدير لما يفعلونه.

٢- عدم معاملة هؤلاء الأطفال كأغبـــــياء أو متخلفين ويجب مراعاة الطفل ومدحه ومحاولة مساعدته على التطور في المجالات التي يظهر فيها اهتماماً أو قدرة.

٣- عدم توجيه اللوم للطفل أو توبيخه أو معاقبته على عدم تعلمه أو لأنه لم يحـــاول فهذا لا يؤدي إلا إلى جعل الأمور أسوأ.

٤- لتقـدم إلى الأمام مع الطفل ذي صعوبـــات التعلم بـــخطوات صغيرة وبـــكثير من التكرار بحيث يسهل الأمر على الطفل ويكتسب ثقة في نفسه وجعل فترات الدراسة قصيرة ودمجها مع نشاطات يحبها الطفل.

-5ترك الطفل يتعلم ويستخدم ما يتعلمه بسرعته هو وعدم استعجاله ومساعدته على الاستراحة

خامســـا: واجب الوالدين تجاه الطفل المصاب بمرض التوحد

١- الحصول على التشخيص بمعنى أن تقابل الأســـرة طبيبـــاً على دراية بالتوحـــد وعدم الافتراض أن الطفل سيتحسن في المستقبل.

٢- البحـــث عن المســـاعدة فالتعليم الخاص وجلسات معالجة النطق كثيراً ما تكون ضرورية

٣- قيام الوالدين ببعض المحاولات لاحتضان الطفل وحمله والتجول به والحديث معه عندما يلاحظ أن الطفل لايستجيب .

٤- عندما يقوم الطفل بسلوكيات غير مرغوبة خارجة عن ارادته أمام الملأ في الشارع أو داخل محل تجاري ما فإن أفضل الحلول إخراجه من ذلك المكان بسرعة أما خلال تواجده في المنزل فإنه يجب تجاهل الطفل أثناء ثورته وهياجه وفور توقفه عن الصراخ والثورة فإنه يجب منحه كثيرا من الاهتمام والمديح وإعطاؤه بعض المكافآت الملائمة للموقف للحد من الهيجان والصراخ.

سادسا: دور الوالدين نحو الطفل المضطرب سلوكياً

١- يجب مراقبة ظروف سلوك الطفل والاستمرار في المراقبة الدقيقة لمدة أسبوع أو اثنين ومن المفيد كتابة ما يتم ملاحظته لتحديد الأنماط بوضوح أكبر.

٢- بناءً على الملاحظة السابقة يجب على الوالدين إيجاد تصور للأسباب التي دعت الطفل إلى التصرف كما يفعل

٣- التفكير بطريقة تساعد الطفل على تحسين سلوكه وممكن أن يتم ذلك من خلال مكافأة السلوك الجيد دوماً وإظهار الإعجاب على الفور كلما كان تصرف الطفل بشكل مناسب ولائق.

٤- تجاهل بقدر الإمكان السلوك السيئ للطفل وعدم معاقبته وذلك لأن مكافئة السلوك الجيد بدلاً من المعاقبة على السلوك السيئ يؤدي إلى التحسن.

٥- الثبات في كيفية الرد على سلوك الطفل فإن كافئا السلوك الجيد أحياناً وتجاهلاه أحياناً أخرى أو إذا تجاهلا السلوك السيئ أحياناً ووبخاه عليه مرة أخرى أو فعلا ما يطلبه الطفل فإن هذا يمكن أن يشوش الطفل ولا يتوقع أن يتحسن سلوكه.

٦- إذا تحسن سلوك الطفل وأصبح عاديا يجب على الوالدين الانتقال تدريجياً إلى طريقة طبيعية أكثر في التعامل مع الطفل .